الكنز

فى المسائل الصوفية

لفضيلة مولانا العارف بالله السيد

صلاح الدين التجانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

الكنز في المسائل الصوفية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

إدارة التراث

إهـــداء

صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هوا

ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسم

إلي الشمس التي تشرق ولا تحرق. والبحر الذي يغدق. ولا يغرق والروح التي تَسترق ولا تعتق.

اهدي هذا الكنز المباح إلي الكنز المصون، المكنون.

زوجتي الفاضلة الحسيبه، النسيبه، فرع بيت النبوة أ. د. نادية الشامي.

صلاح الدين التجاني

تقديم

سعيد عبد الفتاح

«اللهم لك الحمدُ حمداً دائماً مع خلودك، ولك الحمدُ حمداً لا مُنتهي له دون مشيئتك، ولك الحمدُ حمداً لا يزيد قائلها إلاّ رضاك، ولك الحمدُ حمداً ملياً عند كل طرفة عينٍ وتَنَفُّسِ نَفَسٍ..»

اللهم صلّ علي سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلي صراطك المستقيم وعلي آله حق قدره ومقداره العظيم. ثم

أمّا بعد

فهذا هو الإصدار الأول لسلسلة التراث التى تصدرها إدارة التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب. وهو كتاب **(الكنز فى المسائل الصوفية)** لفضيلة مولانا الشيخ صلاح الدين التجانى رضي الله عنه، الشريف الحسيب النسيب الذى ينتهى نسبه إلى سيدنا الحسن

ابن على رضى الله عنهما من ذرية السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت سيدنا رسول الله ﷺ. وهو من العلماء العاملين، الذين منّ الله عليهم بالعلم فأحسنوا العمل لله، فكان مثالاً يُحتذى به فى تربية المريدين، وقد تخرج على يديه أجيال كلهم الآن يصلح للتربية بفضل همته العالية، ولقد عرفته عن قربٍ؛ فنعم الشيخ الصوفى المربىّ زاده الله علماً وبهاءاً. وكان من ثمرة القرب منّه أن منحنا المولى عز وجلّ على يديه لطائف مننه، وسحائب فضله، وتنسّمنا فى جواره رائحة المحبين من أهل القرب والإحسان والذوق الصوفى الراقى. ولله الحمد.

يقول أبو محمد الجريرى؛ رضي الله عنه:

«قوام الأديان، ودوام الإيمان، وصلاح الأبدان، فى خلال ثلاث: الاكتفاء، والاتّقاء، والاحتماء. فمن اكتفى بالله صلحت سريرته، ومن اتقى ما نهى عنه استقامت سيرته، ومن احتمى ما لم يوافقه ارتاضت طبيعته.

فثمرة الاكتفاء: صفو المعرفة.

وعاقبة الاتّقاء: حُسْنُ الخليقة.

وغاية الاحتماء: اعتدال الطبيعة

فوالله لقد رأيت فيه الخلال الثلاث زاده الله صفواً، وحُسْناً، واعتدالاً. ومما أثمرته هذه المعرفة عنده بصفائها جودة التأليف فى كتب القوم وعلوم الشرع الشريف. فقد وضع عدداً من المؤلفات الهامة فى عدد من العلوم، ومن هذه المؤلفات: كتاب التوحيد، كتاب

كشف الغيوم عن بعض أسرار القطب المكتوم، جوامع الكلم من أحاديث النبى الأكرم، هداية المسلم من أحاديث النبى الأعظم، غرائب الرغائب، القبس فى معرفة الطاهر والنجس، وغيرها كثير.
ومن هذه المكتبة العامرة كتابه هذا (الكنز) سوف يرى القارىء الكريم معى فى هذا الكتاب أنه بالفعل وقف على كنز مملوء باليواقيت، والجواهر، والفصوص، والزبرجد من جيِّد المعانى، ويا حسرة من تشغله السفاسف عن الوقوف على ما فى هذا الكنز.

يقول ابن عطاء الآدميّ:

«من تأدّب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدّب بآداب الأولياء فإنه يصلح لبساط القُربة، ومن تأدب بآداب الصديِّقين فإنه يصلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء فإنه يصلح لبساط الأُنس والانبساط».

وكلُّ هذه الآداب، والأحوال، والمقامات، والمنازل سوف يعيش معها القارىء خلال هذا الكتاب، الذى غاص مؤلفه فى بطون الأصول من كتب الصوفية مثل: الفتوحات المكية لابن عربى، والحكم لابن عطاء الله السكندرى، والمواقف والمخاطبات للنفرى، وليس الغوص سهلاً ميسوراً كما يتصور البعض، إنما على الغوّاص النابه امتلاك أدواته، والتسلح بعلمه، وإبراز المنح الإلهية للذوق العالى الرفيع الذى يمكِّن صاحبه من التفريق والتدقيق ليس بين الحصى والدرّ، فهذا للأطفال يُتْرك، ولكن بين أنواع الأحجار الكريمة جميعا، بل بين جيِّد اليواقيت واليواقيت، والجواهر والجواهر، والزبرجد

والزبرجد. بعين الناقد البصير. حتى يخرج إلينا وكأنما أتى بكل ما يصلحنا ويبهجنا. وهذا ما نراه فى هذا الكتاب.

فصاحبه مشهود له بأنه من أجود الغوّاصين، وأغناهم. ويدل على ذلك عمله فى هذا الكتاب، ومؤلفاته الأخرى.

فانظر مثلا إلى ياقوتة من هذه اليواقيت، وقارنها بما هو مكتوب فى كتاب الفتوحات، وانتبه كيف صفّاها من الزيادات ونقّاها مما تحمله من كثرة الترديدات دون أن يؤثر ذلك على أصل المعنى هنا وهناك ودون الإخلال بجوهر ومضمون ما فى الفتوحات بل أستطيع أن أقول إن هذا الكتاب سوف يخدم - إن شاء الله - مساحة بل مساحات شاسعة فى معارفنا، ويحقق لمحبى الذوق الصوفى الرفيع حلما وأملا طال انتظاره، وخاصة قارىء كتب الأصول الصوفية لأنه سوف يكون ميزانا جديداً يفهم به هذه الأصول والأمهات من كتب القوم مثل الفتوحات المكية وغيرها. فمن قرأ هذا الكتاب فكأنما عاش مع أهم مصادر التراث الصوفى وفهم الروح السارى فيها. جزى الله عنّا مؤلف الكتاب خيراً. وسوف يسعد القارىء الكريم بما فى هذا الكتاب كما سعدنا به جميعا.

المقدمة

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح والخاتم

وبعد :

فالناس ثمانية أصناف منهم من أراد الدنيا للدنيا، ومنهم من أراد الدنيا للآخرة، ومنهم من أراد الآخرة للدنيا، ومنهم من أراد الآخرة للآخرة، ومنهم من أراد الآخرة لله، ومنهم من أراد الله للدنيا، ومنهم من أراده للآخرة ومنهم من أراد الله لله.

وهذا الصنف الأخير هو محل نظر الله من خلقه، فهم المخلصون المقربون الأخفياء الأنقياء الأتقياء.

وهؤلاء جعلهم الله حجة على خلقه يوم القيامة، بهم يزن الله ما في قلوب الناس .فمن سماهم من الناس مؤمنون فهو مؤمن ومن سماهم مسلمون فهو مسلم، ومن سماهم محسنون فهو محسن ومن سماهم أولياء كذلك أو عارفون فهو معهم أو صوفية فله نصيب من حسن ظنه.

أما من سماهم ملاحدة وزنادقة وفسقة وغير ذلك، فإنما هى صورة ما فى قلبه انعكست عليه ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها** ﴾(١) وحسبك أن علماء الأمة الذين يؤخذ عنهم الحلال والحرام وترجع إليهم الأئمة فى الفقه والتفسير والحديث والتوحيد قد أقروا طريق السادة الصوفية ومدحوه وأثنوا عليه.

قال الإمام مالك رحمه الله:

من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق.

وقال الإمام الشافعى رحمه الله:

فقيها وصوفيا فكن ليس واحدا   فإنى وحق الله إياك أنصح

فذلك قاس لم يذق قلبه تقى.   وهذا جهول كيف ذو الجهل يصلح

وكان الإمام أحمد رحمه الله يحضر مجلس أبى عبد الله الحارث ابن أسد المحاسبى وكان رحمه الله يقول عنه أن كلامه يخرج من مشكاة النبوة وكانت إذا اعتاصت عليه المسائل ذهب إلى أبى حمزة البغدادى رضى الله عنه، وسأله، وكان يقول له: ماتقول ياصوفى فى كذا وكذا، فيجيبه عليها، ومرة سأله عن مصدر علمه فقال له، قال رسول الله ﷺ : «**من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم**» فقال الإمام أحمد والله مارأيت أصدق من هذا المعنى فى هذا الحديث.

وقال الإمام الغزالى رحمه الله مجدد القرن الخامس بغير منازع: لو جمعت حكمة الحكماء وعلم العلماء وفقه الفقهاء ما خرج عما يقوله الصوفية قيد أنملة.

أما الحافظ أبو نعيم فى كتابه الشهير حلية الأولياء، الذى يقول عنه الحافظ السلفى: إنه لم يصنف مثل كتاب حلية الأولياء، ترجم فيه زهاء ثمانمائة ترجمة من أعلام المحققين من الصوفية وأئمتهم كما قال فى مقدمته بدأهم بأبى بكر الصديق رضي الله عنه وذكر منهم أهل البيت وأصحاب الصفة، وأهل بدر، وأصحاب الشجرة، وأهل العقبة، والعشرة المبشرين بالجنة،وغيرهم كثير.

قال الجنيد رحمه الله لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه.

وقال الشيخ عبدالرحمن الصقلى رحمه الله: كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لا يدرك والبحر الذى لا ينزف.

وإذا نظرت إلى رجال الصوفية وجدتهم حملة علوم الشرع فى كل زمان ومكان ومنهم الحفاظ والقراء والفقهاء والمحدثون والمفسرون والمجتهدون والمجددون فلا تخلو سلسلة من سلاسل العنعنة فى أى علم من هذه العلوم منهم فلولاهم ما وصل إلينا قرآن ولا سنة.

منهم أكابر الصحابة رضى الله عنهم كما ذكرهم الحافظ أبو نعيم ومنهم الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز ومنهم الأئمة الأربعة ومنهم أصحاب الكتب الستة ومنهم الإمام الغزالى، والسيوطى، والحافظ الهروى، والحافظ السلفى، والحافظ أبو نعيم، والاسفراينى، والجوينى إمام الحرمين، والرازى، والفيروز آبادى، والعز بن عبد السلام، والألوسى، والبلقينى، والحكيم الترمذى،وابن حجر الهيتمى، والإمام النووى،وغيرهم كثير حتى ابن تيميه رحمه الله الذى ينتسب إليه خصوم الصوفية سنده فى العلوم ينتهى إلى سيدى عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنه ذكر ذلك الشيخ محمد بن سلمان الرودانى فى كتابه صلة الخلف بموصول السلف.

كما ألف الشيخ ابن تيمية نفسه رسالته (الصوفية والفقراء) طبع المنار سنة ١٩٢٨ ذكر فيها مكانة الصوفية بين العلماء وأثنى عليها كل الثناء.

أما من نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة رضوان الله عليهم، فالحسن البصرى وعلى بن الحسن زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، وأويس القرنى، وهرم بن حيان ومالك بن دينار، وابن دينار المدينى وعتبة الغلام وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وداود الطائى، وسفيان بن عيينة، وأبو سليمان الدارانى، وأبو الفيض ذو النون المصرى، والسرى بن المغلس السقطى،

وبشـر الحـافى، ومـعـروف الكرخى، ويوسف بن أسـبـاط، وأبو يزيد البسطامى، وسهل بن عبد الله التسترى، وأبو القاسم الجنيد، والحارث بن أسد المحاسبى، والسمرقندى، والجوزجانى، والشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى، وغيرهم كثير رضى الله عنهم أجمعين.

ومن المعلوم أن أخلاق الصوفية ومقاماتهم وأحوالهم إنما قررها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه وجاء الشرع بمدحها والثناء عليها ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾(٢) ﴿رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾(٣) ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾(٤) ﴿ألا إن أولياء الله﴾(٥) ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعوا ربهم﴾(٦) ﴿واذكروا الله ذكرا كثيرا﴾(٧).

«رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرّه منهم البراء بن مالك» اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله.

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه».

وغير ذلك كثير إلاّ أن لفظة صوفية لم تظهر إلا فى القرن الثانى من الهجرة.

قال القشيرى رحمه الله: وأصل تسمية الصوفية صوفية كان حين ظهرت الأهواء والبدع فى عصر الإمام أحمد رضي الله عنه، فسموا من تمسك بالكتاب والسنة وعمل بها على ما كان عليه الصحابة والتابعون صوفيا دون غيره.

أمّا اشتقاقها فالصحيح لغويا أنها نسبة إلى الصوف وذلك أن هؤلاء الزهّاد والعبّاد كانوا يلبسون الصوف، إذ كان من علامة الزهد آنذاك، وناهيك على ماورد فى ارتداء رسول الله ﷺ والأنبياء قبله والصحابة لباس الصوف تزهدا وتقشفا.

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال لابنه أبى بردة: يابنى لو رأيتنا ونحن مع النبى ﷺ وقد أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن».

أخرجه الترمذى وأبو داود وقال حسن صحيح

قال الترمذى معناه أنه كانت ثيابهم من الصوف

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال «دخلت على عائشة فأخرجت إلينا كساء ملبّدا من التى يسمونها الملبدة وإزارا غليظا مما يصنع باليمن وأقسمت بالله لقد قبضت روح رسول الله ﷺ فى هذين الثوبين». وهى ثياب من صوف.

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «كان على موسى عليه السلام يوم كلمه ربه سراويل صوف وجبة صوف وكساء صوف».

أخرجه أبو داود والترمذى

عن عائشة رضى الله عنها قالت «خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مُرَحّل من شعر أسود».

رواه مسلم

أما حكم الشرع فيه:

قال الإمام الغزالى رحمه الله : إنه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام.

قال الشاذلى: من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرًا على الكبائر.

وما من علم إلا ويقع الاستغناء عنه فى وقت ما إلاّ علم التصوف فلا يستغنى عنه أحد فى وقت من الأوقات، ففرض عين على كل أحد التخلص من المهلكات، كالعجب، والكبر، والرياء، والحسد، والغضب، وشهوة البطن، وشهوة الفرج، وآفات اللسان، والبخل، وحب الجاه، وحب المال، والغرور، وطول الأمل.

كما أن استعمال المنجيات من هذه الآفات هو فرض عين أيضا كالتوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والتواضع، والزهد، والورع، والصمت، والتوكل، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والشوق، والأنس، والرضا، وقصر الأمل، وحب الموت.

وحيث كان هذا العلم فرض عين وجب السفر إلى من يؤخذ عنه هذا العلم إذا عرف بالتربية واشتهر الدواء على يديه وإن خالف فى ذلك والديه.

أما نسبته من العلوم: فهو شرط فى كل علم إذ لا علم ولا عمل إلا بصدق التوجه إلى الله، إذ الإخلاص شرط فى الجميع.

أما فائدته: فتهذيب القلوب ومعرفة علاّم الغيوب.

أما فضله: فهو أفضل العلوم لتعلقه بالذات العلية.

واعلم أنه من تخصص فى الفقه قد سماه الناس: فقيها، وقد كانت مذاهب الفقهاء اثنى عشر مذهبا ثم تقررت فى أربعة مذاهب. ومن تخصص فى القراءة سماهم الناس: القرّاء، وكانوا خمسة وعشرين قراءة ثم تقررت فى عشرة. ومن تخصص فى النحو سماه الناس: نحويا، وهم على مذهبين بصرى وكوفى. أما من تخصص فى تحلية قلبه من الأدران والآفات وتحليته بأجمع الصفات فسموه: صوفيا، فهم لم يسموا أنفسهم، إذ لا التفات لهم إلى أنفسهم ولا إلى الناس أصلا، إذ أن مذهبهم الأخذ بالأحسن فى كل شئ ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾[٨] والأحسن عندهم هو الأحوط لدينهم.

وإنما لم يضع المجتهدون كتابا فى ذلك لقلة الأمراض فى أهل عصرهم وكثرة سلامتهم وكان معظم همة المجتهدين إذ ذاك إنما هو فى جمع الأدلة المنتشرة فى المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التى هى مادة كل علم وبها يعرف موازين جميع الأحكام فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس فى أعمالهم القلبية التى لا يظهر بها شعار الدين وقد لا يقعون فيها بحكم الأصل، ولا يقول عاقل قط أن مثل الإمام أبى حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد رضى الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عجبا أو كبرا أو حسدا أو نفاقا ثم لا يجاهد نفسه ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآثات لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم.

فإن قيل: فلم لم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشى على ظاهر الكتـاب والسنة فقط؟ أليس ذلك كـان يكفيـهم كـما كـفى غيـرهم! فالجواب أن هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الأئمة المجتهدين ومقلديهم فإنهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل استنبطوا من النصوص مالا يحصى من الأحكام والوقائع فإن رددت استنباط العارفين، لزمك أن ترد استنباط المجتهدين.

أما ميزانه: فهو الكتاب والسنة فقد قال الجنيد: «رحمه الله» طريقنا هذه مشّيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ الكتاب ويكتب الحديث لا يقتدى به فيها، وكان يقول: «قد أجمع أشياخ الطريق على أنه لا يجوز لأحد التصدر لتربية المريدين إلا بعد تبحره فى الشريعة وآلاتها فإن لم يتبحر كانوا لا يأخذون عليه العهد أبدا».

فلا تصوف إلا بفقه إذْ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه ولافقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق، فالشريعة لإصلاح الجوارح الظاهرة، وهى تؤدى إلى الطريقة التى هى إصلاح السرائر الباطنة، وهى تؤدى إلى الحقيقة، وهى عبادة الله على المشاهدة.

ولنذكر عقيدة السادة الصوفية نقلا عن الرسالة القشيرية للإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة أبى القاسم عبد الكريم القشيرى رضي الله عنه.

قال رضي الله عنه: «هذه فصول تشتمل على عقائدهم فى مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب، قال شيوخ الطريقة على ماتدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتهم ومصنفاتهم فى التوحيد، إن الحق،

سبحانه وتعالى، موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلم، بصير، متكبر، قدير، حى، أحد، باق، صمد، وإنه عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حى بحياة، باق ببقاء، وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء سبحانه على التخصيص، وله الوجه الجميل، وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هى هو ولا هى أغيار، بل صفات له أزلية ونعوت سرمدية، وأنه أحدىّ الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شئ من المخلوقات وليس بجسم ولاجوهر ولا عرض ولا صفاته أعراضا، ولا يتصور فى الأوهام ولايتقدر فى العقول، ولا له جهة ولا مكان ولا يجرى عليه وقت وزمان، ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يحله حادث ولا يحمله على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كون، ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم، لا يقال له أين ولا حيث ولا كيف، ولايستفتح له وجود، فيقال استوفى الأجل والزمان، ولا يقال لم فعل مافعل، إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بإمارة عن أشكاله، يرى لاعن مقابلة، ويرى غيره لا عن مماقلة، ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، يفعل ما يريد ويذل لحكمته العبيد، لا يجرى فى سلطانه إلا ماشاء ولا يحصل فى ملكه غير ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد

أن يكون، وما علم أنه لا يكون مما جاز أن يكون لا يكون، خالق أكساب العباد خيرها وشرها، ومبدع ما فى العالم من الأعيان والآثار قلها وكثرها، ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه، ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه، ومؤيد نبينا محمد ﷺ بالمعجزات الظاهرة، والآيات الزاهرة، بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والمنكر، وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته ﷺ بخلفائه الراشدين، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه، عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة. وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله ﴿ **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[٩] فهذه فصول، تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز وبالله التوفيق.

ولنذكر هنا عقيدة العارف الكامل الإمام سيدى محيى الدين بن عربى رضي الله عنه منقولة من كتابه الفتوحات المكية، وبها يتضح لكل منصف براءته من كل مخالفة للشريعة المطهرة، وكل ما ينسب إليه مما يخالف ما أعلنه وأوضحه من الاعتقاد، فهو كذب عليه وزور، وقد دس عليه كما دس على غيره وكذب عليه كما كذب على من هو خير منه، ولا يصح الأخذ إلا بما تقلده شرعا، قال رضي الله عنه: فى أوائل الجزء الأول من الفتوحات:

فيـاأخوتـى المؤمنين، ختم الله لنا ولكم بالحسنى، لما سمعت قوله تعالى على نبيه هود عليه السلام حين قال لقومه المكذبين به وبرسالته ﴿إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون﴾(١٠) فاشهد عليه السلام قومه - مع كونهم مكذبين به - على نفسه بالبراءة من الشرك بالله، والإقرار بأحديته، لما علم عليه السلام أن الله سبحانه سيوقف عباده بين يديه، ويسألهم عما هو عالم به لإقامة الحجة لهم أو عليهم حتى يؤدى كل شاهد شهادته، وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس وكل من سمعه ولهذا يدبر الشيطان عند الأذان وله حصاص، وفى رواية وله ضراط، ذلك حتى لايسمع نداء المؤذن بالشهادة فيشهد له، فيكون بتلك الشهادة له من جملة من يسعى فى سعادة المشهود له، وهو عدو محض ليس له إلينا خير ألبتة، لعنه الله، وإذا كان العدو لابد أن يشهد لك بما أشهدته به على نفسك، فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك ومن على دينك وملتك، وأحرى أن تشهده أنت فى الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والإيمان.

فياأخوتى وياأحبائى، رضى الله عنكم، أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى فى كل لحظة وطرفة وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشؤه، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه، أنه يشهد قولا وعقدا أن الله تعالى إله واحد لا ثانى له فى ألوهيته، منزه عن الصاحبة والولد، مالك لاشريك له، ملك لاوزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من

غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود سواه مفتقر إليه فى وجوده فالعالم كله موجود به، وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، لاافتتاح لوجوده ولانهاية لبقائه، بل وجود مطلق غير مقيد، قائم بنفسه، ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان، ولابعرض فيستحيل عليه البقاء، ولابجسم فتكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهات والأقطار، مرئى بالقلوب والأبصار إذا شاء، استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذى أراده، كما أن العرش وماسواه به استوى وله الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول، ولايحده زمان ولايقله مكان، بل كان ولا مكان وهو على ماعليه كان، خلق الممكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال أنا الواحد الحى لايؤوده حفظ المخلوقات، ولاترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها، أو تكون بعده أو يكون قبلها، بل يقال كان ولاشئ معه، فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه، فهو القيوم الذى لاينام والقهار الذى لايرام، ليس كمثله شئ، خلق العرش وجعله حد الاستواء، أنشأ الكرسى وأوسعه الأرض والسموات العلا، اخترع الروح والقلم الأعلى، وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه إلى يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الخلق وأخلق الذى خلق، وأنزل الأرواح فى أشباح أمناء، وجعل هذه الأشباح المنزلة لها الأرواح فى الأرض خلفاء، وسخر لنا مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه، فلا تحرك ذرة إلا إليه، وعنه، وخلق الكل من غير حاجة إليه، ولاموجب أوجب ذلك عليه،

لكن علمه سبق بأن يخلق ماخلق، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير، أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور، كيف لايعلم شيئا هو خلقه ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾(١١) علم الأشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حد ماعلمها، فلم يزل عالما بالأشياء ولم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها وبه حكّم عليها من شاء وحكّمها، علم الكليات على الإطلاق كما علم الجزئيات، بإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون، فعّال لما يريد، فهو المريد للكائنات فى عالم الأرض والسموات لم تتعلق قدرته بشئ حتى أراده، كما أنه لم يرده حتى علمه، إذ يستحيل فى العقل أن يريد مالايعلم، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالايريد كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق فى غير حى كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير موصوف بها فما فى الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولاخسران، ولاعبد ولا حُر، ولابرد ولا حَر، ولا حياة ولاموت، ولاحصول ولافوت، ولانهار ولاليل ولااعتدال ولاميل، ولابر ولا بحر، ولاشفع ولاوتر، ولاجوهر ولاعرض، ولاصحة ولامرض، ولافرح ولاترح، ولاروح ولاشبح، ولاظلام ولاضياء، ولاأرض ولاسماء، ولاتركيب ولاتحليل، ولاكثير ولاقليل، ولاغداة ولاأصيل، ولابياض ولاسواد، ولارقاد ولاسهاد، ولاظاهر ولاباطن، ولامتحرك ولاساكن، ولايابس ولارطب، ولاقشر ولالب،

ولاشئ من هذه النـسب المتـضادات منها والمختلفات والمتماثلات، إلا وهو مراد للحق تعالى، وكيف لايكون مرادا له وهو أوجده فكيف يوجد المختار مالايريد لاراد لأمره ولامعقب لحكمه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويضل من يشاء ويهدى من يشاء، ماشاء كان وما لم يشأ أن يكون لم يكن، ولو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى أن يريدوه ماأرادوه، أو يفعلوا شيئا لم يرد الله تعالى إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه مافعلوا ولااستطاعوا على ذلك ولاأقدرهم عليه فالكفر والإيمان، والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته، ولم يزل سبحانه موصوفا بهذه الإرادة أزلا والعالم معلوم غير موجود، وإن كان ثابتا فى العلم فى عينه ثم أوجد العالم من غير تفكر ولاتدبر عن جهل - جل وعلا من ذلك - بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان، فلا مريد فى الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل سبحانه ﴿ **وماتشاءون إلا أن يشاء الله**﴾(١٢) وأنه سبحانه كما علم فأحكم، وأراد فخصص،وقدر فأوجد، كذلك سمع ورأى وحرك أو سكن أو نطق فى الورى من العالم الأسفل والأعلى، لايحجب سمعه البعد فهو القريب، ولايحجب بصره القرب فهو البعيد، يسمع كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس، ويرى السواد فى الظلماء والماء فى الماء، لايحجبه الامتزاج ولاالظلمات ولا النور وهو السميع البصير، تكلم سبحانه لا عن صمت

ولاسكوت متوهم ـ بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ـ كلم به موسى عليه السلام، سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل من غير حروف ولاأصوات ولانغم ولا لغات، بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولالسان، كما أن سمعه من غير أصمخة ولاآذان، كما أن بصره من غير حدقة ولاأجفان كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان، كما أن ذاته لاتقبل الزيادة والنقصان، فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان، كل ماسواه فهو عن وجوده فائض، وعدله الباسط له والقابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لاشريك له في ملكه ولامدبر معه في ملكه، إن أنعم فنعّم فذلك فضله، وإن أبلى فعذب فذلك عدله، لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف، ولايتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف، كل ماسواه تحت سلطان قهره، ومتصرف عن إرادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء الآخذ بها من شاء هنا في يوم النشور، لايحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله، أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين، فقال: هؤلاء للجنة ولاأبالي وهؤلاء للنار ولاأبالي، ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لاموجود كان سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت

أسماء آلائه ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان، أو شقيا لكان من ذلك فى شأن، لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد، فمنهم الشقى ومنهم السعيد، هنا وفى يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبديل ماحكم عليه القديم، وقد قال تعالى فى الصلاة هى خمس وهى خمسون، ﴿ **مايبدل القول لدى وماأنا بظلام للعبيد** ﴾[١٣] لتصرفى فى ملكى وإنفاذ مشيئتى فى ملكى، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر، إلا بوهب إلهى، وجود رحمانى، لمن اعتنى الله به من عباده وسبق له ذلك بحضرة إشهاده، فعلم حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم، وأنه من رقائق القديم، فسبحان من لافاعل سواه، ولاموجود لنفسه إلا إياه، ﴿ **والله خلقكم**[١٤] **وماتعملون** ﴾ ﴿ **لايسئل عما يفعل وهم يسئلون** ﴾[١٥] ﴿ **فلله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾[١٦] .

الشهادة الثانية:

وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسى بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده، ذلك سيدنا محمد ﷺ، الذى أرسله الله إلى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبلغ ﷺ ماأنزل من ربه إليه، وأدى أمانته ونصح أمته ووقف فى حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه، فخطب وذكر، وخوف وحذر، وبشر وأنذر، ووعد، وأوعد

وأمطر وأرعد، وماخص بذلك التذكير أحدا من أحد، من إذن الواحد الصمد، ثم قال: ألا هل بلغت؟ فقالوا: بلغت يارسول الله، فقال ﷺ: اللهم فاشهد، وإنى مؤمن بكل ماجاء به فقرر أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لايؤخر، فأنا مؤمن بهذا إيمانا لاريب فيه ولاشك، كما آمنت وأقررت أن سؤال فُتانى القبر حق، وعذاب القبر حق، وبعث الأجساد من القبور حق، والعرض على الله تعالى حق، والحوض حق، والميزان حق، وتطاير الصحف حق، والصراط المستقيم حق، والجنة حق، والنار حق، وفريقا فى الجنة وفريقا فى النار حق، وكرب ذلك اليوم حق على طائفة، وطائفة أخرى لايحزنهم الفزع الأكبر، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين،وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من شاء حق،وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، والتأبيد لأهل النار فى النار حق، وكل ماجاءت به الرسل من عند الله حق، فهذه شهادتى على نفسى أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سئلها حيثما كان، نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان وثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان، وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان. أ. هـ.

ومعنى قوله رضى الله عنه: تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون بعده أو يكون قبلها، المراد نفى القبلية الزمانية، أما سبق وجود الحق على الحوادث فهو تقدم ذاتى، مقدس عن الزمان، وهو غير التقدم الزمانى فإن الزمان مخلوق.

وإذا كان تقدم أمس مثلا على اليوم لايحتاج لزمن يتقدم فيه - كما ذكره المحققون - وإلا لاحتاج الزمن إلى زمن والزمن إلى زمن إلخ، فكيف بمن ليس كمثله شئ، ﴿**سبحان ربك رب العزة عما يصفون**﴾ (١٧) ولذلك قال بعدها: فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه.

وبذلك يتبين أن المراد نفى القبلية الزمانية، وتقرير القبلية الذاتية، فإنها هى اللائقة بالمنزه عن الزمان، وكما أنه تعالى منزه عن المكان، وقد كان ولامكان، ولما خلق المكان فمازال سبحانه على ماهو عليه، منزه عن المكان، فكذلك الزمان.

ثم ذكر رضي الله عنه هذه العقيدة باصطلاح آخر ثم اصطلاح آخر، والمعنى واحد وإن كانت الألفاظ متغايرة، وكل ماتفرق فى كتابه بل سائر كتبه يرجع إلى هذه العقيدة مهما اختلف التعبير، يعرف ذلك كل من كان من أهل هذا الشأن، وخالط اصطلاح الصوفية رضى الله عنهم، وتمكن فى فهمه وبرىء من الهوى.

وكل مالم يمكن حمله علميا على هذا الوجه فهو مدسوس عليه وهو برىء منه وارجع إلى مقدمة كتاب: اليواقيت والجواهر للشيخ الشعرانى، فى إثبات أن ماخالف الشريعة مدسوس على الشيخ الأكبر رضى الله عنه، وكتاب: براءة ابن العربى عن طعن الغبى، للحافظ السيوطى وكتاب: الاغتباط للعلامة الفيروز آبادى صاحب القاموس، وقد رجع كثيرون ممن كان يظن فيه وفى الصوفية عن طعنه،

عندما تبين لهم أنهم لم يصيبوا مقاصدهم وأن مرادهم غير ماكانوا فهموه، وعلى كل حال الأصل فى المؤمن البراءة، ومتهمه هو المطالب بإثبات تهمته، وحال المؤمن يحمل على الصلاح، وقد نقل قوم شيئا من كلامه لم يفهموه، ثم أخذوا ينسبون إليه عقائد هو برىء منها، ومن عرف ماتواضع عليه الصوفية من التعبير لايجد فيه مخالفة لاتساقه بالواضح من كلامهم رضى الله عنهم والمنصف يرد إليه.

أما هذا الكتاب الذى بين يديك فقد جمعته من أمهات كتب الطريق غير زاعم أنى أتيت فيه بجديد وكيف يزعم ذلك أحد ونحن فى زمان كان يتعوذ منه النبى ﷺ وأصحابه من أن يلحقوه أو يروا أهله فنسأل الله لنا ولكم السلامة فى الدين والإخلاص فى العمل.

صلاح الدين التجانى

الهوامش

(١) سورة النساء الآية (٨٥).

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٨).

(٣) سورة النور الآية (٣٧).

(٤) سورة الفرقان الآية (٦٣).

(٥) سورة يونس الآية (٦٢).

(٦) سورة السجدة الآية (١٦).

(٧) سورة الأحزاب الآية (٤١).

(٨) سورة الزمر الآية (١٧).

(٩) سورة الصف الآية (٩).

(١٠) سورة هود الآية (٥٤).

(١١) سورة المُلك الآية (١٤).

(١٢) سورة التكوير الآية (٢٩).

(١٣) سورة ق، الآية (٢٩).

(١٤) سورة الصافات الآية (٩٦).

(١٥) سورة الأنبياء الآية (٢٣).

(١٦) سورة الأنعام الآية (١٤٩).

(١٧) سورة الصافات الآية (١٨٠).

اليواقيت

ياقوتة فى الجهاد

جاهد هواك ولا تكن ذا فترة   فيه وكن للنائبات خليلا
لا تركنن إلى البطالة إنها   تردى وكن للحادثات وصولا

قال تعالى ﴿ **وما جعلَ عليكم فى الدين من حرج** ﴾[1] ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾[2] وهذا خطاب خاص بأهل المجاهدة والمكابدة فما قال لهم ذلك إلا بعد مالاقوه فى جهادهم تنفيسا لهم وتأنيسا. فلم تنزل إلا بعد قوله تعالى ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم** ﴾[3]. وصاحب المجاهدة هو الذى عليه فى عمله مشقة وهى المجاهدة ومنهم من لا يجدها فلا يكون صاحب مجاهدة. والمجاهدون أربعة أصناف:

١ – مجاهدون بدون تقييد ﴿ **وفضل الله المجاهدين** ﴾[4]

٢ – مجاهدون بتقييد فى سبيل الله ﴿ **والمجاهدون فى سبيل الله** ﴾[5].

٣ – المجاهدون فيه ﴿ **والذين جاهدوا فينا** ﴾[6].

٤ – المجـاهدون فى الله حق جهـاده ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾(٧).

فالقسم الأول: هم المجاهدون بالله الذى ليس من صفته التقييد، فجهاده فى كل شئ، وهذا مشقته أعظم لأن مـجاهدته مطلقة، ولذلك كـانت له عند الله درجـات إذ كـانت لغـيـره من المجـاهدين درجـة ﴿ **فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة** ﴾(٨). وهؤلاء ما باعوا نفوسهم ولا اشتراها الله منهم، إذ أنهم نظروا فوجدوا نفوسهم هدية من الله إليهم فأهدوها إليه تعالى بغير بيع ولا شراء ولا عوض، فاستحقوا من الله الأجر العظيم.

والقسم الثانى : المجاهدون فى سبيل الله. وهى الطريق إلى الله فهو فى جهاد لأنه فى طريق عرض نفسه فى السلوك فيه إلى إتلاف ماله، ونفسه، ويتم أولاده، وفقد مألوفاته.

قال تعالى ﴿ **وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله** ﴾(٩). وقال تعالى ﴿ **يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون** ﴾(١٠). ولما نظرنا إلى أعظم المشـقـات لم نجـد أعظم من إتلاف المهج فى سبيل الله، ولما علم تعالى من العبـاد مـشـقـة ذلك عليـهم قدم شراء الأموال والنفوس منهم حتى يرفع يدهم عنها فبقى المشترى يتصرف فى سلعتـه كيف شاء، والبائع وإن أحب سلعته فالعوض الذى أعطاه فيـه، وهو الثمن أحب إليه مما باعه فـقال ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾(١١).

وبعد هذا الشراء أمر أن يجاهد بها فى سبيل الله ليهون ذلك عليهم فهم يجاهدون بنفوس مستعارة أعنى النفوس الحيوانية القائمة بالأجسام، فهم كمن سافر على دابة مستعارة ومال غيره وقد رفع عنه الحرج مالكها عندما أعاره إن نفقت الدابة وهلك المال، فهو مستريح القلب مما يناله من الطعن بالرماح والرشق بالسهام والضرب بالسيوف، والإنسان مجبول على الشفقة الطبيعية فهو يشفق على مركوبه من حيث أنه حيوان لا من جهة مالكه، فالنفوس التى اشتراها الله فى هذه الآية هى النفوس الحيوانية الجسيمة اشتراها من النفوس الناطقة المؤمنة ﴿ **اشترى من المؤمنين** ﴾[١٢] وهى النفوس الناطقة الموصوفة بالإيمان،فالمؤمن لا نفس له إذ أن الله قد اشتراها وهو لا يشترى إلا نفسا مؤمنة، فمن ادعى الإيمان وله نفس فقد كذب فى دعواه.

أما القسم الثالث: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾[١٣] الذين قلنا لهم فيها ﴿ **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[١٤] يعنى السبيل التى لكم فيها السعادة وإلا فالسبل كلها إليه ﴿ **وإليه يرجع الأمر كله** ﴾[١٥] ، ولما كان سبب الجهاد أفعالا تصدر من الذين أمرنا بقتالهم وجهادهم وتلك الأفعال أفعال الله فما جاهدنا إلا فيه لافى العدو إذ أنه تعالى الظاهر فى المظاهر فما فى الوجود إلا الله تعالى فما جاهد فيه سواه ﴿ **ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ [١٦] ولذلك تمم الآية بقوله ﴿ **وإن الله لمع**

المحسنين﴾[١٧] والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإذا رأيته علمت أن الجهاد إنما كان منه وفيه.

والقسم الرابع : الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وقوله تعالى ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾[١٨] فالهاء من جهاده تعود على الله وذلك لأن الجهاد وقع فيه ولا يعلم أحد كيف الجهاد فى الله إلا الله، فالله المجاهد لا هم وإن كانوا محل ظهور الآثار فهم المجاهدون لا مجاهدون.

فهؤلاء لا ينظرون إلى العالم من حيث عينه وإنما من حيث هو مظهر لصفات الحق تعالى.

وأصحاب الأقسام الأربعة كلهم عارفون، إذ أن هذه الأقسام مركبة كلها من مقام الإحسان وهم أهل بلاء ومشقة ماهم بأهل دنيا ولا أهل أخرى ولكنهم هم أهل الله وخاصته.

قال السرىّ رضي الله عنه: باسطنى ربى مرة فقال لى: ياسرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر، فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر، فقلت للباقين معى لا الدنيا أردتم ولا الآخرة أخذتم فما تريدون؟ قالوا: إنك تعلم مانريد، فقلت: إنى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم مالا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون؟ قالوا: إن كنت أنت المبتلى فافعل ماشئت، هؤلاء عبادى حقا آ.هـ.

فمن عرف قيمة ما يطلب هان عليه مايبذل. فهؤلاء المجاهدون ينتــقلون إلى الدار الآخــرة بدون مــوت ولذا فــهم لا يغــسلون **﴿ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء﴾**(١٩). **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا﴾**(٢٠) .

ورسول الله ﷺ وأصحابه جاهدوا لله وفى سبيل الله فأحلت لهم الغنائم، أما الأمم السابقة فكانوا يقاتلون لأنفسهم ولديارهم وأموالهم **﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾**(٢١) فلم تحل لهم،بل كانت تنزل عليها نار من السماء فتأكلها.

ياقوتة فى نَفَس الرحمن جل جلاله

قال رسول الله ﷺ لما اشتد كربه من المنازعين «إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»

رواه أحمد

وهو من التنفيس من الشدة والضيق الذى كان فيه بالأنصار رضى الله عنهم أجمعين فنصر الله تعالى الدين بهم.

واعلم أن الله تعالى لما توجه إلى إيجاد المخلوقات إنما توجه على إيجادهم بأسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة فخرجوا أذلاء تحت هذا القـهـر الإلـهى وتعـرف إليـهم حين أوجـدهم بهـذه الأسماء ﴿ **والملائكة من خيفته** ﴾[٢٢] ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون** ﴾[٢٣] وقال رسول الله ﷺ «رأيت جبريل كالحلس البالى من خشية الله ﷻ تعالى».

رواه الطبرانى فى الأوسط بسند صحيح

فهم ومن دونهم يعبدون الله على الخشية لا على الحب والود، فلم يتمكن لمن خلق بهذه المثابة أن يرفع رأسه ولا أن يجد فى نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله، فكيف على من خلقه!، وقد أشهده أنه في قبضته وتحت قهره، وشهدوا كشفا نواصيهم ونواصى كل دابة بيده ﴿ **ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها** ﴾[٢٤] والأخذ بالناصيـة عند العرب إذلال ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين** ﴾[٢٥] .

وأما الثقلان فخلقهم تعالى بأسماء اللطف والحنان والرحمة فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء ورأوا أنفسهم مستنّدة فى وجودها إلى رحمة وعطف، ولم يبد الله لهم من جلاله ولاكبريائه ولا عظمته فى خروجهم إلى الدنيا شيئا من العز والكبرياء، فلو شهدوا أن نواصيهم بيد الله شهادة عين ما عصوا الله طرفة عين وكانوا مثل

سائر المخلوقات يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴿ **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾[٢٦] ولكن الله تعالى أراد منهم الإقبال عليه إقبال حب لا إقبال خشية، فلما ظهروا عن هذه الأسماء الرحمانية قالوا: ياربنا لم خلقتنا، قال: لتعبدون أى: لتكونوا أذلاء بين يدى، فلم يروا صفة قهر ولا جناب عز تذلهم ولاسيما وقد قال لهم: لتذلوا إلىّ فأضاف فعل الإذلال إليهم فزادوا بذلك كبرا فلو قال لهم ماخلقتكم إلا لأذلكم لفرقوا وخافوا فإنها كلمة قهر فكانوا يبادرون إلى الذلة من نفوسهم خوفا من هذه الكلمة، كما قال للسموات والأرض ﴿ **ائتيا طوعا أو كرها** ﴾[٢٧] فلم يقل كرها فإنها كلمة قهر حيث أتت.

فلما رأى الثقلان ذلك العطف والحنان عصوه فلم يطيعوه ﴿ **وعصى آدم ربه** ﴾[٢٨] وعصى إبليس ربه، فمعصية إبليس كانت عن تكبر على الله، وذلك مما عصم منه آدم عليه السلام.

وإذا شاء الله تعالى أن يعتنى بعبده ويرزقه التوفيق يجعل عبوديته بين عينيه فيصير عبدا تام العبودية لله تعالى فإذا أداه ذلك إلى حرج وضيق وقهر، حينئذ يلتفت إلى الأسماء التى منها وجد، وهى أسماء الرحمة فيحن إليها ويطلبها لتزيل عنه ما هو فيه من الضيق والحرج ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾[٢٩] ويعرف أن لها سلطانا فتنفس عنه ما يجده من ذلك، قال تعالى ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا** ﴾[٣٠] فالمتقى دائما

خائف مراقب لأسماء القهر ولا يكون أحد يشهد الرحمن الرحيم الرؤوف ويتقيه وإنما يشهد السريع الحساب الشديد العقاب المتكبر الجبار فيتقيه ويخاف منه فيؤمنه تعالى بأن يحشره إلى الرحمن ليخفف عنه، فهو تعالى بالرحمة أوجدنا وتأخرت المعصية فتأخر غضبه عن رحمته فى الثقلين، ألا ترى أن الله تعالى إذا ذكر أسماءه لنا يبتدئ بأسماء الرحمة ويؤخر أسماء الكبرياء لنأخذها بحكم التبعية فقبلنا أسماء العظمة، لما رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها ولذلك بدأ كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم حتى سورة التوبة، قالوا إنها وسورة الأنفال قبلها سورة واحدة، وقالوا أيضا أن بسملتها فى سورة النمل، ألا ترى أنها كتبت بغير ألف بعد الباء كالتى فى فواتح السور على خلاف ﴿ **إقرأ باسم** ﴾(٣١) و﴿ **باسم الله مجراها** ﴾ (٣٢) فقد كتبت بألف، ثم انظر فى اسمها سورة التوبة، والتوبة تطلب الرحمة ماتطلب التبرى وإن ابتدأ جل وعلا بالتبرى فقد ختم بآية لم يأت بها ولا وجدت إلا عند من جعل الله شهادته شهادة رجلين وهو قوله تعالى ﴿ **لقد جاءكم رسول . . .** ﴾(٣٣)، فإن كنت تعقل علمت ما فى هذه السورة من الرحمة المدرجة ولا سيما فى قوله تعالى «ومنهم»، «ومنهم»، وذلك كله رحمة بنا لنحذر الوقوع فيه فلم تتضمن سورة من القرآن فى حقنا رحمة أعظم من هذه السورة.

وقد يتطرق إلى الأذهان أن الجن والإنسان سواء لاشتراكهما فى أسماء العطف والرحمة هيهات هيهات فعندما قالت الملائكة ﴿ **وما**

منا إلا له مقام معلوم﴾[٣٤] وهكذا كل موجود له مقام معلوم فيه خلق وفيه عاش وفيه ينتهى، فالحجر حجر منذ خلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والملَك ملَك منذ أن خُلق إلى منتهاه ماعدا الثقلين لهم مقامات غُيبت عنهما إليها ينتهى كل أحد منهما بانتهاء أنفاسه فآخر نفس هو مقامه المعلوم الذى يموت ويبعث عليه ولهذا دعوا إلى السلوك فسلكوا علواً بإجابة الدعوة المشروعة وسفلا بإجابة الأمر الإرادى.

عن أبى هريرة ﷺقال كنا عند رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبى ﷺ «أتدرون ماهذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال:«هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين خريفا فالآن انتهى إلى قعرها».

فما فرغ إلا والصراخ فى دار منافق من المنافقين مات وعمره سبعون عاما فقال رسول الله ﷺ «الله أكبر» فعلم علماء الصحابة أن هذا الحجر هو ذاك المنافق، وأنه منذ خلقه الله يهوى فى نار جهنم فلما مات حصل قعرها.

والمقام المعلوم لصالحى الجن ليس كالمقام المعلوم لصالحى الإنس كما بيَّن من قال ﴿ **قبل أن تقوم من مقامك﴾**[٣٥] وبين من قال ﴿ **قبل أن يرتد إليك طرفك﴾**[٣٦] فالإنس وحدهم لهم الخلافة عن الله ﴿ **إني جاعل فى الأرض خليفة﴾**[٣٧] وهم حاملو أمانة الحق وسره ﴿ **وحملها الإنسان﴾**[٣٨] خلقهم الله بيده وأسجد لهم ملائكته وخلقهم على صورته «إن الله خلق آدم على

صورته، وعرفهم عليه به إذ صار سمعهم وبصرهم وجميع قواهم فما عرف إلا نفسـه بنفسه وأنى يتسنى ذلك للجن فما هم إلا خدم عند مقام العارفين من الانس.

وكذلك يظهر نفس الرحمن فى الذين يغضب عليهم ربنا تعالى فإذا اشتد عليهم غضبه أرسل عليهم نفس الرحمن فى صورة عذاب فيأخذهم فيذهب الغضب إذ أن الغضب من الله تعالى أشد من العذاب ألف مرة، وذلك مثل ما نفس الله به علىٰ حبيبه بقتال المشركين وكان ذلك عذابا على الكافرين ومن نفس الرحمن قوله ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾(٣٩) فلا تتكبدوا مشقة الإتيان إليه والبحث عنه، ومن نفس الرحمن مانفَّس به على الموجدات فأوجدها بعد أن كانت عدما.

ياقوتة في الورع

أصله قول رسول الله ﷺ: «دع مايريبك إلى مالا يريبك» ومحله الأمور المشتبهات» وبينهما أمور مشتبهات».

فكلما حاك فى صدورهم شئ من المكاسب تركوه حتى كانوا فى أشد مايكونون من الشدة، وحتى لم يجدوا حلالا إلا ماتنبت به الأرض من بقلها على ضفاف الأنهار ومايخرجه الله تعالى من النبات فى الصحارى والقفار، فبعث الله عليهم نفس رحمة حتى

صاروا يعرفون الحلال من الحرام عن طريق خرق العادة أو عن طريق عـلامـة بينهم وبين ربهم، أو يقـذف الله فى قلوبهم نـورا فيستفتون تلك القلوب السليمة فتخبرهم الخبر.

أما الورع فى المنطق: فقد أداهم إلى العزلة والسياحة حتى لايقعوا فى الغيبة والنميمة، فلما ساحوا فى بطون الأودية وفى الصحارى والقفار ووجدوا من الوحشة ماتتزلزل له الجبال، أدركهم نفس رحمة منه تعالى فآنسهم بسماع تسبيح الأحجار وخرير الماء وتسبيح كل أمة وسلامهم عليه حتى أنه يسمع تسبيح جوارحه وكل عضو فيه وتصبير تكلمه السباع إما بلغته وإما يلهمه الله منطقها وتخدمه فيأنس بهم من وحشته، ويصير يجالسه الروحانيون من الجن إلا أن مجالستهم رديئة لكثرة فضولهم فالهروب منهم أفضل، فالجان هم أجهل العالم الطبيعى بالله تعالى، ومجالستهم تورث التكبر على من يظن أنه دونه من عباد الله ويفتتن بهم وبما يخبرونه من حوادث الأكوان ومايجرى فى العالم، فلا يصحبهم أحد فيحصل عنده منهم علم بالله غايتهم أن يمنحوه من علم خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف، فإذا رآهم فى سياحته فليغض طرفه عنهم ولا يلتفت إليهم فإنهم سيتجنبوه، إن رأوه مشغولا بربه عنهم.

وفى هذه العزلة تتحبب إليه الملائكة وتجالسه، ونعم الجلساء هم «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم» فكيف بطالب الله تعالى، فالملائكة: من نور خلقوا، ولا يخرج منهم إلا كل علم إلهى عزيز.

ياقوتة في العزلة

وهى تسبق الخلوة وفيها يعوّد الإنسان نفسه على الجوع والعطش والصمت ومخالفة النفس وعلى الأنس بالله دون غيره.

وهى ثلاثة أنواع :

١ - عزلة فى حاله: بأن يعتزل كل صفة مذمومة وكل خلق دنى.

٢ - عزلته فى قلبه: وهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله، من أهل ومال وولد وصاحب، حتى عن خواطره وكل أحد يحول بينه وبين ذكر الله ولا يكن له هم إلا تعلقه بالله.

٣ - وعزلته فى حسه: وهو أن يعتزل فى الصحارى والقفار والفيافى والأماكن البعيدة عن العمار والخرابات والمساجد المهجورة.

والعزلة إما لنفسك أو لغيرك، فإذا كانت للمبتدئين فهى لأنفسهم حتى يجتمعوا على ربهم، وأما الواصلين فليس لهم نفس فهى لغيرهم لأنهم علموا أن الأرض تزهو وتفخر بذكر الله عليها وهم رضى الله عنهم أهل إيثار وسعى فى حق الغير ورأوا أن المعمور من الأرض لايخلو عن ذاكر لله فيه من عامة الناس وأن المفاوز المهلكة البعيدة عن العمران لا يكون فيها ذاكر لله من البشر فلزم بعض العارفين السياحة صدقة منهم على البيد التى لا يطرقها إلا أمثالهم، وسواحل البحار، وبطون الأودية، وقمم الجبال، والشعاب.

فالله تعالى يقول: ﴿ **ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون** ﴾(٤٠). وأرض الله كل أرض موات لا يكون عليها ملك لغير الله، فتلك أرضه الخاصة المضافة إليه البريئة من الشركة فيها، البعيدة من المعمورة فإن الأرض الميتة القريبة من العمران يمكن أن يصل إليها بعض الناس فيحييها بالذكر والعبادة فيملكها بإحيائها، من أحيا أرضاً ميتة فهى له، والبعيدة من العمران سالمة من هذا فأمرنا تعالى بأن نعبده فيها إذ ليس فيها ملك لغير الله، فرأوا من العجائب والآيات مايبهر العقول وراثة لرسول الله ﷺ ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ...... لنريه من آياتنا** ﴾(٤١) والجهاد فى أرض الكفر التى لا يوحد الله تعالى فيها من هذا النوع، وهذه الأنواع من العزلة هى نسبة لا مقام.

أما عزلة العلماء فهى مقام وهى من المقامات المستصحبة لصاحبها فى الدنيا والآخرة وعزلة العلماء هى أن ينظر إلى أسمائه تعالى فلا يتخلق بشئ منها عبودية لله تعالى ويقول فى نفسه إن الأليق بى أن أعتزل بأسمائى عن أسمائه ولا أزاحمه فيها فاعتزل صاحب هذا النظر عن التخلق بالأسماء الحسنى وانفرد بفقره وذله وعجزه وقصوره وجهله لأنه تعالى ذم من تسمى بأسمائه فقال ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾(٤٢) وقال ﴿ **يطبع الله على كل قلب متكبر جبار** ﴾(٤٣) فاعتزل عن هذه الأسماء وإن ظهر بحكمها فى العالم فكلما قرع عليه الباب اسم إلهى قيل له ماهنا من يكلمك، فقال له الحق تعالى اعتزل عن الجميع فلا تسم نفسك بنفسك بل

دعنى أسميك وأظهرك للوجود بها كلها أو ببعضها فاستجاب العبد تأدبا مع ربه فرجع إلى العبودة التى لم تزاحم الربوبية فتحلى بها، وقعد فى بيت شيئية ثبوته متخليا عن شيئية وجوده ينظر تصريف الحق فيه وهو معتزل عن التدبير فى ذلك فإن تسمّى بأى اسم فإن الله مسميه ما هو تسمى وليس له رد ما سماه به فتلك الأسماء هى خلع الحق على عباده وهى خلع تشريف فمن الأدب قبولها لأنها جاءته من غير سؤال ولا استشرف وقد أمر رسول الله ﷺ بقبول مثل هذا العطاء فمن استشرف وتطلع سلبه الله كل هذا وترك له العبادة فهى اسم حقيقى للعبد وهى ذاته وموطنه وحاله وعينه ونفسه وحقيقته **﴿ وإليه يرجع الأمر كله فاعبده﴾**(٤٤) **﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**(٤٥).

ومن الخلق من يعتزل فى السياحات ليحقق صحبة الله الخاصة فى قول رسوله ﷺ «اللهم أنت الصاحب فى السفر» فهو تعالى يصحبنا فى كل حال نكون عليه ونحن لا نصحبه إلا فى الوقوف عند حدوده فما نصحب فى الحقيقة إلا أحكامه لا هو فله تعالى السيادة والعالم عبيده فخدمة لا صحبة والعبد لا يتمكن له أن يصحب غير سيده لأنه محكوم لاهو يحكم نفسه، فالمؤمن تحت شرعه «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها» فهو تعالى معنا مانحن معه لأنه يعرفنا ونحن لا نعرفه فهو يحفظنا له لا لنا ونحن نطلبه لنا لا له **﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**(٤٦) فأوجدنا له لا لنا، والصحبة لها حق عظيم فمن أخلص مع الله نفسا واحدا يصح به

إطلاق الصـحـبـة مع الله فـلابد أن يراعى الله حق ذلك النفس، ومن استظل بشجرة أو استند إليها طلبا للراحة ولو للحظة فقد صحبها وصار لها عليه حق أن يسقيها، إن وجدها ذابلة مراعاة لحق الصحبة.

ومنهم من أراد الانفراد بذاته من أمثاله حتى لا يبقى له أنس إلابذاته وحده فلا يرى له مِثلا ليحقق أحديته غِيْرةً أن يرى له مثلا كما غار الحق تعالى أن يكون له مثل، مثل قوله تعالى ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾[٤٧].

ومنهم من تحقق بقوله تعالى ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[٤٨] فرأى أن قطع المسافات زيادة تعب إلى تعب فطلب وجهه تعالى فى موضع إقامته، فإذا عرفه صار مقصودا لا قاصدا تقصده الأنوار ولايقصدها، فصاحب السفر مع قوله «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا» وصاحب الإقامة مع قوله ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٤٩] فالسكون مع المشاهدة والحركة مع الفقد.

ولا معنى لشكوى الشوق يوما إلى من لايزول من العيان

فإن تحركت إليه حددته، وإن سكنت معه عبدته، الحركة إليه عين الجهل به والسكون إليه عين العلم به، ما أسرى برسوله ليراه وإنما ليريه من آياته، وإن كان جليس الذاكر فإلى أين يرحل؟

ياقوتة في الخلوة

وهى عكس الجلوة ولا تكون إلا بعد عزلة صحيحة، قال رب العزة جل جلاله «**من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى،**

ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وهذا حديث إلهى صحيح يتضمن الخلوة والجلوة.

ومطلوب صاحب الخلوة: هو العلم بالله فلا يطلب واردا ولا شهودا ولا لصفاء الفكر، فكل هذه نيات معلولة لا تعطى مقاما ولا رتبة، والخلوة على الصورة المعهودة لا تصح إلا للمحجوبين، وأما أهل الكشف فلا تصح لهم خلوة أبدا لأنهم مشاهدون على الدوام، فهم فى ملأ أبدا، ولكن بعض الأكابر قد يدخل الخلوة لمزيد علم بالله مشاهدا لقوله ﴿ **وقل رب زدنى علما** ﴾(٥٠).

فإذا دخل الخلوة فلا يتحدث مع كون من الأكوان ولامع نفسه، قال بعضهم لصاحب خلوة: اذكرنى عند ربك فى خلوتك، فقال له: إذا ذكرتك فلست معه فى خلوة، وهو قوله «**أنا جليس من ذكرنى**» فإنه لايذكره حتى يحضر المذكور فى نفسه، فمن شرط الخلوة الذكر النفسى لا الذكر اللفظى، فأول خلوته الذكر الخيالى، وهو: تصور لفظ الذكر من كونه مركبا من حروف رقمية ولفظية يمسكها الخيال سمعا أو رؤية، ثم يرتقى إلى الذكر المعنوى الذى لا صورة له وهو ذكر القلب، فإذا تلاشت الحروف وثبت المعنى انقدح له المطلوب وزيادة، ولا ينشغل فى الخلوة بقراءة القرآن أو مذاكرة علم ولكن يكون انشغاله وذكره باللفظ المفرد (الله).

والخلوة: إما مَقَام أو مُقَام، فالتى تحدثنا عنها هى خلوة المُقَام، حيث يقيم فيها المريد مع نفسه حتى يصل إلى ربه.

وأما الخلوة، التى هى أعلى المقامات، فيكون فيها العارف خاليا بربه لا بنفسه، ومع ربه لا مع نفسه، وهو قوله تعالى ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾[٥١] وهى من المقامات المستصحبة دنيا وأخرى من حصلت له لا تزول، وصاحبها يكشف له آيات العالم قبل آيات نفسه ثم يريه تلك الآيات فى نفسه ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾[٥٢] جل جلاله، وآيات العالم هى الدلالات له على أنه الحق الظاهر فى مظاهر أعيان العالم، وآيات نفسه أن يريه نفسه جامعا لجميع الحقائق فى العالم كله فالإنسان هو عالم وجيز، والكون هو الإنسان الكبير، فإذا رأى الإنسان نفسه عدما محضا على الحقيقة،وأنه قائم بالله فقد أصبح فى خلوة مع ربه بربه لربه وصح له مقامه.

فالله واحد وإن اختلفت مظاهر ظهوره، فالإنسان واحد ولكن يده ما هى رجله، ورأسه ما هى صدره، وعينه ما هو أذنه، ولا لسانه ولافرجه،وعقله ما هو فكره، ولا خياله، فهو متنوع متعدد العين بالصور المحسوسة والمعنوية ومع هذا يقال فيه إنه واحد ويصدق ويقال فيه كثير ويصدق، فمن حيث أحديته نقول رأى نفسه بنفسه ومن حيث كثرته نقول رأى بعضه ببعضه، فتكلم بلسانه، وبطش بيده،وسعى برجله،واستنشق بأنفه وسمع بأذنه، ونظر بعينه، وتخيل بخياله وعقل بعقله وما ثم إلا هو.

فالخلوة دنيوية وهى من اسمه الباطن، والجلوة أخروية وهى من اسمه الظاهر.

ياقوتة في الخواطر

قال تعالى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾(٥٣) ومن سوء الأدب نسبة إلهام الشر إلى الله تعالى، فلابد من نسبته إلى الشيطان، لقول رسول الله ﷺ: «إن للملك فى الإنسان لمة وللشيطان لمة» فالضمير الأول عائد على الشيطان والثانى عائد إلى الملك إذ لا يجوز أن يقابل الخالق بالمخلوق فقد قال رسول الله ﷺ للخطيب الذى قال: «ومن يعصهما» فقال: بئس الخطيب أنت، إذ أنه جمع بين الخالق والمخلوق فى ضمير واحد وهذا المخلوق هو من هو فما بالك بمن قابل الحق تعالى بأشر مخلوق.

فعلم الإلهام هو أن تعلم أن الله ألهمك بما أوقره فى نفسك، ولكن بقى عليك أن تنظر على يدى من ألهمك ملك أو شيطان.

والشياطين إما حسية وهى شياطين الجن والإنس، وإما معنوية وهو أن الشيطان يلقى إلى الإنسان بابا وأصلا صحيحا فى الدين، ثم يدقق هذا الإنسان فيه النظر فينقدح له من المعانى المهلكة مالا يقدر على ردها بعد ذلك، حتى يكون الشيطان تلميذا لهم يتعلم منهم، فيفتح له الشيطان أمرا عاما تتفقه فيه النفس وتستنبط من تلك الشبه أمورا إذا تكلم بها تعلم إبليس الغواية، كحب أهل البيت: أصل صحيح وواجب على المسلمين،ولكنه جر الشيعة إلى بغض الصحابة ثم بغض رسول الله ﷺ وجبريل ورب العزة تبارك وتعالى الذى لم ينزل الوحى على علىٍّ كرّم الله وجهه.

وكذا ألقت الشياطين إلى أناس قول رسول الله ﷺ «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» وجعل بعض الناس لحرصه على الخير يسن سننا حسنة من الخير، ويريد الناس أن يعملوا بها فيخاف إذا نسبها لنفسه لا تقبل فيضع الأحاديث على رسول الله ﷺ في الحض عليها، فإذا ألقى الملك في خاطره قولا لرسول الله ﷺ من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار «تأول ذلك، وقال: إنما ذلك إذا دعا إلى ضلالة وأنا ماسننت إلا خيرا.

فالشيطان يأتى كل طائفة بما هو الغالب عليهم فلا يزال بالصالحين يلقى إليهم بالخواطر الطيبة حتى إذ اطمأنوا فى الأخذ عنه وظنوه من الله فقد قنع منهم إبليس بهذا القدر من الجهل فهم تحت سلطانه ثم يسلخه من دينه كما تُسلخ الحية من جلدها.

وخواطر الأنبياء كلها إما ربانية وإما ملكية ولاحظ للشيطان فى قلوبهم ومن يُحفظ من الأولياء فى علم الله يكون بهذه المثابة فى العصمة مما يُلقَى لا فى العصمة من وصوله إليه فيأتيهم الشيطان فى الظاهر على أى صورة، لأنه لا يستطيع الوسوسة فى قلوبهم ولكنهم يعرفونه، أما قوله تعالى ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى (أى قرأ) ألقى الشيطان فى أمنيته** ﴾(٥٤) أى فى قراءته: على لسانه ولاحظ له فى قلوبهم، أما رسول الله ﷺ فهو مخصوص من هذه الخصوص بقوله ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾(٥٥) فنَزَّه أيضا لسانه فليس للشيطان عليه سبيل لسانا وقلبا وروحا.

جاء الشيطان لعيسى عليه السلام على صورة شيخ، فقال له قل: لاإله إلا الله، ورضى منه أن يطيع أمره فى هذا القدر فقال عيسى عليه السلام: أقولها لا لقولك، فرجع خاسئا، فالسعادة فى الإيمان أن تقول ماتعلمه لقول رسولك عليه السلام لا لعلمك فإذا قلت ذلك لالقوله وأظهرت أنك قلت ذلك لقوله كنت منافقا، فالشيطان يأتى المنافق من أهل الكتاب فيقول له ألم تعلم أن رسولك بشر بهذا النبى وهما فى النبوة سواء فآمن به عن قول نبيك لا عن قوله، فهؤلاء لما آمنوا قال الله لهم ﴿ **ياأيها الذين آمنوا آمِنوا** ﴾(٥٦) أى: آمنوا بأنبيائى لقول محمد ﷺ لا لعلمكم بذلك ولا لإيمانكم الأول فتجمعوا بين الإيمانين فيكون لكم أجران.

فالشيطان يوسوس بالمحظور للعامة من أهل المعاصى وبالمكروه للعباد من العامة وبالمباح فى حق المبتدئ من أهل الطريق وبالمندوب فى حق المتوسطين وبالواجبات للعارفين.

فإذا نوى العبد أمرا مع الله واستوثق من ذلك أقام له الشيطان عبادة أخرى أفضل منها شرعا فيقطع الأولى ويبدأ الثانية فيفرح إبليس بأن جعله نقض عهد الله من بعد ميثاقه.

فإذا كنت من العامة فإنه سيوسوس لك بفعل المحرمات، فإذا سددت على نفسك باب الحرام أتاك فى المكروه، فإذا امتنعت عن المكروه أتاك فى المباحات من أكل ونوم وشهوة . . . . .الخ.

فليسأل الله كل عالم أن يجعل له علامة تكون له فرقانا فى أمر الخواطر وقد أعطى الله تلك العلامة للعامة وهى ميزان الشرع فميز بين فرائضه ومندوباته،وبين المباح والمكروه والحرام، ونص على ذلك فى كتابه وعلى لسان رسوله، فإذا خطر لك خاطر فى محظور أو مكروه فتعلم أنه من الشيطان بلاشك، وإذا خطر لك خاطر فى مباح فتعلم أنه من النفس بلاشك، فخاطر الشيطان فاجتنبه والمباح أنت مُخيَّر فيه، ولكن إذا طلبت الأرباح فاجتنب المباح واشتغل بدلا منه بالواجب أو المندوب فإذا تصرفت فى المباح فتصرف فيه على حضور أنه مباح وأن الشارع لولا ما أباحه لك ماتصرفت فيه فتكون مأجورا فى مباحك، وإن خطر لك فى فرض أو مندوب فقم إليه فإنه من الملك.

ولكى تفرق بين خواطر النفس والشيطان: فإن النفس تثبت على ما تأمرك به من معصية، أما الشيطان: فيوسوس لك بمعصية ثم يتركها ويوسوس لك فى أخرى، وفى ثالثة، فهو لا يثبت على معصية واحدة، والشيطان يعلم النفس المعصية أول مرة ثم يتركك لنفسك هى التى تأمرك بها بعد ماذاقت حلاوتها، فإذا ذكرت الله تعالى انخنس الشيطان وبقيت النفس تنغص عليك أوقاتك ولا تستطيع لها علاجا إلا بالله تعالى أما الشيطان فإن كيد الشيطان كان ضعيفا.

فَهم قوم أن الشيطان لهم عدو فاشتغلوا بمحاربته ففاتهم محبة الحبيب، وفهم قوم أن الشيطان لهم عدو وأن الله لهم حبيب فاشتغلوا

بمحبة الحبيب فكفاهم عداوة الشيطان وجعل الله تعالى بحكمته الشيطان والنفس والناس حراس الحضرة فلا يدخل الحضرة إلا من غلبهم.

فالنفس والشيطان نقمتان فى الظاهر لمن توقف معهما وحجب بهما وجزاهما الله عن الأولياء خيرا ما عليهم إلا فضل الله ثم فضلهما، لا ينسون جميلهما إذ لولا أن حركهما الله عليك لما دام إقبال العبد إليه.

ياقوتة فى العلم اللدنى

وهو علم ضرورى يكون فى أصل الخلقة والجبلة كعلم الحيوان والطيور والأطفال الصغار ببعض منافعهم ومضارهم ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل . . .** ﴾[٥٧].

والطفل أول ما يخرج من بطن أمه يمده الله تعالى بعلم من لدنه لا كسب له فيه ولا عقل، ويظل يمده بهذا العلم صرفا خالصا حتى تبدأ عنده فى الظهور ملكة العقل والخيال، وكلما ازدادت عنده هذه الملكة كلما نضب عنده العلم اللدنى وصارت روحه تستقى، إما من فكره وعقله، وإما من خياله.

فالقوى ثلاث: قوة علمية، وقوة عملية، وقوة مفكرة.

فالكائنات كالنحل والعناكب والطيور والحيوانات والإنسان فى أول أطوار حياته يمده الفيض الإلهى فيتعلم ويعمل وتظل القوة العلمية والعملية تمد من العلم اللدنى عند جميع الكائنات إلا الثقلين فعندما تتكون عندهما القوة المفكرة تستقى أرواحهم من أفكارهم فكانت القوة المفكرة عندهم بمنزلة الحقيقة الإلهية لغيرهم من الكائنات، حتى سادتنا الملائكة لهم القوة العلمية والعملية إلا أن ترقيهم يكون بالعلم لا بالعمل، وهنا ينقسم الناس.

١ – فمنهم من يمده الله بالعلم اللدنى طيلة حياته من أولها لآخرها وهم الأنبياء عليهم السلام وقليل من الأولياء، فلقد كان سهل رضى الله عنه ممن ولد محفوظا قبل التكليف فلم يرزأه الله فى عهده الذى أخذ عليه وهو فى صلب أبيه آدم بشئ فبقى على أصله يُمَد بالعلم اللدنى، وهذا هو صاحب الدين الخالص الذى لا يشقى، فإنه لا يشقى إلا أهل المكابدة والمجاهدة فى استخلاص الدين ممن أمرهم الله أن يستخلصوه منه،وليس فى الحقيقة إلا هوى نفوسهم.

٢ – ومنهم من إذا رأى القوة الفكرية عنده أصبحت فى زيادة وأصبحت روحه تستمد منها ولكنه رأى أن العقل أحيانا يخدعه والنفس تحوم حولها الشياطين فأخذ يحتال بنفسه حتى يتصل بالله ، ويعود إلى أصله فتستقى روحه من ربها، كما كانت فأخذ فى الرياضات والمجاهدات وسمع قوله تعالى ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾(٥٨)

﴿ **ومن يتق الله يجعل له فرقانا**﴾[٥٩] فتعود روحه تغترف من بحار فيض ربها ولكنه علما أتى بعد اكتساب عمل منا فهو مكتسب لاوهب فيه، لأن التقوى جعلها الله طريقا إلى حصول هذا العلم كما جعل الفكر الصحيح سببا لحصول العلم، والعلم الوهبى لايحصل عن سبب بل من لدنه سبحانه وهو من حضرة اسمه الوهاب، فالنبوات كلها علوم وهبية فالشرائع كلها من علوم الوهب، وهو المقصود بقوله تعالى:﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[٦٠] أى: ما أعطيتم فجعله هبة،فإنه لو أراد العلم المكتسب لم يقل: أوتيتم، بل كان يقول: أوتيتم الطريق إلى تحصيله، أما قول رسول الله ﷺ «من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم» هو علم كسبى.

ومنهم أهل الحجاب الذين اغتروا بعقولهم وأفكارهم فأرواحهم محجوبة عن الله بعقولهم وخيالاتهم، لا يعرفون استمدادا من الله بل يستمدون من أفكارهم، فهم على شفا هاوية إذ أن الأفكار والعقول أعداؤها كثير سواء الشياطين أو النفس أو الهوى، والخيال هو الواسع الضيق فعلى سعته لا يقبل المعانى إلا مقيدة بصورة حسية، فيرى العلم لبنا والدين قيدا، فهؤلاء أعطاهم الله الموازين ليزنوا بها لله فوزنوا بها على الله.

٤ – ومنهم من جمع العلوم كلها كسبا ووهبا، وهو رسول الله ﷺ حيث قال «علمت علم الأولين والآخرين» ثم يأتى يوم القيامة فيحمد الله تعالى بمحامد أخبر أن الله يعلمه إياها فى ذلك الوقت لا يعلمها

الآن فلو علمها غيره لم يصدق قوله علمت علم الأولين والآخرين، وتلك المحامد هى المقام المحمود لا الشفاعة فى الخلق،لأنه تعالى يحب الثناء والمدح فمحبوب الله تعالى أعلى وأوثق من الشفاعة فى المخلوق.

فالعلماء ثلاثة، عالم علمه ذاتى، وهو رب العزة تعالى.

وعالم علمه وهبى،وهم الأنبياء وبعض أكابر الأولياء، وعالم علمه مكتسب وهم كثير.

والأرواح لا تفاضل بينها من حيث أنها مدبرة ولكن بينها تفاضل كبير فى قابليتها للاستقبال النورانى، فليس من استقبل عن الخالق كمن استقبل عن المخلوق، والعقل والخيال كلاهما يحجب صاحبه فإذا عمل العقل فلا خيال وإن عمل الخيال توقف العقل، وتجد من سرح خياله فى شئ وكأنه قد عمى وصم حتى أنه لا يرى ولايسمع من حوله.

ياقوتة في الإشارات

الإشارة هى نداء على رأس البعد.

فالإشارة كمثل رجل ضاق صدره بشئ ثم سمع رجلا ينادى آخر فيقول يافرج فيستبشر، كما فعل رسول الله ﷺ فى مصالحة

المشركين لما صدوه عن البيت الحرام فجاء يصالحه رجل من المشركين اسمه سهيل، فقال رسول الله: «ما اسمك؟» قال: سهيل، فقال ﷺ «سهل الأمر».

وأهل الله لا يستعملون الإشارة فيما بينهم ولافى أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس منهم، والعجيب أنه ما من طائفة إلا ولها إشارات واصطلاحات لا يعلمها الدخيل فيهم إلا بالتعلم من الأستاذ، إلا أهل هذه الطريقة إذا دخلها المريد الصادق فهم الاشارات بدون معلم، وأهل الله تعالى قد اضطروا إلى الإشارة وذلك لأنه ما خلق الله تعالى أشد ولا أشق على أهل الله من علماء الرسوم فهم كالفراعنة للأنبياء، فعدل العارفون إلى الاشارة كما عدلت مريم من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الاشارة فكلامهم رضى الله عنهم فى شرح كتابه العزيز إشارات، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيرا لمعانيه النافعة، فلقد قال تعالى ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم**﴾(٦١) فكل آية منزلة لها وجهان: وجه يرونه فى نفوسهم، ووجه آخر يرونه فيما خرج عنهم، فيسمعون مايرونه فى نفوسهم، إشارات ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك ولا يقولون فى ذلك أنه تفسير وقاية لشرهم وتشنيعهم، وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق، فالله تعالى كان قادرا على تنصيص ماتأوله أهل الله فى كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج فى تلك الكلمات الإلهية التى نزلت بلسان العرب علوم معانى الاختصاص التى فهمها عباده بعين البصيرة، فعلماء الرسوم اختلفوا فيما بينهم وتفاضلوا لما نظروا إلى معانى الآيات بالعين الظاهرة ومع

ذلك عـذر بعضـهم بعضـا ومع ذلك ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشئ مما يغمض عن إدراكهم وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل إلا بالتعلم المعتاد، وماقرأوا قوله تعالى ﴿ **واتقـوا الله ويعلمكم الله**﴾[٦٢] ﴿**علم الإنسـان مـالم يعلم**﴾[٦٣] ﴿ **علمـه البيـان**﴾[٦٤] وقـال للرسل عليـهم السـلام ﴿ **وعلمك مالم تكن تعلم**﴾[٦٥] ﴿ **ونعلمه الكتاب والحكمة**﴾[٦٦] ونسوا أن كل علوم الشريعة وهبية لا كسب فيها من حيث نزولها على الرسل عليهم السلام، فصدق علماء الرسوم عندنا فيما قالوا: إن العلم لا يكون إلا بالتعلم وأخطأوا فى اعتقادهم أن الله لايعلم من ليس بنبى ولا رسول، يقول تعالى ﴿ **يؤتى الحكمـة من يشاء**﴾[٦٧] وهى العلم و (مَنْ) هنا نكرة، فإن الله تعالى قد أغلق باب التنزل بالأحكام المشروعة وما أغلق باب التنزل بالعلم بها وبمعرفة معانيها على قلوب أوليائه حتى يكونوا على بصيرة، وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ماترك لنا رسول الله ﷺ إلا فهما يؤتيه الله من يشاء من عباده فى هذا القرآن.

فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدولة فى الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم فى الخلق بما يفتون به سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا وصانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق إشارات، فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات، أين عالم الرسوم من قول على كرم الله وجهه حين أخبر عن نفسه أنه لو تكلم فى الفاتحة لحمل منها سبعين وقرا، هل هذا

إلا من الفهم الذى أعطاه الله فى القرآن؟ وكل علماء الرسوم إنما يتكلمون فى علومهم على غلبة الظن لا عن بصيرة، وشتان بينهما، فأهل الله منهم من يقول رأيت رسول الله ﷺ يقظة فأعلمنى بصحة هذا الحديث، وقال أبو يزيد رضي الله عنه أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت يقول أمثالنا حدثنى قلبى عن ربى وأنتم تقولون حدثنى فلان وأين هو قالوا مات، عن فلان وأين هو قالوا مات، وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذ قيل له قال فلان عن فلان، يقول: مانريد أن نأكل قديدا هاتوا ائتونى بلحم طرى، يرفع همم أصحابه فإن هذا فلان وأى شئ قلت أنت خصك الله به من عطاياه من إشارته وعلمه اللدنى، أى: حدثوا عن ربكم واتركوا فلانا وفلانا فإن أولئك أكلوه لحما طريا والواهب لم يمت وهو أقرب إليكم من حبل الوريد، والفيض الإلهى والمبشرات ماسد بابها، والطريق واضحة، والباب مفتوح، والعمل مشروع، والله يهرول لتلقى من أتى إليه يسعى، فمن كان معك بهذه المثابة من القرب مع دعواك العلم بذلك والإيمان به لِمَ تترك الأخذ عنه والحديث معه، وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه فتكون حديث عهد بربك.

ياقوتة في النار

اعلموا أن وجود اللذة بالملتذ هو النعيم ووجود الألم عند الأسباب هو العذاب، فالألم غير العذاب، فصاحب أسباب الألم إذا وجد اللذة بتلك

الأسباب وجب عليه الشكر لا الصبر، قال عمر رضي الله عنه ما أصابني الله بمصيبة إلا رأيت أن لله على في تلك المصيبة ثلاث نعم حيث لم تكن في ديني، وحيث لم تكن أكبر منها، وما وعد الله من الثواب عليها.

ثم اعلم بأن جهنم من أعظم المخلوقات، وهى سجن الله فى الآخرة،وسميت جهنم لبعد قعرها، يقال: بئر جهنام، إذا كانت بعيدة القعر، وفيها حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته والحرور كذلك وهى مخلوقة وغير مخلوقة الآن وذلك أنها مبنية ومجهزة كرجل أراد أن يبنى بيتا فأقام حيطانها، فيقال قد بنى بيتا فإذا دخلها لم يجد إلا سورا دائرا على فضاء وبعد ذلك ينشئ غرفها على حسب أغراض الساكنين فيها وكذلك النار لا يوجد فيها الآن آلات العذاب وتنوعه إذ أن ﴿ **وقودها الناس والحجارة** ﴾(٦٨) وتحدث فيها الآلات على حسب أعمال داخليها من الجن والإنس، فهى خلقت من اسمه اللطيف، أى: أنه لطف بها فأوجدها من العدم، أما عذاب المعذبين فيها فمن صفات الغضب الإلهى قال تعالى ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾(٦٩) وهم أهل النار الذين هم أهلها أى: تميزوا عن الذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين وسابق العناية الإلهية بالموحدين.

أما تخاصم أهل النار فإن الخصام هو نفس عذابهم فهم يتعذبون بهذا الخصام فإن عذاب أهل جهنم ما هو من جهنم،وإنما جهنم، دار سكناهم وسجنهم، والله يخلق الآلام فيهم متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له.

ولهـا سـبـعـة أبواب، وهناك باب ثامن مـغلق لا يفـتح وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى والشمس فى جهنم شارقة لا مـشرقة، وقوله تعالى ﴿ وإذا البحـار سجرت ﴾(٧٠) معنى ذلك أن الأرض تعود كلها إلى النار إلا الأمـاكن التى حددها رسول الله أنها فى الجنة كروضته الشريفة وكذا الأنهار التى حددها الله فإنها من الجنة ومعنى أنها فى الجنة بتحديد الشرع أن غيرها من الأرض فى النار، وإبليس أشد أهل النار عذابا ومع ذلك فعذابه بالزمهرير.

والنار ناران: حسية، وهى المسلطة على إحساسه وظاهر جسمه، ونار مـعنوية: وهـى التى تطلع على الأفـئـدة وهى القلوب والأرواح ولاعذاب على الأرواح أشد من الجهل بالله والحجاب عنه، وإذا قالت النار: «هل من مزيد»، وضع الجبـار فيها قدمه، وليست تلك القدم إلاغضبه فإذا وضع غضبه فيها امتلأت فهى دار الغضب ثم وسعت رحمته كل شئ بما فى ذلك النار وما ملأها من غضب.

واعلم أن الناس على نوعين، نوع ليس لإبليس عليـه سلـطان ولا قوة وهم عباد الله ﴿ إن عبـادى ليس لك عليهم سلطان ﴾(٧١) ونوع تحت سلطانه وهذا النوع طائفـتـان، طائفـة لا تضـرهم الذنوب التى وقـعت منـهم ﴿ والله يعـدكم مـغـفـرة منه وفـضـلا ﴾(٧٢) فـلاتمسـهم النـار بما تاب الله عليهم وباسـتـغـفـار الملأ الأعلى لهم، وطائفة أخذهم الله بذنوبهم، والذين أخذهم الله بذنوبـهم قسمان: قسم أخـرجـهم الله من النار بشـفـاعـة الشافـعين وهم أهل الكبـائر من المؤمنين، وبالعناية الإلهية وهم أهل التوحيد بالنظر العقلى.

وقسم آخر أبقاهم الله فى النار وهذا القسم هم أهل النار الذين هم أهلها وهم أربع طوائف.

أولهم: المتكبرون على الله، كفرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله.

والطائفة الثانية المشركون الذين يجعلون مع الله إلها آخر وقالوا ﴿ **مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾(٧٣) .

والطائفة الثالثة المعطلة الذين نفوا وجود الإله جملة فلم يثبتوا إلها للعالم، والرابعة المنافقون وهم الذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف الثلاث.

وليس فى النار دركات إختصاص إلهى، ولكنه أخبرنا تعالى أنه يختص برحمته من يشاء، فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير، وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير أعمالهم فى جنات الاختصاص.

فلأهل السعادة ثلاث جنات: جنة أعمال يدخلونها بأعمالهم، وجنات اختصاص وهى التى يدخلها الأطفال والمجانين وأهل الفترات، وجنات ميراث وهى التى كانت لأهل النار إذا دخلوا الجنة، أما قوله تعالى، ﴿ **زدناهم عذابا فوق العذاب** ﴾(٧٤) فذلك لطائفة مخصوصة وهم الأئمة المضلون وهؤلاء قال فيهم ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم** ﴾(٧٥) وهم الذين قالوا ﴿ **اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وإنهم لكاذبون** ﴾(٧٦) فى هذا القول، بل هم حاملون خطاياهم،

والذين أضلوهم يحملون أيضا خطاياهم وخطايا هؤلاء مع خطاياهم ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شئ، وهو معنى قول رسول الله ﷺ «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا» ومعلوم أن الذى يسن هم الأئمة.

فأهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، واتفق العلماء على أنهم لا يخرجون منها واتفقوا على دوام عذاب قلوبهم وافئدتهم أبد الآبدين، واختلفوا فى عذابهم الحسى هل ينقلب عذابهم إلى استعذاب بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل فيفقدون الإحساس بالألم، ومنهم من قال بتخديرهم وعدم إحساسهم بالعذاب فى زمان النضج والتبديل فى قوله ﴿ **كلما نضجت جلودهم** ﴾(٧٧) ومنهم من قال بدوامه عليهم بنياتهم لا بأعمالهم لأنه إذا عاشوا إلى الأبد فى الدنيا لانطوت نيتهم على الكفر.

وأما الذين سيخرجون منها فإنهم يموتون فيها موتة فلا يحسُّون بعذاب ثم يجاء بهم على أنهار الجنة وهؤلاء هم أهل الموتتين، وذلك قبل ذبح الموت بين الجنة والنار، فينظر أهل النار الذين هم أهلها فلا يجدونهم فيقولون ﴿ **مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار** ﴾(٧٨)، فمن الناس من يقيم فى النار أولا بالجزاء ثم بالأهلية، وغيرهم أقام ورودا وخرجوا بالشفاعات.

والنار قد تتخذ دواء لبعض الأمراض فهى وقاية، وقد جعل الله تعالى النار يوم القيامة وقاية فى هذا الموطن من داء هو أشد من النار

فى حق المبتلى به وأى داء أكبر من الكبائر، فجعل الله لهم النار يوم القيامة دواء كالكى بالنار فى الدنيا فدفع بدخولهم النار يوم القيامة داء أعظم من النار وهو غضب الله، فالغضب أعظم من العذاب فإذا عذب المغضوب عليه تنفس الغضب وزال.

وكما أن الحدود الدنيوية وقاية من عذاب الآخرة لأنها كفارات، أى: تستره هذه الحدود عن عذاب الآخرة، من كَفَّر يعنى ستر، وذلك للمؤمنين أصحاب الكبائر، أما المحاربون الله ورسوله وهم الكفار فإن الله لما عاقبهم فى الدنيا لم يجعل عقوبتهم كفارة مثل ما هى الحدود فى حق المؤمنين، بل قال ﴿ **ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخـرة عـذاب عظيم** ﴾(٧٩) والعـذاب العظيم الذى يعم الظاهر والباطن،قال تعالى ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾(٨٠) وأى عقوبة أشد من عقوبة تعم المستحق وغير المستحق الظالم وغير الظالم وهى هذه الحدود الدنيوية، فهى للظالم عقوبة وللبرئ فتنة واختبار وحدود الآخرة ليست كذلك فإنها دار تمييز فلا تصيب فيها العقوبة إلا أهلها.

وأعظم عذابا من النار الحجاب عن الله، قال رسول الله ، «إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه» فانظر ما ألطف هذه الحجب وما أخفاها فإنه قال ﴿ **ونحن أقرب إليـه من حبل الوريد** ﴾(٨١) مع وجود هذه الحجب التى تمنعنا من رؤيته فى هذا القرب العظيم ومانرى لهذه الحجب عينا فهى أيضا محجوبة عنا وقال تعالى ﴿ **ونحن أقرب**

إليـه منكم ولكن لا تبصـرون﴾[٨٢] نعـم يارينـا مـانبـصـرك ولا نبصر الحجب فنحن خلف حجاب الحجب وأنت منا بمكان الوريد أو أقرب إلينا منا والله غير محدود بحجاب ولا بغيره إلا أن يكون الله هو عين الحـجـاب فـمـا احـتـجـبنا عنك إلا بك ولا احـتـجـبت عنا إلا بظهـورك، وكـيـف نحـتـجب عنه ونحن مظهـر من مظاهر ظهـوره ؟! فحجب النور فى الحديث من اسمه الظاهر، وحجب الظلمة من اسمه الباطن، وذلك هو ظهور الحق تعالى فى مظاهر أعيان الممكنات بحكم ما هى الممكنات عليه من الاستعدادات فاختلفت الصفات على الظاهر لأن الأعيان التى ظهر فيها مـختلفة فتميزت الموجودات وتعددت لتعدد الأعيان وتميزها، فما فى الوجود إلا الله وأحكام الأعيان، وما فى العدم شئ إلا أعيان الممكنات مهيأة للاتصاف بالوجود.

واعلم أن الغضب من الأشياء التى وسعتها الرحمة فما ثم غضب خالص غير مشوب برحمة، والرحمة لا يشوبها غضب وقوله تعالى **﴿ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾**[٨٣] فالغضب جعله يهوى فقط فإذا هوى سقط فى الرحمة فلا يسقط إلا إليها وبالرحمة التى فى الغضب سقط فهى التى جعلت الغضب يهوى به لتستلمه الرحمة الخالصة كالرحمة التى فى الدواء الكريه، ألا ترى إلى ما جعل الله فى النار فى الدنيا من الراحات والمنافع، ولو لم يكن إلا الكى بها لبعض العلل، فإنه أقطع الأدوية ولقوته فى أثره قَدَح فى التوكل لأنه يقوم فى الفعل مقام الشافى والمعافى فحكمت الغيرة على المكتوى بأنه غير متوكل.

سمع أبو يزيد قارئا يقرأ ﴿إن بطش ربك لشديد﴾[٨٤] فقال: بطشى أشد، وذلك لأن بطش الخالق دائما مشوب بلطف ورحمة أما بطش المخلوق فبطش محض وعذاب محض لا رحمة فيه.

ياقوتة في النوافل

إن النوافل مـــا يكون لعـــينهـــا　　　أصل يشـاهد فى الفـرائض كلهـا

فـالفرض كـالأجـرام إن قـابلتـهـا　　　بالنـور والنفل المزاد كظلهـــا

يبـدو بصـورتهـا وليس فـريضـة　　　فيعود فرضا فى الحساب كمثلها

جـاء الحـديث لنا فـبين فـضلهـا　　　شـرعـا ومـيز أصلهـا من أصلهـا

فيكون عين قواك ربك فاغـترف　　　من طلهـا حـتى تفـوز بوبلهـا

والنفل هو كل عمل له أصل فى الفرض، وهى تتفاضل وتعلو بعلو فرائضها، وهى عن أصلها تتولد،وبصورته تظهر كما ظهرنا نحن بصورة الحق، فنحن لـه نافلة وهو أصلنا لهـذا نقول فيـه أنه واجب الوجود لنفسه، ونحن واجبون الوجود به لا بأنفسنا، فبهذه الدرجة يتميز عنا ونتميز عنه.

وماعدا النوافل يسمى عبادة مستقلة وسننا مبتدآت، قال أبو حنيفة رحمه الله: النكاح أفضل نوافل الخيرات، وذلك لأن فرضها هو توجه

الله بالمحبة إلى المحدثات فأخرجها من العدم إلى الوجود فقال لها: كن، فكانت وهى حالة تشبه النكاح فكان النكاح المفروض أفضل الفرائض ونافلته أفضل النوافل، ورسول الله ﷺ حبب إليه النساء من هذا الوجه وكان النكاح نصف الدين من هذا الوجه.

فوجود الحق هو الفرض ووجود العبد نافلة عن ذلك الفرض وقوله تعالى ﴿ **ليس كمثله** ﴾(٨٥) أى: ليس كمثل مثله شئ وما مثله إلا من خلق على صورته،فنفى سبحانه أن يماثلك شئ فكيف به هو جل جلاله.

ياقوتة في الزهد

وهو يتحقق حتى فى الفقير الذى لا يجد شيئا يزهد فيه، وذلك لأن الفقير متمكن من الرغبة فى الدنيا والتعمل فى تحصيلها فتركه لذلك التعمل والطلب والرغبة عنه يسمى زهدا.

فمقام الزاهد: هو الزهد فى كل اسم إلهى يحول بينك وبين عبوديتك، قال أبو يزيد كنت زاهدا ثلاثة أيام أول يوم زهدت فى الدنيا، واليوم الثانى زهدت فى الآخرة، واليوم الثالث زهدت فى كل ما سوى الله ، فنادانى الحق ماذا تريد؟ فقلت: أريد أن لا أريد لأنى أنا المراد وأنت المريد، فالزهد عنده حال وليس بمقام.

ولو رأيت الحق لم تزهد فإن الله مازهد فى الخلق وماثم تخلق إلا بالله فبمن تتخلق فى الزهد.

وذلك أنه مازهد من زهد إلا لطلب الأكثر فزهد فى الأقل ﴿ **قل متاع الدنيا قليل** ﴾(٨٦) فأين الزهد فما تركوا الدنيا إلا حذرا أن يرزأهم فى الآخرة فهذا عين الطمع والرغبة فيما يتخيل أنه زهد، قيل لبعضهم: ما الزهد عندكم قال: إذا وجدنا شكرنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ، فقال: وما الزهد عندكم؟ قال: إذا فقدنا شكرنا، وإذا وجدنا آثرنا.

ياقوتة في الجود

عن الجود صدر الوجود ، وهو العطاء قبل السؤالفالجود من الحق هو ظهوره فى الأعيان وهو امتّنان ذاتى، والجود من الخلق هو استعدادهم الذاتى للانفعال للأسماء، وهو ذاتى لا امتنان فيه.

والجود ـ بفتح الجيم ـ هو المطر الكثير، وهو مقلوب وجد مثل جذب وجبذ.

ياقوتة في الإيثار

ليس للحق منه صفة لأنه عطاء محتاج لمحتاج.

ياقوتة في الصدقة

وهى تصدق الحق على العبدبإبقاء عينه فى الوجود، وبإيجاده أولا مع علمه بأنه إذا أوجده يدعى الألوهية ويقول أنا ربكم الأعلى. والصدقة من العبد على الحق هو ما يجده العبد فى نفسه من عزة الصورة وربوبية صفاتها ومع هذا يتركها ، ويقر له بالعبودية الخالصة.

ياقوتة في الهدية

فهدية الحق للعبد نفسه، وهدية العبد للحق رد تلك النفس إليه بغير بيع ولا شراء بل محبة لله خالصة.

ياقوتة في الكرم

أما عطاء الكرم فهو العطاء بعد السؤال وهو على نوعين: سؤال بالحال، وسؤال بالمقال.

فسؤال الحال: عن كشف من الطرفين، وسؤال المقال: من العبد، يارب اعطني، اغفرلي وسؤال الحق ﴿ **ادعوني** ﴾[٨٧] ﴿ **أقم الصلاة** ﴾[٨٨] ﴿ **أقيموا الوزن بالقسط** ﴾[٨٩] وكل طلب تصور من الحق يطلبه من عباده، وهي الفرائض كلها فمن الكرم تؤدى الفرائض ومن الجود تكون النوافل.

ياقوتة في السخاء

هو العطاء على قدر الحاجة وهو من اسمه الحكيم، وهو قول موسى عليه السلام ﴿ **ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى** ﴾[٩٠] وقوله تعالى ﴿ **وكل شئ عنده بمقدار** ﴾[٩١] ﴿ **ومانتزله إلا بقدر معلوم** ﴾[٩٢] ﴿ **ولكن ينزل بقدر ما يشاء** ﴾[٩٣] وأما سخاء العبد: فإعطاؤه كل ذى حق حقه، فلنفسه عليه حق، ولأهله عليه حق ولزووه عليه حق.

ياقوتة في العوض

وأما طلب العوض ﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾[٩٤] ومن العبد ﴿إن أجرى إلا على الله﴾[٩٥] .

ياقوتة في العطاء

عطاء المحسن غير عطاء المؤمن والمسلم، فعطاء المحسن لايتقيد بل يعم جميع الخلق فلا يشترط فيه صغيرا ولا كبيرا، ولا ذكرا ولا أنثى، ولا غنيا ولا فقيرا، ولا مؤمنا ولا كافرا، ولا عاقلا ولا مجنونا، تخلقا باسمه المعطى والمحسن والرب والرحمن، فالله لا يفرق فى العطاء بل يعطى جميع خلقه، فيعطى العطاء لأول من يلقاه فإن رده عليه حينئذ أعطاه للثانى.

وأما إن كان العطاء مقيدا فهو بحسب ما تقيد به فحكم ذلك راجع إلى حكم الشرع فيعمل الأولى ويبتدىء بالذى أمره الشارع أن يبتدئ به ويبحث عنه حتى يجده.

ياقوتة في الكلام

إن الكلام عبارات وألفاظ وقد تنوب إشارات وإيماء
لولا الكلام لكنا اليوم فى عدم ولم تكن ثم أحكام وأنباء

فأول كلام شق أسماع الممكنات كلمة: «كن» فما ظهر العالم إلا عن صفة الكلام،وهو توجه نفس الرحمن على عين من الأعيان فى حضرة العدم فينفعل ذلك العين ويخرج إلى الوجود على حسب مايراد منه.

والكلام من الكلم وهو الجرح لأنه يؤثر فى جسم المجروح فكذلك الكلام فلابد لكل متكلم من أثر فى نفس من كلمه، والله تعالى وحده هو الذى إذا توجه إلى عين بكلام فلا يملك هذا العين إلا أن ينفعل لكلامه ويطيع مقصوده فيه، أما غيره فلقد قال الله لرسوله ﷺ وهو من هو ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾(٩٦) فإنه قال للكافرين قولوا لا إله إلا الله فما امتنع المأمور وإنما الممتنع لا إله إلا الله فإن هذا اللفظ هو المأمور أن يكون فى هذا المحل، فلو تكون فى محل هذا الشخص لظهر عينه وأعطاه اسم الاسلام كما أن هذا الشخص لما قال له الحق: «كن» وهو فى العدم لم يتمكن له إلا أن يكون ولابد فمعنى ﴿ **إنك لاتهدى من أحببت** ﴾(٩٧) أى أنك لا تقدر على من تريد أن تجعله محلا لظهور ماتريد إنشاءه فيه أن يكون محلا لوجود انشائك فيه، فليس كل متكلم فى الدنيا بإلهى مطلق، لكن له الإطلاق فيما يريد أن ينشئه فى نفسه لافى غيره.

ياقوتة في القيومية

من لا تنام له عين وليس له قلب ينام فذاك الواحد الأحد
مقامه الحفظ والأعيان تعبده ولا يقيده طبع ولا جسد

ومقام القيومية للخلق فيه تخلق ،قال تعالى ﴿ **الرجال قوامون على النساء**﴾[٩٨] ومنه مقام السهر، ومن تنام عينه ولاينام قلبه هو صاحب هذا المقام فيحفظ العبد بسهر قلبه ذاته الباطنة كما يحفظ بسهر عينه ذاته الظاهرة، وهذه صفة قطب الوقت الذى يحفظ الله به الكون من صفته الحفيظ، وهذا القطب إذا سهر سهر بعين الله وعين الله حافظته.

ياقوتة في النوم

هو حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى شهود عالم البرزخ، وهو أكمل العوالم يجسد المعانى ويجعل مالا صورة له يجعل له صورة ويجعل ما ليس قائما بنفسه قائما بنفسه ويرد المحال ممكنا، فإذا كان له كل هذا الإطلاق وهو خلق مخلوق لله فماظنك بالخالق سبحانه، وكذلك يأتى تعالى بأعمال العباد، وإن كانت أعراضا صورا قائمة توضع فى الموازين لإقامة القسط، ويؤتى بالموت مع أنه نسبة

فى صورة كبش أملح يريد فى منتهى الوضوح فيعرفه جميع الناس وكذلك نعيم الجنان فى فاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة فهى كما قال تعالى ﴿**لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾(٩٩) فإن الله جاعل فيها رزقا يسمى قطفا وتناولا وهى فى أماكنها، كما جعل للجن فى العظام رزقا وما نرى ينقص من العظم شئ، ونحن بلاشك نأكل من فاكهة الجنة قطفا دانية مع كون الثمرة فى موضعها من الشجرة، لاكما قال المفسرون فى هذه الآية، وذلك لأنها دار بقاء لما يتكون فيها لا دار فناء وإعدام، وكذلك سوق الجنة ندخل فى أى صورة شئنا من صور السوق مع كوننا على صورتنا لا ينكرنا أحد من أهلنا ولا من معارفنا ونحن نعلم أن قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا فأين العقول والمعقول هنا.

والنوم صفة نزه الله نفسه عنها ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾(١٠٠) وذلك حال أهل الجنة فى الجنة فإنهم لا ينامون.

ياقوتة فى الخوف

منهم من يخاف الحجاب، ومنهم من يخاف رفع الحجاب، يخاف الحجاب لأنه أشد العذاب، ويخاف من رفع الحجاب لأنه

١

يخاف لو رفع الحجاب لذهبت عينه فلم يحط برؤية الجمال المطلق «لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ماأدركه بصره من خلقه»

الليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فمقام الخوف هو مقام الحيرة، ومن خاف من غير هذا فهو حال لا مقام، فإن المقام هو ماله قدم راسخ فى الألوهية، والحال إنما يأتى ويزول بزوال حكم ماتعلق به.

فأهل النار محجوبون ولكن عن ربهم، والرب هو المربى الذى يعلم مصلحة من يربيه فهو المربى والمصلح فما حجبهم عنه إلاليصلحهم.

ولما وقف ﷺ على مقام الخوف أداه إلى أن طلب أن يكون نورا «واجعلنى نورا» فكأنه يقول اجعلنى أنت ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾(١٠١) حتى أراك بك فلاتذهب عينى برؤيتك لكن أندرج فيك كما قال النابغة.

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وما ذهب لها عين وما ظهر لها عين

لما تعلق علم الخوف بالعدم لم أخش منه فحزنا رتبة القدم

أنا الوجود فلا خوف يصاحبنى لأن ضدى منسوب إلى العدم

إن الذى خفت منه لا وجود له فاترك مخافته لحما على وضم

ياقوتة في الرجاء

مقام مخوف يحتاج صاحبه إلى أدب حاضر ومعرفة ثابتة، وهو مقام عن جانب الطريق ما هو فى نفس الطريق، تحته مهواة سحيقة عميقة ولا ينبغى أن يظهر سلطانه إلا عند الاحتضار، وأما فى حال الحياة فيستوى مع الخوف، قال تعالى «أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا، وليظن بنفسه شرا فيستوى الخوف والرجاء، أما عند الموت فهو مشغول بربه فلا يبقى إلا ظن الخير وهو من المقامات المستصحبة فى الدنيا والآخرة، وقد يتعلق الرجاء بتحصيل شئ كقول رسول الله ﷺ «فيقول لو كان لى مثل هذا العامل من الخير لفعلت مثل ما فعل فهما فى الأجر سواء» فهذا قد فاته العمل وجنى ثمرته بالتمنى وربما زاد على صاحب العمل فإن العامل مسئول ﴿ **ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾(١٠٢) وهذا غير مسئول لأنه ليس بعامل ولايكون هذا إلا لمن لم يعطه الله أمنيته من الخير الذى تمنى العمل به فإن أعطاه ماتمناه من الخير فليس له هذا المقام ولا هذا الأجر، وليس الكلام هنا عن رجاء العاصين فى رحمة الله ذلك رجاء آخر.

أما مقامنا هذا فهو مقام عبد شهد ضعف عبوديته فى عدم الوفاء بما تستحقه الألوهية فى قوله تعالى ﴿ **فاتقوا الله ماستطعتم**﴾(١٠٣) هذا من جهتنا، وأما من جانب ماتستحقه الربوبية على العبودية فقوله ﴿ **اتقوا الله حق تقاته**﴾(١٠٤) وهو مقام صعب فمن ترك الرجاء فقد ترك نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف خوف،

وبصف رجاء وكلاهما متعلقهما عدم، فإذا أصبح العبد صاحب شهادة وهو أعلى من الإيمان إذ أنه شهد وآمن به والشهادة علم والإيمان تقليد والتقليد يناقض العلم إلا أن يكون المخبر معصوما وليس بينك وبينه واسطة فى إخباره وهذا لا يكون اليوم إلا عند أهل الكشف والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هم وأهل الكشف سواء فهم علماء غير مقلدين إذ أنهم سمعوا شفاها من الرسول ﷺ مالا يحتمله التأويل.

فاجعل دليلك ربك على الأشياء، فإن كنت كذلك كنت صاحب علم.

ياقوتة فى الصبر

يقول تعالى ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾(١٠٥) فأخبر أنه يؤذى فتسمى سبحانه بالصبور على أذى خلقه، والصبر: هو حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله والركون إلى ذلك الغير، وليس الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الله تعالى فإنه تعالى قد سأل عباده أن يرفعوا أذاهم عنه، مع أنه قادر على أن لا يخلق فيهم ما خلق من الأذى، وورد أنه: لا أحد أصبر على أذى من الله وهو من المقامات التى تزول بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، والصبر الإلهى يزول حكمه بزوال الدنيا، وهذه بشرى بإزالة اسم المنتقم،

والشديد العقاب، إذ قد رأينا إزالـة الصبور ورحمته سبقت غضبه فبـإزالة الدنيـا زال الأذى عن كل من أوذى، ومن أسبـاب العـقـاب الأذى والأذى قد زال فلابد من الرحمة وارتفاع الغضب، فلابد من الرحمة أن تعم الجميع بفضل الله وهذا ظننا فى الله وهو قال: «أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا» فأخبر وأمر ولم يقيد فى حق الظان ولا غيره.

والصبر أنواع، الصبر فى الله إذا أوذى فيه، والصبر مع الله إذا رأى المعذب فى العذاب، والصبر على الله حال فقده لربه بوجود نفسه، والصبر بالله أن يكون الحق عين صبره كما هو سمعه وبصره، والصبر من الله حال رفع الحول والقوة منك، والصبر عن الله وهو أعظمها مقاما، وهو الصبر الذى يزول بالموت، وصاحب هذا الصبر ينسب الصبر إليه نسبة الاسم الصبور إلى الله ولهذا يرتفع بزوال الدنيا فهؤلاء أخذوا الصبر عن الله كما تقول أخذت هذا العلم عن فلان فأنت فيه كهو.

أما الصبر المعروف عند العامة ففيه مقاومة للقهر الإلهى وسوء أدب مع الله إذ أنه تعالى لم يبتل عباده إلا ليتضرعوا إليه ويسألوه رفع ما ابتلاهم به من البلاء عنهم، قال بعضهم وقد بكى حين أخذه الجوع إنما جوعنى لأبكى، فهو يبكى له فإن الأكابر لا يحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله، فإذا مدح الله الصابرين فهم الذين حبسوا نفوسهم عن الشكوى لغير الله ألا ترى إلى عالم العلماء ﷺ يقول إذا سألتم الله فسلوه العافية، وهى من عفى الأثر إذا ذهب، فالعافية تذهب بالبلاء وأثره.

ياقوتة في المراقبة

﴿ وكان الله على كل شئ رقيبا ﴾(١٠٦) وهو نعت إلهى لنا فيه شرب، وهو قوله تعالى ﴿ ولايؤده حفظهما ﴾(١٠٧) فالمراقبة الأولى مراقبتنا للأشياء هى عين مراقبتنا إياه إذ أنه الظاهر فى المظاهر فمنهم من قال: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله وآخر بعده وآخر معه وآخر فيه، والمراقبة الثانية: مراقبة الحياء ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾(١٠٨) فهو يراقب رؤيته وهى تراقبه فهو يرقب مراقبة الحق إياه فهذه مراقبة المراقبة، والمراقبة الثالثة: أن يرقب قلبه ونفسه الظاهرة والباطنة ليرى آثار ربه فيها فيعمل بحسب مايراه من تلك الآثار وكذلك يرقب الموجودات الخارجة عنه ليرى آثار ربه فيها منها ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ﴾(١٠٩).

قال رسول الله ﷺ «إن للدنيا أبناء، وإذا كان لها أبناء فهى أم لهؤلاء الأبناء، ومن عادة الأم أن ترقب أبناءها لأنها المربية لهم، ولهم عليها حنو الأمومة والحذر عليهم أن تؤثر فيهم ضرتها وهى الآخرة فيميلون إليها، وهى خائفة أن تأخذهم الضرة الآخرة فإن الدار فى هذا الوقت للدنيا والحكم لها، وكما أن الدار الدنيا لا تعترض الدار الآخرة إذا انتقل الناس إليها، فالدنيا أنصف من الآخرة فإنها فى دار سلطانها وإذا جاءت الآخرة وكان يومها لا تعترض الدنيا ولا تزاحم الآخرة.

قال قتادة رضى الله عنه: ما أنصف أحد الدنيا، ذُمت بإساءة المسئ فيها، ولم تُحمد بإحسان المحسن فيها، فلو كانت بذاتها تعطى القبح والسوء ماتمكن أن يكون فيها نبى مرسل ولا عبد صالح.

كيف وقد وصفها الله بالطاعة، وقال: ﴿أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾(١١٠) والصالح لا يرث إلا المال الصالح، قال رسول الله ﷺ «إذا قال أحدكم: لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه، «فهذا ابن عاق لها كيف لعنها والدنيا من حنوها على أبنائها لم تقدر أن تلعن ولدها! فقالت: لعن الله أعصانا لربه فما قدرت أن تسميه باسمه مع إنه صرح باسمها فهذا حنو الأم وشفقتها على ولدها، وقال رسول الله ﷺ «نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر» فوصفها بالمطية التى تهرب بهم من الشرور وتزين لهم الخير وتشوقهم إليه فهى تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر إلى موطن الخير وذلك لشدة مراقبتها إلى ما أنزل الله فيها من الأوامر الإلهية المسماة شرائع فتحب أن يقوم بها أبناؤها ليسعدوا.

فينبغى لأهل المراقبة أن يكون بدؤهم فى الدخول لاكتساب هذه الصفة أن يرقبوا أحوال أمهم، لأن الطفل لا يفتح عينيه إلا على أمه فلا يبصر غيرها فيحبها طبعا ويميل إليها أكثر مما يميل إلى أبيه لأنه لا يعقل سوى من يربيه وبأفعالها ينبغى أن يقتدى، وبذلك يصعب عليها أن يكون أبناؤها ينسبون إلى الآخرة وماولدتهم ولاتعبت فى تربيتهم، ثم بعد ذلك ينسب الناس ما هم عليه من الشرور إليها وهى أحوالهم ما هى أحوال الدنيا، ونسبوا أعمال الخير إلى الآخرة وهى أحوالهم ما هى أحوال الآخرة فمن عرف الدنيا فقد عرفها ومن جهلها فهو بالآخرة أجهل، وأهل الكشف إذا كوشفوا

الافتخار به، ولذا قيل فى الأرض ذلول لأن الأذلاء يطأونها، فالعبد مع الحق فى حال عبوديته كالظل مع الشخص فى مقابلة السراج كلما قرب من السراج عظم الظل ولا قرب من الله إلا بما هو لك، وإذا عرف التلميذ من الشيخ أنه عبدلله تام العبودة فقد فتح الله على ذلك التلميذ بما فيه سعادته فإنه يتجرد إلى جانب الحق تجرد الشيخ، فإنه عرف منه واتكل على الله لا عليه وبقى ناظرا فى الشيخ ما يجرى الله عليه من الحال فى حق ذلك التلميذ من نطق بأمر يأمره به أو ينهاه أو بعلم يفيده فيأخذه التلميذ من الله على لسان الشيخ، ويعلم التلميذ فى نفسه من الشيخ ما يعلمه الشيخ من نفسه أنه محل جريان أحكام الربوبية حتى لو فقد الشيخ لم يقم فقده عند ذلك التلميذ كأبى بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حين مات ما بقى أحد إلا اضطرب إلا أبا بكر فما تغير لما وقر فى قلبه من سر العبودة لله تعالى فظهر حكم ذلك السر فى ذلك اليوم، فصاحب مقام العبودة يسرى ذوقه فى كل ما سوى الله أنه عبد وأنه محل جريان تعريفات الحق له فيفتقر إلى كل شئ فإنه مايفتقر إلا إلى الله.

إذا صحت عبودة كل عبد ... تصح له السيادة فى الوجود
فيحكم مثل سيده وتبدو ... عليه بذاك أعلام المزيد
ويخبرنا لسان الحال عنه ... بأن الأمر فيه من الشهود
له تعنو الوجوه إذا تبدى ... كما عنت الملائك بالسجود
فيسمو رفعة ويذل عزا ... فيدعى بالمراد وبالمريد

وطالعوا أحـوال الآخرة فليست تلك الآخرة على الحقيـقة، وإنما هى الدنيـا أظهـرها الله لهم فـى عـالم البـرزح بعين الكشف أو النوم فى صورة ماجهلوه منها فى اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة فـذلك الذى رأوه هو حـال الدنيا التى خلقـها الله عليـها من الخـير والطاعـة، ومـعلوم أن القـيامـة مـا هى مـوجـودة الآن فـإذا رؤيت فى الحياة الدنيا فما هى إلا قيامة الدنيا وجنة الدنيا، ولذا قال عليه السلام «مُـثلت لـى الجنة فى عـرض هذا الحـائط» والحـائط من الدار الدنيـا وتمـثل الشئ مـا هو عـين الشـئ بـل هو شـبـهـه، وقـال مـتـمـدحـا ﴿ والله ملك السموات والأرض﴾(١١١) وهما للدار الدنيا.

فـراقبـوا الله عبـاد الله مـراقبـة الدنيـا أبناءها فـهى الأم الرقـوب، وكونوا على أخلاق أمكم تسعدوا.

فـإن راقبت فاعلم من راقبت فمـازالت عنك ولا عـرفت سـوى ذاتك.

ياقوتة فى العبودية

العبودية نسب إلى العبودة والعبودة مخلصة من غير نسب ولذا لم تأت بيـاء النسب، فـأذل الأذلاء من ينتـسب إلى ذليل على جـهـة

والحاصل أن صحبة من يوصل إلى الله ما هى إلا صحبة الله والنظر إلى العارف بالله فإنما هو النظر إلى الله إذ لم تبق فيه بقية عليه لغير الله فصار نورا محضا من نور الله فهو فى مقام العبودة، وفى الحديث «إن لله رجالا من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا «وفى الحديث»: لا تمس النار مسلما رآنى ولا من رأى من رآنى» «ولا تصح العبودة المحضة التى لا يشوبها ربوبية إلا للإنسان الكامل.

إذا جهلت أرواحنا علم ذاتها فذلك موت والجسوم قبور
وإن علمت فالحشر فيها محقق وكان لها من أجل ذاك نشور
فما العالم إلا بين نور وظلمة وكل كلام دون ذلك زور

ياقوتة فى الولى

نعت إلهى وهو للعبد خُلق لا تخلق ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾(١١٢) سرى فى كل ما ينسب إليه الألوهية مما ليس بإله ولكن لما تقرر فى نفس المشرك أن هذا الحجر أو هذا الكوكب أو ما كان من المخلوقات أنه إله وهو مقام محترم لذاته تعين على المشرك احترام ذلك المنسوب إليه لكون المشرك يعتقد أن تلك النسبة إليه

صحيحة، ولما علم الله سبحانه أن المشرك ما احترم ذلك المخلوق إلا لكونه إلها فى زعمه نظر الحق إليه لأنه مطلوب، فإذا وفى بما يجب لتلك النسبة من الحق والحرمة وكان أشد احتراما لها من الموحد وتراءى الجمعان كانت الغلبة للمشرك على الموحد، إذ كان معه النصر الإلهى لقيامه بما يجب عليه من الاحترام لله وإن أخطأ فى النسبة وقامت الغفلة والتفريط فى حق الموحد فلم تتعلق به الولاية لأنه غير مشاهد لإيمان فالله يقول ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾(١١٣) فأى شخص صدق فى احترام الألوهية واستحضرها وإن أخطأ فى نسبتها ولكن هو مشهوده كان النصر الإلهى معه غيرة إلهية على المقام الإلهى، فإنه العزيز الذى لا يغلب فما جعل نصره واجبا عليه للموحد وإنما جعله للمؤمن بما ينبغى للألوهية من حرمة، فالولاية من الله عامة فى مخلوقاته من حيث ما هم عبيده وبهذه الولاية تولاهم فى الإيجاد، ولما كان متعلق الولاية المؤمنين لذلك أشهدهم على أنفسهم ﴿ **ألست بربكم** ﴾(١١٤) ولم يقل لهم ألست بواحد لعلمه بأنه إذا أوجدهم أشركوا ووحد بعضهم واجتمعوا فى الإقرار بالربوبية وزاد المشرك الشريك، ثم إنه سبحانه من عموم ولايتهم أن تولاهم بالوجود فى أعيانهم ويحفظ الوجود عليهم وتولاهم بما رزقهم مما فيه قوام عيشهم ثم تولاهم بإنزال الشرائع فلم يتول تعالى إلا المؤمنين، وما ثم إلا مؤمن والكفر عرض.

أما الرسل فرسالتهم غير ولايتهم فالرسل من حيث هم رسل لا من حيث هم أولياء وعارفون على مراتب ما هى عليه أممهم فما

عندهم من العلم الذى أرسلوا به إلا قدر ما تحتاج إليه أمة ذلك الرسول لا زائد ولا ناقص فتفاضل الرسل فى علم الإرسال بتفاضل أممها ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾(١١٥) والرسالة لا تستصحب الرسول بعد موته إنما تصحبه نبوته ومعرفته وولايته، أما تفاضل الأنبياء فبحسب استعدادهم فى المعرفة والنبوة ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾(١١٦) ، أما الخلق فقال تعالى فيهم ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق**﴾(١١٧) والرزق منه ماهو روحانى كالعلوم وحسى كالأغذية، فالولاية لم تنقطع أما نبوة التشريع أو الرسالة فمنقطعة، وفى محمد ﷺ قد انقطعت فلا نبى بعده يعنى مشرعا أو مُشَرَّعًا له، وإلا فإن عيسى عليه السلام نازل لا محالة وهو نبى ورسول ولكنه على شرع محمد ﷺ ولا يأتى بشرع جديد.

والله تعالى ما تسمى بنبى ولا رسول ولكنه تسمى بولى ﴿ **الله ولى الذين آمنوا**﴾(١١٨) ﴿ **هو الولى الحميد**﴾(١١٩) ولكن رحمة بعباده أبقى للناس النبوة العامة التى لا تشريع فيها، وأبقى لهم التشريع فى الاجتهاد فى ثبوت الأحكام وهى وراثة سليمانية حيث أعطيت هذه الأمة رتبة سليمان عليه السلام ﴿**ففهمناها سليمان**﴾(١٢٠) وأبقى لهم الوراثة فى التشريع فقال: «العلماء ورثة الأنبياء» فإذا رأيت النبى ﷺ يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولى وعارف قال رسول الله ﷺ «من سن سنة حسنة» فلا شك أن الشرع قد أباح له أن يسن سنة حسنة «فله أجرها وأجر من عمل بها» وهو من جملة

ما ورث من الأنبياء، وكيف ينكرون ذلك وهم يثبتون حكم المجتهد إذا أخطأ وله أجر وقد أقره الشرع وهو حكم شرعى مقبول.

﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾[١٢١] أى: من العلم بهم إلى العلم به.

وولاية العبد ربه فى قوله ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم**﴾[١٢٢] وكذا فيها ولاية الرب لعبده.

ياقوتة فى الملائكة

اعلم أن الملائكة ثلاثة أصناف، صنف مهيم: تجلى لهم فى اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنهم فلايعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه ولا ماهيمهم فهم سكارى، والصنف الثانى: الملائكة المسخرة حجبهم الله عن هذا التجلى الذى هيم أصحابهم وهذا الصنف لهم نصرة للمؤمنين إذا أذنبوا وتوجهت عليهم أسماء الإنتقام الإلهية ﴿ **ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما**﴾[١٢٣] مازادوا على ذلك تأدبا مع الغيرة الإلهية وتعرضا لله تبارك وتعالى بأن رحمته وسعت كل شئ، وأما نصرتهم بالدعاء لمن

والتـاليـات والمرسـلات والناشـرات والفـارقات والملقيـات والنازعـات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات والمقسمات.

والصنف الثـالث: مـلائكة التدبيـر وهم الأرواح المدبرة أجـسام العـالم المركب، وهذه المدبرة هى النفـوس الناطقـة وولايتـهـا هى نصرتها لله فيما جعل فى أخذها به سعادتها وسعادة جسدها الذى أمـرت بتدبيـره، ومن هذا النوع من الملائكة السـياحـون فى الأرض يتبعون مـجالس الذكر، فإذا وجدوا مـجلس ذكر نادى بعضهم بعضا هلموا إلى بغيتكم وذلك لأنهم خلقوا من أنفاس الذاكرين.

ياقوتة فى الله جل جلاله

عن أبـى رزين العـقـيلى رضى الله عنه، قلت: يارسـول الله أين كـان ربنا قـبل أن يخلق الخلق؟ قال «كـان فى عـمـاء ما تحـتـه هواء ومافوقه هواء وخلق عرشه على الماء».

رواه الترمذى وابن ماجه بسند حسن

لما شاء الحق سبحـانه وتعـالى من حيث أسـمائه الحسـنى الـتى لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت أن يرى عينه فإن رؤية الشئ نفسـه بنفسـه مـا هى مـثل رؤيتـه فى أمـر آخر يكون له

تاب منهم فهو قولهم ﴿ **فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم**﴾(١٢٤) فصرحوا بذكرهم لما كان هؤلاء قد قاموا فى مقام القرب الإلهى بالتوبة وقرعوا بابها ولما عرفت الملائكة أن هناك منزلة متوسطة بين الجنة والنار تسمى الأعراف فقالت الملائكة بعد قولهم وقهم عذاب الجـحيم ﴿ **ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعـدتهم**﴾(١٢٥) أى لا تنزلهم فى الأعـراف ﴿ **ومن صلح**﴾(١٢٦) الواو بمعنى مع ﴿ **إنك أنت العزيز الحكيم**﴾(١٢٧) تأدبا مع الله إذ أنهم قـالوا ﴿ **إن الله هو الغفور الرحيم**﴾(١٢٨) لأن المقام مقام قبض وعذاب، ثم نصرتهم لمن فى الأرض بغير تعيين مؤمن من غيـره ﴿ **ويستـغـفـرون لمن فى الأرض**﴾(١٢٩) فـدخل المؤمن وغيـره فى هذا الاستغفار ثم إن الله تعالى بشر أهل الأرض بقبول استغفار الملائكة بقوله ﴿ **ألا إن الله هو الغفور الرحيم**﴾(١٣٠) فنعم الإخوان لنا، أما نصرهم المؤمنين فى القتال فإنهم ينزلون العدد أما فى بدر خاصة فإنهم قاتلوا مع المؤمنين ﴿ **وماجعله الله إلا بشرى لكم**﴾(١٣١) إذ أن الله أنزل الملائكة الذين قالوا ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾(١٣٢) فأنزلهم فى يوم بدر فسفكوا الدماء حيث عابوا آدم بسفك الدماء فنصرونا علي الأعداء بما عابوه علينا، إنما وقع الغلط عندهم فى استعجالهم بهذا القول من قبل أن يعلموا حكمة الله فى هذا الفعل.

وملائكة مسخرون فى إنزال الوحى ومصالح العالم من هبوب رياح، ونشء سحاب، وإنزال مطر، إذ كانوا الصافات والزاجرات

كالمرآة، وقد كان الحق تعالى أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه فكان كمرآة غير مجلوة فكان آدم هذا الإنسان الكامل هو عين جلاء مرآة العالم.

رواه الترمذى بسند حسن

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «المؤمن مرآة المؤمن»

رواه البزار والطبرانى فى الأوسط
والضياء والقضاعى بسند حسن
ورواه البخارى فى الأدب وأبو داوود عن
أبى هريرة وقال العراقى إسناده حسن

والمؤمن اسم من أسمائه سبحانه وتعالى فالحق تعالى يرى صورته فى الإنسان الكامل.

عن عوف بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الأبدال فى أهل الشام فبهم تنصرون وبهم ترزقون» والناصر والرازق هو الله تعالى ولذلك عبر عن الإنسان الكامل بمرآة الحق وهو معنى قوله تعالى ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾(١٣٣).

وكما أن ذات الله تعالى خفيت عن الأبصار فقد خفيت عن الأفكار والعقول والملائكة، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه سبحانه وتعالى كما يطلبه غيرهم ونحن مطالبون بالعلم بتوحيده لا بذاته ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾(١٣٤).

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) «إن الله تعالى قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإذا سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه».

رواه البخارى

فالكامل منا له نافلة وليس للملائكة نافلة فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار من فرائضنا، وعبيد حب واختيار من نوافلنا، فالكامل منا يبلغ أن يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه فحينئذ يتعرف على الله بالله لا بنفسه إذ أنه تعالى لا يعرفه إلا هو.

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فأمرنا أن نشرع فى العمل على الحجاب حتى نراه فنرى العمل صادرا منه فينا ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾[١٣٥] ﴿**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم**﴾[١٣٦] فلما أحب الحق تعالى أن يعرفه خلقه وعلم ضعفهم عن ذلك تجلى لهم فى أول حضرة من الحضرات وهى حضرة أسمائه وصفاته فعرفهم نفسه بصفات يعرفونها وجعل بيننا وبينه حجابا وبرزخا فى هذا البرزخ بصفات القديم كالعلم والقدرة والغنى، فإذا تخطينا هذا البرزخ يسمى نفسه بصفات الحوادث حتى نعرفه ونأنس به كصفة الفرح والتبشبش والاتيان والنزول والسمع والبصر والحلم وغيرها من صفات البشر بل ويتودد إلينا ويستقرضنا ويستحى من الشيخ الكبير ونتسمى

نحن فى هذا البرزخ بصفات القديم كالعلم والقدرة والغنى فإذا تخطينا هذا البرزخ فالخلق خلق وحقٌ وإلا فالله تبارك وتعالى جلت صفاته وتنزهت عن إدراك عقولنا لكمالها لأننا صنعة الله ولا يمكن لصنعة أن تدرك صانعها.

ثم ألقى الله تعالى من نور هذه الأسماء على خلقه فانفعلت لها الأكوان جميعا، فمن المخلوقات من تحمل اسما واحدا كالجمادات كانت عدما فأوجدها باسمه الخالق، ومنها من تحمل اسمين ومنها ثلاثة فالحيوانات خلقها ورزقها وقدرها وأمدها بسمع وبصر بأسمائه تعالى الخالق القادر الرزاق السميع البصير، ولم يكن فى مقدور مخلوق أن يتحمل الإمداد بجميع أسمائه تعالى إلا الإنسان وهذه هى الأمانة فى قوله تعالى ﴿ **إنا عرضنا الأمانة** ﴾[١٣٧] وليست الأمانة هى التكاليف لأن الجن مكلفون، أما الذى حمل الأمانة فى الآية الإنسان فقط ﴿ **وحملها الإنسان** ﴾[١٣٨] فمن حملها عرضا فقد هلك ومن حملها من الإنسان جبرا فهو مؤد لها على كل حال، فهذه هى أمانة الخلافة عن الله ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾[١٣٩] فهذا الإنسان الكامل الخليفة عن الله، هو الذى تخلق بأسمائه تعالى على ماينبغى أن يكون التخلق وعلى أعلى كمال فى المتُخلِّق، وعندما تظهر بوادر العصيان من الرعية على هذا الخليفة ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾[١٤٠] فإنه يسألهم عن علمهم بالأسماء التى يجب أن يتخلق بها الخليفة عن الله فلا يجيبون فيظهر علمه وعجزهم، ولكن تبقى فيهم بعض روائح الغبطة بلغة

حسن الظن فيأتى هذا الملك بوزرائه المقربين ويأمرهم بالسجود لهذا الخليفة فيسجد الجميع طاعة للأمر وإذعانا للمقام، ثم من لم يسجد طُرد ولُعن فعندئذ تتحقق لهذا الخليفة المعظم السيادة والتقدم بلا شريك ولا منازع فى خلافته.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «خلق الله آدم على صورته»

متفق عليه

أى: هو الوحيد الذى تخلق بأخلاق الحق جميعا، فكان الحق جميع قواه فإذا نظرت إلى هذا الإنسان الكامل ذكرت الله تعالى، فهذه النشأة الإنسانية بكمالها روحا وجسدا ونفسا خلقها الله تعالى على صورته ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾(١٤١) أى: ليس مثل مثله شئ وليس مثله إلا من خلقه على صورته فليس كمثل الله شئ، وليس مثل هذا الإنسان شئ.

فلا يتولى حل نظامها إلا من خلقها ألا ترى من وجب عليه القصاص كيف شُرِّع لولى الدم أخذ الفدية أو العفو، ألا ترى إذا كان أولياء الدم جماعة فرضى واحد بالدية أو عفا عنها وباقى الأولياء لا يريدون إلا القصاص كيف يراعى من عفا ألا تراه ﷺ يقول فى صاحب النسعة «إن قتله كان مثله» وفى القرآن ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾(١٤٢) فجعل القصاص سيئة أى يسوء مع كونه مشروعا ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾(١٤٣) لأنه على

صـورتـه فـأجـره علـى من هو علـى صـورتـه، ومـا ظـهـر تعـالـى بالإسم الظاهر إلابوجـوده فـمن راعـاه إنما يراعى الحق، ومـا يذم الإنسـان لعينه ولكن لفعله وفعله ليس عينه.

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بما هو خـيـر لكم وأفـضل من أن تلقـوا عـدوكم فـتـضـربوا رقابـهم ويضـربوا رقابكم ذكر الله»

رواه أحمد والترمذى والحاكم ومالك فى الموطأ

وذلك أنه لا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية إلا من ذكر الله الذكر المطلوب منه، فإنه تعالى جليس من ذكره، والجليس مشهود للذاكر ومتى لم يشاهد الذاكر الحق الذى هو جليسه فليس بذاكر فإن ذكر الله سار فى جميع العبد لا من ذكره بلسانه خاصة فإن الحق يكون جليس اللسان فقط.

ومع أن داود عليه السلام خليفة وقاتل عن أمر الله، ولكن الله تعالى حـرمه من إتمام بيت المقدس لما تلطخت يده من دماء خلقه وإن كان محقا وبإذن.

ويتولى الحق تعالى هدم النشأة بالمسمى موتا وليس بإعدام ولكن يأخذه الحق إليه ويسوى له مركبا غير هذا المركب من جنس الدار التى انتقل إليها، وكما أن هذا الكون شهادة عندنا والله غيب نؤمن به فإن لله تعالى فى خلقه ضنائن مجهولين فى العالم لا يشهدون فى الكون إلا الله لا يعرفون عالما لأنهم لا يشهدونه عالما فهم يشهدون

الحق عينا ويشهدون العلم إيمانا وغيبا، لأن الحق أخبرهم أن ثم عالما فيؤمنون به ولا يرونه ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم**﴾(١٤٤) ولاشهادة على غائب فهم يشهدونه تعالى أولا ثم يرون أنوار الإيجاد والإمداد نازلة من أسمائه على شتى المخلوقات وكل يتحمل منها على حسب طاقته وفطرته واستعداده.

فعند أهل الله الحق مشهود والخلق معقول وعند غيرهم العكس، فأهل الله يمشون على طريق يعرفونها ويعرفون غايتها «كنت رجله التى يمشى بها» فهى فى حقهم صراط مستقيم، ومن الناس من يمشى على طريق يجهلها ولا يعرف غايتها، فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد.

ولما أراد تعالى خلق هذا الخليفة المعظم نفخ فيه من روحه ليصح النسب، وقد صح من جهة الكشف قول رسول الله ﷺ «من عرف نفسه عرف ربه» وفى كتاب «أدب الدين والدنيا» للماوردى عن عائشة رضى الله عنها قالت: سُئل النبى ﷺ من أعرف الناس بربه فقال: «أعرفهم لنفسه»، فتعين على كل إنسان يحترم إنسانيته أن يتعرف على سر سجود الملائكة وهل غير روحه، فلا يغرنك قول من قال عدم جواز الخوض فى الروح وعلومها مدعيا حرمة ذلك لقوله تعالى ﴿ **قل الروح من أمر ربى**﴾(١٤٥) فإن اليهود لعنهم الله سألوا رسول الله ﷺ عن الروح ﴿ **يسألونك عن الروح**﴾ أى يهود

﴿ قل﴾ أى قل لهم ﴿ الروح من أمـر ربى﴾ أى عن أمـر ربى ﴿ وما أوتيتم﴾ أى أيها اليهود ﴿ من العلم إلا قليلا﴾[١٤٦] وليس فى ذلك ما يفيد عدم جواز البحث وراء هذا السر العظيم، ومن زعم أن رسول الله ﷺ لا يعرف روحه فقد أعظم الفرية.

كـيف وقـد نفخ الله تعالى هذه الروح الروحانيـة فى هـذه الجثـة الجثمانية للدلالة على وحدانيته وربانيته وذلك من عشرة أوجه:

الأول : أن الهيكل كان مفتقرا إلى مدبر ومحرك وهذه الروح مدبرة ومحركة فعلمنا أن هذا العالم لابد له من مدبر ومحرك.

الثانى : لما كان مدبر الهيكل واحدا وهو الروح علمنا أن مدبر هذا العالم واحد لا شريك له فى تدبيره وتقديره.

الثـالث : لما كـان هذا الجسـد لا يتحـرك إلا بإرادة الروح وتحريكها له علمنا أنه مريد لما هو كائن فى كونه لا يتحرك متحرك بخير أو شر إلا بتقديره وإرادته وقضائه.

الرابع : لما كـان لا يتحـرك فى الجسـد شئ إلا بعلم الروح وشعورها به علمنا أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء.

الخامس : لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شئ أقرب إلى الروح من شئ بل هو قريب إلى كل شئ فى الجسد، علمنا أنه تعالى أقرب إلى كل شئ ليس شئ أقرب إليه من شئ ولا شئ أبعد إليه من شئ.

السادس: لما كان الروح موجودا قبل وجود الجسم، ويكون موجودا بعد عدم الجسم علمنا أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كون خلقه ويكون موجودا بعد فقدهم مازال ولايزال وتقدس عن الزوال.

السابع : لما كان الروح فى الجسد لا يعرف له كيفية علمنا أنه مقدس عن الكيفية.

الثامن : لما كان الروح فى الجسد لا يعرف له أينية علمنا أنه منزه عن الأينية فلا يوصف بأين، بل الروح موجودة فى كل الجسد ماخلا منها شئ من الجسم وكذلك الحق تعالى موجود فى كل مكان ماخلا منه مكان وتنزه عن المكان والزمان.

التاسع : لما كان الروح لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور علمنا أنه لا تدركه الأبصار

العاشر : لما كان الروح لا يُحَس ولا يُمَس علمنا أنه تعالى منزه عن الحس والجسم واللمس.

وهذا معنى من معانى «من عرف نفسه عرف ربه» فإذا أردت أن تتعرف على روحك فقل «الله» فى سرك بغير حركة لسان فستجدك قلتها بغير لسان وسمعتها بغير آذان فتلك هى روحك القائلة السامعة «وما حدثت به أنفسها».

رواه الستة عن أبى هريرة

فهوالمحدثة السامعة حديثها العالمة بما حدثت به أنفسها، وهذا هو ربك المجالس لك «أنا جليس من ذكرنى»، وهذا هو مقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإذا رأيته ظهر لك فى مرآة قلبك باسمه الظاهر فنيت به عن كل كون إذ الحادث لا يثبت لمن وصفه القدم.

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وهذه الروح التى هى أصلك وجوهرك إنما هى نسخة العالم من فرشه إلى عرشه وهى رائحة ربك ونفخته فيك، فإذا عرفتها وتحققت بها فقد عرفت ربك وتحققت به وإنما يدلك على عظمها ماورد من حديث البراء بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا مد البصر ....» وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ......»

رواه أحمد بسند صحيح

فتنزل ملائكة مد البصر من أجل روح واحدة حتى تستطيع السيطرة عليها إن كانت كافرة، وحتى تشيعها فى موكب يليق بها إن كانت طيبة، وأنت ماتعرف من ربك إلا قدر ما تعرف من روحك وكل موجود ماله من الله إلا ربه خاصة إذ يستحيل أن يكون له الكل وكل نفس مطمئنة قيل لها ﴿ **أرجعى إلى ربك** ﴾(١٤٧) فما أمرها أن

ترجع إلا إلى ربهـا الذى دعاها فعرفته من الكل ولم تنظر إلى رب غيره.

وفى القيامة يتجلى ربنا بصورة لا يعرفها الناس فلا يعرفونه وينكرونه ويتعـوذون منه، فـإذا تجلى لهم فى صـورة ربهم الذى يعرفونه عرفوه وأقروه، من هنا قال من قال أما أنا فعرفته وما بقى إلا أن يعرفنى وذلك أن لكل معتقد ربا فى قلبه أوجده فاعتقده وهم أصحاب العلامة يوم القيامة، فما اعتقدوا إلا ما نحتوا ولذلك لما تجلى لهم فى غير صورة ما اعتقدوه بهتوا وأنكروا فهم عرفوا ما اعتقدوا والذى اعتقدوه ماعرفهم لأنهم أوجدوه فى عقولهم وضمائرهم والمصنوع لا يعرف الصانع.

فما فى أحد من الله شئ وما فى أحد من سوى نفسه شئ فأى صاحب كشف شاهد فى كشفه شيئاً فتلك صورة نفسه لا غير فمن شجرة نفسه جنى ثمرة عقله فأنت صورته وهو روحك.

وإن الله تعالى جعل حجابا بين الجسد والروح تزداد كثافته بالمعاصى وكثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى وكثرة الضحك «فإن كثرة الضحك تميت القلب» «ألا إن القلوب لتصدأ» ويرق بكثرة ذكر الله تعالى فتبدأ فى التعرف على روحك التى هى معراجك إلى ربك وكلما رق الحجاب ازداد تعرفك إلى ربك، وملك الموت يأتى فيرفع هذا الحجاب فتشاهد عينك الباصرة القاصرة مايهولها من عظمة تلك الروح فيسقط الجسد وتبقى الروح، وماكمن فيها من معرفتك بربك

وهو مـقـدارك عند ربك وعليـه يكون الحـسـاب ﴿ **فكشـفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾(١٤٨).

والأرواح لا تفـاضل بينهـا من حـيث أنهـا مـدبرة ولكن بينهـا تفاضل كبير فى قابليتها للاستقبال النورانى، إذ لا يظهر فيك علامة منه إلا على قدر قبول روحك وصفاء مرآتها، فالفيض الإلهى واسع ومـالك منه إلا ما تقبله ذاتك فذاتك حجرت عليك هذا الواسع، فذلك القدر الذى تعـرفه هو ربك الذى تعبده ولا تعرف غـيره فتأتى يوم القيامـة فيظهـر لك بهـذه العلامـة، فتقول إن ربى ما عودنـى إلا كذا وكذا ﴿ **وهو معكم أينما كنتم**﴾(١٤٩) فالمؤمن يجد ربه عند حسن ظنه والكافر ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾(١٥٠) ولايصح أن يكون أحـد مع الله، ولكن الله مع كل أحـد بما هو عليـه ذلك الواحد.

رق الزجـاج ورقت الخـمـر وتشـابهـا فـتـشـاكل الأمـر
فكأنما خـمـر ولا قـدح وكـأنما قـدح ولا خـمـر

وسئل الجنيد عن المعرفة فقال: لون الماء لون إنائه، وهى عبارة غاية فى المعرفة والدلالة فهو تعالى السلام للمسلم والمؤمن للمؤمن والمحسن للمـحسن، فمن جمع هذه النعوت وظهرت عليه أحكامهـا تجلى الحق له فى كل صـورة فلا ينكره حيث تجلى ولا يظهـره فى المواطن التى يجب أن يخفى فيهـا، فإن الحق تعالى قد حـجر علينا إظهار الحق فى مـواطن كالغيبة والنميمة وكتم الأسرار وكلها حق ممنوع الظهور فى الكون القولى.

والإحسان من الحق رؤية ومن العبد كأنه، والإيمان من الحق والخلق على حقيقته وكذلك الاسلام غير أنه لا يقال فى الحق أنه مسلم فما كل مايدرى يقال ولا كل ما يشهد يُذاع، صدور الأحرار قبور الأسرار.

ياقوتة فى المعرفة بالله تعالى

اعلم أنه لا يصح العلم لأحد إلا لمن عرف الأشياء بذاته، وكل من عرف شيئا بأمر زائد على ذاته فهو مقلد لذلك الزائد، وما فى الوجود من علم الأشياء بذاته إلا الله تعالى فعلمه ذاته وما سواه فهو مقلد لذلك الزائد فلنقلد الله تعالى ولاسيما فى العلم به.

فالإنسان قد يقلد حواسه فيما يتعلمه بها وقد يقلد عقله والعقل يقلد الفكر، والحواس قد تخدع، والفكر منه صحيح ومنه فاسد فينبغى للعاقل إذا أراد أن يعرف الله فليقلّده فيما أخبر به عن نفسه فى كتبه وعلى ألسنة رسله، وإذا أراد أن يعرف الأشياء فلا يعرفها بما تعطيه قواه وما من قوة إلا ولها غلط فى أتفه الأشياء فكيف بالله تعالى، فليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه

فيكون كالمرآة الصقيلة فينطبع فيها علم لدنى إلهى بالله تعالى فيعرف الأمور كلها بالله وعندئذ لا يدخل عليك شك ولا شبهة ولاجهل ولا ريب فيما عرفت، إذ قد رأينا الحق أخبر عن نفسه بأمور تردها الأدلة العقلية والأفكار الصحيحة مع إقامة أدلتها على تصديق المخبر ولزوم الإيمان بها، والمعرفة بالله مالها طريق إلا معرفة النفس «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فجعل معرفتك بك دليلا على معرفتك به، إمّا بطريق ما وصفك بما وصف به نفسه من ذات وصفات وجعله إياك خليفة نائبا عنه فى أرضه، وإما بما أنت عليه من الافتقار إليه فى وجودك وإما الأمران معا.

والمعرفة منحصرة فى العلم بسبعة علوم:

١ - العلم بالحقائق :

وهى العلم بالأسماء الإلهية، وهى أربعة أقسام:

* قسم يدل على الذات، وهو الاسم العلم الذى لا يفهم منه سوى ذات المسمى فلا يدل على مدح ولاذم ولا نعرف منه إلا الاسم الله أما الضمائر الدالة على الله كهو وأنا وأنت، وإنا، نحن فيجوز الذكر بها نيابة عن الله أو نذكره بها لأنه الذاكر بها على ألسنتنا.

* وقسم يدل على صفات، مثل الحى وهو اسم يطلب ذاتا موصوفة بالحياة والقادر للموصوف بالقدرة والمريد للموصوف بالإرادة والسميع والبصير والشكور وكلها معان قائمة بالموصوف وكل اسم منها له مراتب فليس العالم كالعليم كعلام كخبير كمحصى

كمحيط فكلها مراتب لمن قامت به صفة العلم، والقادر والمقتدر والقاهر كل ذلك تطلبه القدرة.

* وقسم يدل على أسماء أفعال، ومنه الصريح كالمصور ومنه المضمر كقوله ومكر الله.

* والقسم الرابع هى أسماء الاشتراك، كالمؤمن والرب فالمؤمن من البشر هو المصدق والمؤمن تعالى هو معطى الأمان والرب بمعنى السيد والمصلح والمربى وليس فى أسماء الله ترادف بل كلها متباينة، فإذا دعى تعالى باسم من هذه الأسماء فيما يقتضيه هذا الاسم أجابه وإلا لم يجبه.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم أدب مع الله تعالى إذ أنهم لا يعرفون ما فى نفس الله تعالى ﴿**ولا أعلم ما فى نفسك**﴾(١٥١) فعدلوا عليهم السلام إلى الدعاء فيما يريدون من الله بغير الاسم الخاص بذلك المراد فإن كان لله فى علمه رضى وللداعى فيه خير أجاب فى عين ما سئل فيه وإن لم يكن عوض الداعى درجات أو تكفيرا لسيئات، وهذا رسول الله ﷺ دعا الله لأمته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعه إلا إن علم من الله الإجابة فى الوقت فإنه يدعوه بالاسم كقول سليمان عليه السلام ﴿**قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب**﴾(١٥٢)، وبلعام بن باعوراء دعا بالاسم ولم يكن معه إلا حروفه لأنه لو كان فى قلبه لاستحيا من الله تعالى ثم أنسى حروفه بعد فاستجيب له مع أنه كان معتديا.

٢ – علم التجلى :

التجلى الإلهى دائم لاحجاب عليه، فأول ما أخرج الله تعالى مرتبة عدم العدم ثم رحم تعالى العدم فأوجده من عدم العدم فهى مرتبة موجودة غير ظاهرة، وفيها خاطب تعالى جميع الموجودات وإن كانت غير ظاهرة ولقد أوجد الله العدم رحمة به فرحمته وسعت كل شئ والعدم شئ فأوجده تعالى بعد أن كان فى عدم العدم وذلك بعد أن رحم تعالى مرتبة عدم العدم فأوجدها بعد أن كانت فى علمه تعالى فإنه تعالى ما أوجد عن عدم ولكن أوجد وجودا عن وجود ولقد أسمع الله العالم كلامه فى حال عدمه،وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق مشهودا له سبحانه فهو عدم بالنسبة لنا مشهود لله تعالى، وكان على أعين الممكنات حجاب العدم ولم يكن غيره فلا تدرك الموجود وهى معدومة فلما أمرها بالتكوين لإمكانها واستعداد قبولها سارعت إلى ذلك فزال العدم وانصبغ الممكن بالنور «إن الله خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره».

رواه الترمذى بسند حسن عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ

فعندما فتح الممكن عينيه وجد عن يساره العدم فتحققه فإذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث من الشخص إذا قابله النور فقال ما هذا فقال له النور من الجانب الأيمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين، فأنا النور وأنا مذهبه ونورك الذى أنت عليه إنما هو من حيث ما يواجهنى من ذاتك أنك فإن نَسبت إلىَّ قبلتك وإن نَسبت

إلى العدم قبلك فأنت بين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر فلا تنظر إلىّ نظرا يفنيك عن ظلك فـتـدعى أنك أنا ولا تنظر إلى ظلك نظرا يفنيك عنى، فعين لتشهد ظلك وعين لتشهدنى ﴿ **ألم نجعل له عينين**﴾[153] ﴿ **وهديناه النجدين**﴾[154] طريق النور وطريق الظل.

فعدم العدم ظلمة والعدم ظل لا ظلمة، والتجلى الأول الذى كان للموجودات إنما هو التجلى للأرواح النورانية التى ليست لها هذه الهياكل المظلمة، ولكن لها ظل إمكانها الذى لا يبرح فيها، وهى وإن كانت نورا بما انصبغت به فظلها فيها لا ظهور له عليها وحكمه فيها لا يزول «اللهم اجعلنى نورا».

٣ - العلم بخطاب الحق عباده بألسنة الشرائع :

اعلم أن ما عدا الثقلين من كل ما سوى الله تعالى على معرفة بالله ووحى منه وعلم بمن تجلى مفطور على ذلك سعيد كله ﴿**ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض**﴾[155] والله تعالى لما خاطب الناس خاطبهم على قدر عقولهم فذكر لنفسه أمورا لولا أن الشرع جاء بها ماصدقناها فذكر لنفسه العين والرجل والسمع والبصر والغضب، والتردد والتبشبش والتعجب والفرح والضحك والملل والمكر والخداع والاستهزاء والسخرية والسعى والنزول والاستواء والتحديد فى القرب والصبر على الأذى.

حجمه خاصة وبقيت له رتبة كماله فجميع الموجودات قبلت كمالها والإنسان انقسم قسمين، قسم لم يقبل الكمال وقسم قبل الكمال فظهرت فيه الحضرة الإلهية بكمالها وجميع أسمائها، فأقام هذا القسم خليفة وكساه حلة الحيرة فيه فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده فقالت ما قالت فلما أخبرهم تعالى بحقائقه وما أودع فيه حارت فيه الملائكة فقالت ﴿**لا علم لنا**﴾(١٥٨) والحائر لا علم له فأعطاه علم الأسماء الإلهية التى لم تسبحه الملائكة بها ولا قدسته، وغدا يحمده رسول الله ﷺ بمحامد لا يعلمها الآن فإن محامد الله بحسب ماتطلبها المواطن والنشآت، فأعطت نشأة آدم ومن أشبهه من أولاده الأهلية للخلافة فى العالم فظهر بأسماء الحق على كثرة تقابلها وحكم بالحق والعدل والله هو الحق والعدل.

فإن أعطى التحكم فى العالم فهى الخلافة، فإن شاء تحكم وظهر كعبد القادر الجيلى رضى الله عنه، وإن شاء سلم وترك التصرف لربه فى عباده كأبى مسعود بن الشبلى رضي الله عنه إلا أن يقترن به أمر إلهى كداود عليه السلام فلا سبيل إلى رد أمر الله وكعثمان رضي الله عنه الذى لم يخلع ثوب الخلافة عن عنقه حتى قتل لنهى رسول الله ﷺ له عن ذلك.

فكل من اقترن بتحكمه أمر إلهى وجب عليه الظهور به ولايزال مؤيدا، ومن لم يقترن به أمر إلهى فهو مخير إن شاء ظهر به وإن شاء لم يظهر وترك الظهور أولى فتلحق الأولياء الأنبياء بالخلافة خاصة ولا يلحقونهم فى الرسالة والنبوة فإن بابها مسدود.

٤ - العلم بالكمال والنقص فى الوجود :

فمن كمال الوجود وجود النقص فيه ﴿**أعطى كل شئ خلقه**﴾[١٥٦] أى: حتى النقص أعطاه خلقه، فلله كمال يليق به وللإنسان كمال يقبله، وعين ما يراه العقل كمالا هو النقص عند الله، وكل نقص إنما هو فى مرتبته لا ينقصه شئ، وما كل إنسان قبل الكمال وماعداه فكامل فى مرتبته لا ينقصه شئ ،كمل من الرجال كثير، فما ظهر فى العالم نقص إلا فى هذا الإنسان وذلك لأنه مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط.

أما العقل فقد جاء بنصف معرفة الله وهو التنزيه وسلب أحكام كثيرة عنه تعالى وجاء الشارع يخبر عن الله بثبوت ما سلب عنه بالعقل بدلالته فجاء بالأمرين معا ﴿**ليس كمثله شئ**﴾ تنزيه ﴿**وهو السميع البصير**﴾[١٥٧] تشبيه وهذا هو غاية الكمال الإلهى.

وخاطب الحواس والخيال بالتنزيه فحارت الحواس والخيال، وخاطب العقول بالتشبيه فحارت العقول، فعلا جل جلاله عن إدراك العقول والحواس والخيال وإنفرد سبحانه بالحيرة فى الكمال فلم يعلمه سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولا رأوا له عينا، ما هى إلا آثار تُشهد وجناب يُقصد ورتبة تُحمد وإله منزه ومشبه يُعبد، هذا هو الكمال الإلهى وبقى الإنسان متوسط الحال فى حيرته بين تشبيه وتنزيه فبالإنسان كمل العالم وما كمل الإنسان بالعالم، ولما انحصرت فى الإنسان حقائق العالم بما هو إنسان لم يتميز عن العالم بصغر

فالكمال المطلوب الذى خلق له الإنسان إنما هو الخلافة فأخذها آدم عليه السلام بحكم العناية الإلهية لا بشئ آخر، وهو مقام أخص من الرسالة فما كل رسول خليفة فدرجة الرسالة هى التبليغ خاصة ﴿ **ما على الرسول إلا البلاغ** ﴾(١٥٩) فإذا أعطى الرسول التحكم فيمن أرسل إليهم بالسيف والقتال والضر والنفع فهذا هو الرسول الخليفة وهذه هى درجة الخلافة والاستخلاف فما كل من أرسل حكم فإن ظهر بالتحكم من غير نبوة فهو ملك وليس بخليفة، فلا يكون خليفة إلا من استخلفه الحق تعالى على عباده فأصبح له الكمال وظهر بسلطان الأسماء الإلهية فيعطى ويمنع ويعز ويذل ويحيى ويميت ويضير وينفع وكان مع ذلك نبيا مرسلا، أما الأولياء أصحاب التصريف فهم خلفاء عن الأنبياء لا عن الله.

وليس الخليفة من أقامه الناس وبايعوه وقدموه لأنفسهم على أنفسهم، فالخلافة قد تكون مكتسبة والنبوة غير مكتسبة، وفى حقيقة الأمر أن الطريق كله مكتسب حتى تصل إلى الباب فإذا وصلت إلى الباب ووقفت عليه فحسب ما استعدت نفسك وتهيأت خرج التوقيع وهو اختصاص إلهى محض لا كسب فيه فمنهم من يخرج له توقيع بالولاية، ومنهم من يخرج له توقيع بالنبوة وبالرسالة، وبالرسالة والخلافة ومنهم من يخرج له توقيع بالخلافة وحدها.

وهناك فرق بين الولى والخليفة فالولى يُنصر ولا يُنتصر، والخليفة ينصر وينتصر ويقول الخليفة لأزيدن على السبعين فى

وقت، ويدعـوا على رعل وذكـوان فى وقت، فالخليـفة تـختلف عليـه الأحـوال والولى لا تخـتلف، الخليـفة قد يتـهم والولى لا يتـهم فـآداب الأولياء غضب فى المغضوب عليهم لا رجعة فيه ورضا فى المرضىّ عنهم لا رجوع فيه والخلفاء آدابهم الرضى فى المرضى عنهم والعفو وقتا والغضب وقتا فى المغضوب عليهم.

٥ - علم الإنسان بنفسه من جهة حقائقه :

اعلم أن الإنسان مـا أُعطى التـحكم فى العالم بما هو إنسان وإنما أعطى ذلك بقوة إلهية ربانية وهى الخلافة، وهى فى الإنسان ابتلاء لا تشريف ولو كـانت تشريفا لبقيت معه فى الآخرة ولكنهـا تنتهى بانتهاء الدنيا، ولما قيل له ﴿ولا تتبع الهوى﴾(١٦٠) فحجرت عليه والتحـجير ابتلاء والتشريف إطلاق، فالإنسان هو مجموع حقائق هذا العالم فتعين عليه أن يقوم وحده من حيث هو بعبادة جميع العالم، وان لم يفعل فـما عرفـ نفسه من جـهة حقائقه لأنها عـبادة ذاتية فيشاهد جميع حقائقه كلها فى عبادتها كشفا كما هى عليه فى نفسها، فإذا شاهد عبادات حقائقه لم يتمكن من مخالفة أمر سيده فيما أُمر به من عبادته بالوقوف عند حدوده فإذا قال سبحان الله بكله انتقش فى جوهر نفسـه جميع مـا قاله العالم كله فلو قدرنا العالم كله مـا سوى الإنسان غفل عن عبادة الله طرفة عين وكـان هذا الإنسان ذاكرا لله قـائما بحـقـه فى تلك اللحظة ناب مناب العـالم وسـد مسـده فجـوزى بجزاء العالم كله.

٦ - علم الخيال وعالمه :

وهو علم البرزخ وعلم عالم الأجساد التى تظهر فيها الروحانيات وهو علم التـجلى الإلهى فى الصـور، روى مـسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قـال «.... وتبـقى هذه الأمـة فيـها منافقوها فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه....» فلابد لمن اعتنى الله به من علامة بها يعرف تجلى الحق من تجلى الملك من تجلى الجان من تجلى البشر إذا أعطوا قوة الظهور فى الصور فجبريل عليه السلام أتى إلى رسول الله ﷺ فى صورة أعرابى ولم يعرف الصحابة أنه جبريل بل لم يشكوا فى أنه أعـرابى حـتى عـرفهم النبى ﷺ لما قال لهم هذا جـبريل، وكـذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة فيتعوذون منه لعدم معرفتهم به فلابد من العلامة، فالله تعالى لا يتجلى لنا فى الهواء ولكنه يتجلى تعالى فى الصور فيأمرنا بتقبيل الحجر الأسود، ويخبرنا بأنه يمينه ويأمرنا بالصـلاة والسجـود نحـو الكعبـة ويقـول إنها بيتـه، ويأمـرنا بتـعظيم الرسـول ﷺ ويقـول إنّ من بـايعـه إنما بايـع الله تعـالى ﴿ **إن الذين يبـايعـونك إنما يبـايعـون الله** ﴾(١٦١) ويقـول ﴿ **بما نزل على محمد وهو الحق** ﴾(١٦٢) والضمير يعود على رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ أنه «من رآه فـقـد رأى الحق» والحق اسم من أسـمـائه

تبارك وتعالى ويقول تعالى ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**﴾(١٦٣) والضمير عائد على واحد بعينه فما أرفع رتبة البشر حين أنزل هذا الخليفة منزلته تعالى فأمر ببيعة رسول الله ﷺ ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾(١٦٤) أما الحجر الأسود فإنما هو يمينه تعالى فحسب.

قبل فإن يمين العهد فى الحجر ... وأين رتبته من رتبة البشر

إن المبايع من تعنو الوجوه له ... الواحد الأحد القيوم بالصور

إن شاء فى ملك إن شاء فى بشر ... إن شاء فى شجر إن شاء فى حجر

فما تقيده ذات ولا عرض ... وماله فى وجود الكون من أثر

وصح أنه «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» «ومن لم يستح من الناس لم يستح من الله» فنرى الله تعالى فى عيون الناس إذا نظرت إلينا فحياؤنا منهم عين حيائنا من الله، وشكرنا لهم هو عين شكرنا لله تعالى.

وهو علم سوق الجنة فقد صح أن فى الجنة سوقا ما فيها إلا الصور يدخل الرجل فى أى صورة يشتهيها وهى مع ذلك فى السوق، أى: ما خرجت منه وهو مع ذلك على نفس صورته الأصلية يعرفه أهله ومع ذلك يرى الصورة فى السوق ما انفصلت ولا فقدت ولو اشتهاها أهل الجنة جميعا لدخلوا فيها وهى على حالها فى السوق مابرحت، وهذه الحالة الخيالية هى كما يكون الإنسان فى نومه فيرى

نفسه فى صورة غير صورته ويرى نفسه فى صورته فى آن واحد ويرى أنه فى مكانين فى آن واحد، وهذا العالم الذى هو عالم البرزخ يدخله الإنسان بمجرد نومه أو موته فالنوم أخو الموت، والرسول يقول «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» وهؤلاء يخرجون من قبورهم فيقولون ﴿ **من بعثنا من مرقدنا** ﴾[١٦٥] ، فكل حياة بالنسبة لما بعدها نوم ولما قبلها يقظة فهذا هو النائم اليقظان فكيف يكون مستيقظا بقول الرسول وكيف يكون نائما فى نفس الوقت بكلام الله تعالى.

وهو علم ظهور المعانى التى لا تقوم بنفسها مجسدة مثل الموت فى صورة كبش وذبحه ومثل وزن أعمال العباد وهى شئ معنوى، وكإتيان جبريل عليه السلام فى صورة دحية وهو فى نفس الوقت فى صورته فى السماء له ستمائة جناح، وتمثله لمريم فى صورة بشر كذلك، وكرؤية العلم فى صورة اللبن والدين فى صورة القيد وكرؤية العصى والحبال فى صورة الحيات تسعى ﴿ **يخيل إليه من سحرهم** ﴾[١٦٦] وفى حضرة الخيال هذه يظهر وجود المحال بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال، فآدم عليه السلام فى الحديث رأى نفسه خارج القبضة فلما بسط الحق يده فإذا فيها آدم وذريته، ورسول الله ﷺ رأى موسى يصلى فى قبره فى الإسراء ثم رآه مرة أخرى فى بيت المقدس فصلى به، ثم رآه فى السماء وهو ما انتقل ولكنه فى هذه الأماكن فى وقت واحد، وكمن يشاهد ميتا فى قبره ساكتا خيل إليك أنه ساكت ولكنه متكلم يُسأل ويُجيب وينعم

ويعذب، وثمار الجنة أخبر تعالى أنها ﴿ **لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾(١٦٧) فتشاهدها فى يدك وهى فى نفس الوقت على الشجر ماقطعت وتأكلها ولا تشك أن عين ما تأكله هو عين ما على الشجرة ماقطعت.

وفى هذا البرزخ يتجلى ربنا فى الصور المحدودة فإنه ذكر لنفسه خمس كينونات، كينونة فى العماء «كان فى عماء» وكينونة على العرش ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾(١٦٨) وكينونة فى السماء وكينونة فى الأرض ﴿ **وهو الله فى السموات وفى الأرض** ﴾(١٦٩) وكينونة عامة فى كل المخلوقات ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾(١٧٠) بحسب مايليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تصور بل كما تعطيه ذاته، فذكر استواء على العرش وهذا تحديد ثم ذكر أنه فى السماء وفى الأرض وهذا تحديد ثم ذكر أنه معنا حيث كنا ثم أخبرنا أنه عين الأشياء بقوله ﴿ **والظاهر** ﴾(١٧١) فلا ظهور لشئ سواه وهى محدودة فهو محدود بحد كل محدود فالعالم صورته وهو الروح المدبرة له، وقال رسول الله ﷺ فى الحديث «كان فى عماء» فالعماء هو الخيال المحقق وفيه يقبل الله تعالى الصور وجاء الشرع يقرر ماضبطه هذا الخيال من كينونة الحق تعالى فى قبلة المصلى وفى مواجهة المصلى.

وهذا البرزخ لا يدخله إلا أصحاب المشاهدة بالعين لا أصحاب العلم والأين فما دمت خارج البرزخ فأنت من أهل اليقين فإذا دخلته أصبحت من أهل حق اليقين، ولا يدخل هذا البرزخ إلا عن طريق أهل الله العارفين فلكل واحد منهم باب فى هذا البرزخ يدخل منه

أحبابه لا غير، عن على كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال «أنا مدينة العلم وعلى بابها».

رواه أبو نعيم عن على والطبرانى والحاكم عن ابن عباس

٧ - علم العلل والأدوية :

فالعلل إما هى علل أجسام فمعروفة، وإما علل عقول، وهى فى العقائد الفاسدة فتذهب بالخلوات ومداومة الذكر، وإما علل النفوس وهى على ثلاثة أضرب :

* مرض فى الأقوال: كالتزام قول الحق، وهو من أكبر الأمراض ودواؤه معرفة المواطن التى ينبغى أن يصرفه فيها، فإن الغيبة حق وقد نهى عنها والنميمة حق وقد نهى عنها، ومايفعله الرجل مع أهله فى فراشه إذا أفضى إليها حق، ولكن قوله من الكبائر والنصيحة فى الملأ بالحق حق وهو فضيحة ولا تقع إلا من الجهلاء وأصحاب الأغراض ومن أمراض الأقوال السؤال عن أحوال الناس وما يفعلون ولم جاء فلان ولم مشى فلان والسؤال عن كل ما يعنى وأشباه ذلك.

* مرض فى الأحوال : كصحبته للصالحين حتى يشتهر صلاحه والتواجد من غير وجد وهو التواجد بالكذب وغيرها.

وقد لُخصت المعرفة فى هذه الأبيات

ظهرت إلى خلقى بصورة آدم — وقررت هذا فى الشرائع إيمانا
فلو كان فى الإمكان أكمل منكم — لكان وجود النقص فىَّ إذ كانا
لأنك مخصوص بصورة حضرتى — وأكمل منى ما يكون فقد بانا

ياقوتة في الواحد الأحد

اعلم أن الأسماء الحسنى لله تعالى كأنها أنهار تصب فى عين واحدة، فمادام الماء فى أنهاره أمكن تمييز كل ماء من أى نهر هو، فإذا اختلطت الأنهار فى العين لم يمكن تمييز ماء كل نهر، فالأنهار هى الأسماءالحسنى والعين هى العين الأحدية حيث لا نسب، فالواحد نسبة أى: ليس اثنين فهو نهر من الأنهار أما الأحد فهو تلك العين التى تفنى ويغرق فيها من ينزلها فلا يميز بين اسم واسم، وكلها تنزلات منه تعالى إما للتحقق وإما للتخلق وإما للتعلق، فالذات واحدة ثم تتصف بالضر والنفع فى آن واحد وتتصف بالإعزاز والإذلال وليس المعز هو المذل ولكن تلك حضرة وهذه أخرى، وهذا كمن بينه وبين الشمس حجب من زجاج ملون كلما ارتفع حجاب رأى الشمس على خلاف ما رآها من قبل والشمس واحدة، وهذا يسمى التلوين ثم أنه تعالى يجتبى من يشاء من حضرة الفرق والتلوين إلى حضرة الجمع والتمكين التى تنعدم فيها النسب وهى عين الأحدية ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾[١٧٢] فيشهد الله بالله ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾[١٧٣] وإن شئت قلت يشهد روحه بروحه ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾[١٧٤].

يراها أمامى فى صلاتى ناظرى ويشهدنى قلبى إمام أئمتى
ولا غرو أن صلى الإمام إلىّ أن ثوت بفؤادى وهى قبلة قبلتى
وكل الجهات الست نحوى توجهت بما ثم من نسك وحج وعمرة

كان رجل بالقيروان أراد الحج فتردد خاطره فى سفره بين البر والبحر فقال أول رجل ألقاه أشاوره فحيث يرجح لى أحكم به فأول من لقى يهوديا فتألم ثم عزم وقال والله لأسألنه فلما سأله تعجب له اليهودى وقال ألم تر أن الله يقول فى كتابكم ﴿ هو الذى يسيركم فى البر والبحر﴾(١٧٨) فقدم البر على البحر فلولا أن لله فيه سرا وهو أولى بكم ما قدمه وأخر البحر إلا إذا لم يجد المسافر سبيلا إلى البر فقال الرجل فسافرت فى البر فلم أجد سفرا أيسر منه.

ياقوتة في الفقر

الفقير هو الذى يفتقر إلى كل شئ من حيث أن ذلك الشئ هو مسمى الله، ولا يفتقر إليه شئ وليس فوقه مقام وهو مقام العبودة، وهذا هو العبد المحض حيث لا يشم رائحة ربوبية أصلا فالعبد فيه ربوبية من حيث النفس وعبودية من حيث الأصل ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(١٧٩) وهؤلاء لا حال لهم ولا مقام ولاتصريف مع الله تعالى.

والفقر فى عينه كامل الخلق لا قدم له فى الغنى، والغنى فى حاله كامل الخلق لا قدم له فى الفقر، فلا يقال: الغنى الشاكر أفضل

فحينئذ تتم له السعادة ويكون بالله إلى الله من الله مع الله فى الله لله على الله عن الله.

وهؤلاء هم الذين صانوا أنفسهم عن أنفسهم فلا تعرفهم أنفسهم.

ياقوتة فى المقدم المؤخر

من أراد أن يحصل علم الله فى خلقه فليقف عند ترتيب حكمته تعالى فى الأشياء فيقدم ما قدم الله ويؤخر ما أخر الله، فإذا أخرت ما قدمه أو قدمت ما أخره فهو نزاع خفى يورث حرمانا قال تعالى ﴿ **ولاتقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**﴾(١٧٥) فأخر الاستثناء وقدمه موسى ﴿ **ستجدنى إن شاء الله صابرا**﴾(١٧٦) فلم يصبر فلو أخره لصبر.

فليقف كل مسلم على مشاعر الله التى بينها ولا يتعداها، ألا تراه ﷺ لما صعد على الصفا فى حجة الوداع قرأ ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾(١٧٧) ثم قال «أبدأ بما بدأ الله به» وماقاله إلا تعليما لنا ولزوم الأدب مع الله، ولولا أنه جائز له أن يبدأ بالمروة فى سعيه لما قال هذا ورجح مابدأ الله به على مافى المسألة من التخيير، فما بدأ الله به إلا لسر يعلمه فمن لم يبدأ به حرم فائدته.

من الفقير الصابر ولا العكس، فالفقر صفة الخلق والغنى صفة الحق والمفاضلة لا تصح بين صفة حق وصفة خلق، كما لا تصح المفاضلة بين الخالق والمخلوق، ولكن النسبة بلفظ الفقر إلى الله أولى من نسبة الغنى بالله، فإذا كان البساط النظر لأوصافك فأنت الفقير إلى الله، وإذا كان البساط النظر لأوصافه فأنت الغنى بالله، وهما يتعاقبان على العارف فتارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية، وتارة يغلب عليه الفقر إلى الله فيلتزم الرعاية، فحين غلب الغنى بالله على حبيب الله أطعم ألفا من صاع وحين غلب عليه الفقر إلى الله شد حجرين على بطنه من الجوع.

وأوصاف الربوبية أربعة: هى الغنى، والعز، والقوة، والعلم، ومن العبد الفقر، والذل، والضعف، والجهل، فتجعل صفات الربوبية فى باطنك وصفات العبودية فى ظاهرك فتكون فى باطنك غنيا عزيزا قويا عالما بالله وفى ظاهرك فقيرا ذليلا ضعيفا جاهلا.

والله تعالى منعك أن تدعى ماليس لك مما هو للمخلوقين أقيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين، فمن غيرته تعالى أن اختص بأوصاف الربوبية ونهانا عن إظهارها والتحلى بها فى الظاهر أو ادعاء ذلك.

بالمقال «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحد منهما قصمته» وكليم الله لما سئل هل أحد أعلم منك؟ فقال: لا فأدبه بطلب غيره حتى صار تلميذا له يأمره وينهاه لأنه أظهر شيئا من الحرية، فكل من أظهر الحرية رده إلى العبودية بالقهر.

فمن غيرته أن حرم الفواحش من الزنا والسرقة والغصب، وما هى إلا ادعاء ما ليس لك من حقوق المخلوقين، فإذا ادعيت ما ليس لك سلبك ما ملكك، وإذا تحققت بوصفك وسلمت له وصفه منحك ما لم يكن عندك.

واعلم أن الحرية إذا تحققت فى الباطن لابد من رشحات تظهر على الظاهر فيظن الجاهل بحالهم أن ذلك دعوى ظهور، وليس كذلك إنما ذلك رشحات من قوة الباطن لا قدرة لهم على إمساكها، منها: ما يكون تحدثا بنعمة الله، ومنها: ما يكون نصحا للعباد ليعرفوا حالهم فينتفعون بهم فى طريق الإرشاد، ومن ذلك ما وقع للشيخ زروق رضي الله عنه مع أبى المواهب التونسى رضى الله عنه حين ظهرت عليه آثار القوة الباطنية حتى قال فيه الشيخ زروق دعواه أكبر من قدمه وليس ذلك.

وسر هذه القوة أن الروح جاءت من عالم العز والقوة، ففيها أثر النفخة الإلهية فلما ركبت فى هذا البدن حجبت وقهرت فأرادت الرجوع إلى أصلها فمنعت إلا من باب الذل والانكسار والفقر، فرجعت إلى أصلها من القوة والعز والحرية فأمرت أن تجعل ذلك فى باطنها ففعلت لكن ربما رشح شئ من ذلك على الظاهر غلبة، فالفقير الصادق لا يملك ولا يُملك ولا يستغنى بشئ دون الله.

قال بعض الصالحين: كان لى بعض مال فرأيت فقيراً فى الحرم جالسا منذ أيام لا يأكل ولا يشرب وعليه أطمار فألقيت المال فى

حجره فنفض بها فى الحصباء، وقال لى اشتريت هذه الجلسة مع ربى بما ملكت وأنت تفسدها على ثم انصرف وتركنى ألتقطها فوالله مارأيت أعز منه لما بدرها ولا أذل منى لما كنت ألقطها.

ومقام الفقر يعرض صاحبه للعطاء بلا مقابل من حضرة الوهاب قال تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾[١٨٠] والصدقة لا تكون فى مقابل عمل، ﴿وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه﴾[١٨١] يغلق الإنسان على نفسه باب العطاء لما جعل فى قلبه من خوف الفقر إن هو أعطى ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾[١٨٢] فيطغى فى غناه فى عين فقره، فإن هو أعطى ما به استغنى افتقر، فلا يزال الغنى خائفا ولا يزال الفقير راجيا.

قال سيدى عبد القادر رضى الله عنه: الفقير الصابر مع الله تعالى أفضل من الغنى الشاكر والفقير الشاكر أفضل منهما.

﴿أعطى كل شئ خلقه ثم هدى﴾[١٨٣] فقد أعطاك ما فيه المصلحة لك فما بقى لصاحب هذا المقام ما يسأل الله فيه فما شرع السؤال إلا لمن ليس له هذا الشهود، ورآه تعالى يسأل الأغيار فغار فشرع له أن يسأله وهذا لأهل الحجاب، أما أهل الكشف فيرونه المسئول على الحقيقة فى النبات والجماد والحيوان والملك، فأخبر تعالى أن الناس فقراء إلى الله.

واعلم أن الله تعالى مدح الفقير الصابر بما مدح به الغنى الشاكر فبان أنهما واحد وأن الفقير الصابر هو عين الغنى الشاكر

﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾(١٨٤) ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾(١٨٥).

فإن الفقر إليه هو عين الغنى لأنه تعالى الغنى.

فالله تعالى لايقرب فقيرا من أجل فقره، ولايبعد غنيا لأجل غناه وليس للأعراض عنده خطر حتى بها يوصل وبها يبعد ويقطع ولو بذلت الدنيا والآخرة ما أوصلك إليه بها ولو أخذتها كلها ماقطعك بها، قرب من شاء بغير علة وقطع من شاء بغير علة.

وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه إذا أغناك فقد أبعدك فى غاية القرب وإذا أفقرك فقد قربك فى غاية البعد.

للإنسان وجهان إذا كان كاملا، وجه افتقار إلى الله ووجه غنى عن العالم فيستقبل العالم بالغنى عنه ويستقبل ربه بالافتقار إليه، فهو لا يكون عند الله أبدا إلا فقيرا ذليلا ويكون عند العالم وجيها أى غنيا عزيزا، فمن ذاق طعم الغنى عن العالم وهو يراه عالما لابد من هذا الشرط فقد حصل على نصيب وافر من الغنى الإلهى إلا أنه محجوب عن المقام الأرفع فى حقه لأن العالم مشهود له ولهذا اتصف بالغنى عنه، فلو كان الحق مشهوده وهو ناظر إلى العالم لاتصف بالفقر إلى الله، وجاز المقام الأعلى فى حقه وهو ملازمة الفقر إلى الله لأن فى ذلك ملازمة ربه عز وجل، وأما الاستغناء فإنه يؤذن بالقرب المفرط وهو حجاب كالبعد المفرط، ولما كان الغنى معظما فى العموم حيث ظهر وفيمن ظهر، فإن الخصوص مالهم نظر إلا فى الفقر فإنه

شرفهم فلا يبرحون، فى شهود دائم مع الله قال تعالى ﴿ **يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد**﴾(١٨٦) فصفة الغنى صفة ذاتية للحق، والفقر صفة ذاتية فى العبد، لذلك قال الشيخ رضي الله عنه يناجى الحق بقوله فيامن قربه بعد، أى يامن تقرب إليك المتقربون بصفة الغنى، ولو كان الغنى بالله فهو بعد عن الصفة الذاتية للعبد وهى الفقر، وقال «يامن بعده قرب»، أى يامن تقرب إليك المتقربون بصفة الفقر، وهى على الضد والبعد عن صفة الغنى وهو شرح قوله رضي الله عنه «إذا أغناك فقد أبعدك»، أى: عن صفتك الذاتية «فى غاية القرب» من حيث أن أغناك بالله، «وإذا أفقرك فقد قربك»، أى: بصفتك الذاتية، فى غاية البعد، أى: عن صفته تعالى وهى الغنى، كل هذا يشير إلى أن صفة الفقر إلى الله أعلى مقاما عند العارفين من صفة الغنى بالله.

وقف لدى حظك الذاتى تحظ بما ... حظى به من له سعد وإسعاد
الفقر بالعجز فى دنيا وآخرة ... فغاية القرب قرب فيه إبعاد
هذى طريقة أقوام لهم همم ... فازوا بها وبها على الورى سادوا

ياقوتة في الأول الآخر الظاهر الباطن

﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾ إذن فهو الوجود كله و(أل) تتضمن عدم مشاركة أحد له فى هذه الصفات، فإذا قلت ظاهر

يقتضى ظهور غيره، أما إذا قال :الظاهر يعنى عدم ظهور غيره، فهو تعالى الظاهر فى المظاهر، الظاهر له ولك الباطن عنك لاعنه الأول بك الآخر إذ كان عينك، قال تعالى ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾(١٨٧) ولا راد لقضائه الله على عباده أن يعبدوا سواه أو يروا سواه فتجلى لهم فى صورة كل شئ فما منعنا من رؤيته إلا شدة ظهوره وفرط قربه، فلو تباعد عنا لرأيناه ولكنه لو فارقنا لانعدمنا ففى أسرع من طرفة عين نختلس منه إن نظرنا إلى غيره لالضعفه ولكن لضعفنا.

«كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها» «ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ألا إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى».

فهوية الحق سمع العبد وبصره وجميع قواه، والعبد ماهو إلا بقواه فما هو إلا بالحق فظاهره صورة خلقية محدودة وباطنه هوية الحق غير محدودة للصورة فهو من حيث الصورة من جملة من يسبح بحمده وهو من حيث باطنه فالحق يسبح نفسه والمجموع هو العبد، أثنى على عبدى» أى: أثنيت على نفسى بصورة عبدى.

وللعالم غيب وشهادة فما غاب من العالم عن العالم فهو غيب والقلب من عالم الغيب وماشاهد العالم من العالم فهو شهادة وكله لله شهادة وظاهر كل ذلك لايذاق إلا بالمشاهدة، وفرق بين من يقول علمت ومن يقول عاينت، وهم أهل الليل خاصة، والليل من حضرة

الباطن فإن الله جعل الليل لأهله مثل الغيب لنفسه، فهم خير عصبة فى حق الله وهم شرفتية فى حق أنفسهم، فأهل الليل فازوا بهذه الحظوة فى تلك الخلوة أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه، يقول الله فى حقه فأنا أتلو كتابى عليه بلسانى، وهو يسمع فإذا وقف مع معانيه فقد خرج عنى بفكره «أوقفنى بين يديه وقال: الليل لى لا للقرآن يتلى »فهذا العبد إذا طلع الفجر ومشى إلى معاشه فتحت بينى وبينه بابا فى خلقى ينظر إلى منه والخلق لايشعرون فأحدثه على ألسنتهم وهم لايعرفون.

فالظاهر هو الذى ليس بغيره ظهور، فالله عين وجود الأشياء لاعين الأشياء، فتراه تعالى يدخل نفسه تحت حكم الأحكام التى شرعها لعباده من وجوب وحظر وندب وكراهية وإباحة «إنى حرمت الظلم على نفسى»، فأول ظهور له تعالى كان بالأسماء وأول من تحمل هذه الأسماء تخلقا وتعلقا وتحققا هو رسول الله ﷺ هذا الإنسان الكامل فمن نظر إليه فكأنما نظر إلى الله تعالى فتعرف تعالى إلى خلقه برسوله ﷺ، عن أبى قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من رآنى فقد رأى الحق»

رواه الشيخان وأبو داود وأحمد والدارمى

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾(١٨٨) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾(١٨٩) ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾(١٩٠)،

ثم إن العلماء ورثة الأنبياء، فمنهم من ورث علمهم، ومنهم من ورث

أحـوالهم ومـنهم من جـمع الله لـه بين العلم والحـال فـمن رأى هؤلاء فكأنما رأى الله تعالى «خير الإخوان من إذا نظرت إليه ذكرت الله».

عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «كان خلقه القرآن»

رواه أحمد ومسلم وأبو داود

فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه والنظر إلى رسول الله ﷺ والقرآن صفة الله تعالى فكان محمد ﷺ صفة الحق تعالى فيكون محمد ﷺ مافقد من الدنيا لأنه صورة القرآن العظيم، فمن كان خلقه القرآن من الناس فقد بعث محمداً ﷺ من قبره ﴿ **واعلموا أن فيكم رسول الله،** ﴾ (١٩١) «السـلام عليك أيهـا النبى ورحـمـة الله وبركـاته» نقولها فى التشهد بضمير المخاطب ولايخاطب غائب.

ولما خلق الله تعـالى آدم على صـورتـه فله الثـبـوت فى ظاهره والتنوع فى باطنه والله تعـالى الظاهر الباطن فله الثبـوت فى باطنه والتنوع فى ظاهره، فـالبـاطن الحق عين ظاهر الإنسـان، والظاهر الحق عين باطن الإنسان فهو كالمرآة إذا رفعت يمينك رفعت صورتك يسارها فيمينك شمالها وشمالك يمينها فظاهرك أيها الإنسان على صورة اسمه الباطن وباطنك على صورة اسمه الظاهر فأنت صورته.

قـال تعـالى ﴿ **فلم تقـتلوهـم ولكن الله قـتلهم** ﴾ وهو القـاتل ﴿ **وما رميت إذ رميت** ﴾(١٩٢) وهو الرامى ﴿ **سرابيل تقيكم الحر** ﴾(١٩٣) وهو الواقى.

قال تعالى ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾(١٩٤) أى من العلم بهم إلى العلم به، وعلمنا به فرع عن علمنا بنا إذ نحن عين الدليل (من عرف نفسه فقد عرف ربه) كما أن وجودنا فرع عنه ووجوده أصل لنا، فهو أصل فى وجودنا فرع فى علمنا به تعالى.

وتحقيق كل ماسبق هو موقف السواء، وموقف السواء أن يتساوى عند الحضرتين القديمة والحديثة، فمن هنا قال بالاتحاد من قال، ومن هنا يترقى العارفون إلى الكمال أو يحط بهم إلى الطرد والإهمال فيظهر العبد فى هذا الموقف بصورة الرب، فالإنسان وإن كان يرى فى نفسه أنه عبد ضعيف تؤلمه قرصة البعوضة ومع ذلك فإنه يظهر بالرياسة لما عليه صورته التى خلق عليها فرجال الله هم الذين لم يصرفهم، خلقهم على الصورة عن الفقر والذل والعبودية فإن لم يمن الله على هذا العبد بالعصمة والحفظ حيث يضع عبوديته أمام عينيه وإلا زلت قدمه فهو مقام وما رميت إذ رميت، فموقف السواء هو المقام الذى لايتميز فيه سيد من عبد ولا عبد من سيد، فإن قلت فيه فى هذه الحالة سيد صدقت وإن قلت عبد صدقت، فكونه رمى حق وكونه لم يرم حق «كنت يده التى يبطش بها».

واعلم أن للحق فى كل خلق ظهوراً فهو الظاهر فى كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم.

وماعبد شئ فى العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالصورة فى قلبه وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾(١٩٥) وهو أعظم معبود وأكثر تابعا فإنه لايعبد شئ إلا به ولايعبد هو إلابذاته، حتى عبادة الله تعالى كانت عن هوى أيضا، لأنه لو لم يقع له هوى فى الجناب المقدس وهى الإرادة بالمحبة ماعبد الله ولا آثره على غيره، وكذلك كل من عبد صورة من صور العالم واتخذها إلها ما اتخذها إلا بالهوى، فكل عابدٍ أمراً مايكفر من يعبد سواه والذى يحير العقول اتحاد الهوى بل أحديته فإنه عين واحدة فى كل عابد، ولذلك سموه كلهم إلها ولذلك قال الكفار ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب** ﴾(١٩٦) فما أنكروه ولكن تعجبوا من ذلك ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله ﴿ **قل سموهم** ﴾(١٩٧) فسيقولون هذا حجر وهذا شجر فأين الله إذن فى ماعبدتم.

عن أبى يزيد قال: رأيت الهوى، فى بعض مكاشفاتى ظاهرا بالألوهية، جالسا على عرشه، جميع عباده حافون من حوله، فما وجدت معبودا أكثر عابدا منه فبالهوى يجتنب الهوى، وبالهوى يعبد الهوى، ولولا الهوى ماهوى من هوى، ولذلك حاز جنة المأوى من نهى نفسه عن الهوى.

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ولولا الهوى فى القلب ماعبد الهوى

وكل من عبد شيئا سوى الله فإنهم محجوبون بوصف دون سائر الصفات، فمنهم من عبد الجمال حيث رآه وترك باقى الصفات

ومنهم من عبد الشمس لتجلى الله فيها بالدفء ومنهم من عبد البقر لتجلى الله فيها بالخير، فمن لم يعبد الله تعالى على جميع صفاته فلا حجة له فى الآخرة ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾(١٩٨) ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾(١٩٩).

وأعظم ظهور لله تعالى هو تجليه فى المرأة للرجل وفى الرجل للمرأة، عن أبى على بن مرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»

رواه أبو نعيم والطبرانى

وذلك أن الله أوجد هذا المخلوق المسمى إنسانا حبا له وتوددا إليه فهو الودود، ثم نفخ فيه من روحه فما اشتاق إلا لنفسه، ثم اشتق له منه شخصا على صورته سماه امراة، ولذلك كان للرجل درجة على المرأة بأنه خلقه بيديه ثم خلق منه المرأة فالرجل بالأصالة والمرأة بالتبعية ﴿وللرجال عليهن درجة﴾(٢٠٠) ولذلك سموا نساء من النّسَأ وهو التأخر، أى: لتأخر خلقهن عن الرجال ولذلك ينضح بول الصبى ويغسل بول الجارية مالم يطعما فظهرت هذه المرأة بصورة تشبه صورته فحن إليها حنين الشئ إلى نفسه، وحنت إليه حنين الشئ إلى وطنه، وقد كان الله تعالى قد حن إلى هذا الرجل الذى نفخ فيه من روحه حنين الشئ إلى نفسه، وحن هذا الرجل إلى ربه حنين الشئ إلى وطنه، فإذا نظر الرجل إلى المرأة تذكر نظر الله إليه، وإذا نظرت هى إليه تذكر نظرته إلى ربه، ومن هنا حبب الله إلى الرسول

النساء عن تحبب لاعن حب، عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «ما أصبنا من دنياكم إلا نسائكم».

رواه الطبرانى بسند حسن

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال« لم يكن شئ أحب إلى رسول الله ﷺ من الخيل ثم قال اللهم غفرا بل النساء»

رواه أحمد الطبرانى بسند صحيح

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «حبب إلى من دنياكم النساء»

رواه أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى بسند صحيح

وهذا هو الرجل الكامل أما الرجل الحيوان فينظر للمرأة على أنها شهوة عاجلة فقط، وانظر إلى دقة قوله تعالى ﴿ **وللرجال عليهن درجة** ﴾ فالرجولة درجة أما الذكورة فنوع، فكلمة رجال لم تستعمل فى القرآن إلا لبيان المزية ﴿ **رجال صدقوا** ﴾(٢٠١) ﴿ **رجال لاتلهيهم** ﴾(٢٠٢) ﴿ **وعلى الأعراف رجال** ﴾(٢٠٣) فأحب رسول الله ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن إذ لايشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا.

ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة بها فلم يكن فى صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولذلك فنى الرجل فى زوجته وفنيت فيه حال الجماع، ولذلك أمر الله تعالى بالاغتسال لتعم الطهارة كما عم الفناء وهذا للمحجوبين «تحت كل شعرة جنابة» وهى جنابة الغفلة عن الله، أما أهل الفتح والكمال فهم أقرب مايكونوا إلى الله تعالى فى تلك الحالة لصفاء مشهدهم وكمال معرفتهم فاغتسالهم

أمر تعبدى للقيام بظاهر الشرع لا لاستغراق شهودهم فى غير الله، فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلهى ومن أحبهن على جهة الشهوة فهو صورة بلا روح.

واعلم أنه لايستغرق المحب الحبّ كله إلا إذا كان محبوبه الحق تعالى أو أحدا من جنسه هو من جارية أو غلام، وأما ماعدا من ذكرته فلا يستغرقه حبه إياه لأن الإنسان لايقابل بذاته كلها إلا من هو على صورته إذا أحبه فما فيه جزء إلا وفيه مايماثله فيهم، ظاهره فى ظاهره وباطنه فى باطنه فإذا أحب الإنسان صورة من العالم إنما يستقبله بالجزء المناسب ويبقى مابقى من ذاته صاحية فى شغلها وأما استغراق حبه إذا أحب الله لكونه على صورته فيستقبل الحضرة الإلهية بذاته كلها ولهذا تظهر فيه جميع الأسماء الإلهية ويتخلق بها.

فالنساء هن محل الانفعال لتكوين أتم الصوّرة وهى الصورة الإنسانية التى لاصورة أكمل منها فما كل محل ذلك كان حب النساء ما امتن الله به على رسوله فحببهن إليه.

ياقوتة فى مقام المحبة

الحب مقام إلهى وصف به نفسه، وتسمى بالودود وبالمحب «إنى وحقى لك محب» ثم أنه سبحانه حبب إلينا أشياء منها بالتزيين ومنها

مطلقة فقال ممتنا علينا ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾(٢٠٤) ﴿زين للناس حب الشهوات﴾(٢٠٥) ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(٢٠٦) .

وألطف مافى الحب أن تجد عشقا مفرطا وهوى وشوقا مقلقا وغراما ونحولا وامتناع نوم ولذة بطعام ولايدرى بمن ولايتعين لك محبوب، ثم إما يبدو لك تجل فى كشف فيتعلق ذلك الحب به، أو ترى شخصا فيتعلق ذلك الوجد الذى تجده به عند رؤيته فتعلم أن ذلك كان محبوبك وأنت لاتشعر، وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب فتجهل حالها ولاتدرى بمن هامت ولافيمن هامت ولاماهيمها، ويجد الناس ذلك فى القبض والبسط الذى لايعرف له سبب فعند ذلك يأتيه مايحزنه فيعرف أن ذلك القبض كان لهذا الأمر أو يأتيه ما يسره فيعرف أن ذلك البسط كان لهذا الأمر، وذلك لاستشراف النفس على الأمور من قبل تكونها فى تعلق الحواس الظاهرة ويشبه ذلك أخذ الميثاق على الذرية بأنه ربنا فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك فتجد فى فطرة كل إنسان افتقارا لموجود يستند إليه وهو الله تعالى ولايشعر به ولهذا قال ﴿ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾(٢٠٧) يقول لهم ذلك الافتقار الذى تجدونه فى أنفسكم متعلقه الله لاغير ولكن لاتعرفونه.

علقت بمَن أهواه من حيث لاأدرى ولاأدرى من هذا الذى قال لاأدرى
فقد حرت فى حالى وحارت خواطرى وقد حارت الحيرات فى وفى أمرى
فبينا أنا من بعد عشرين حجة أترجم عن حب يعانقه سرى

ولم أدرى من أهوى ولا أعرف اسمه ولا أدرى من هذا الذى ضمه صدرى
إلى أن بدا لى وجهها من نقابها كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر

ودون ذلك الحب هو حب الحب وهو الشغل بالحب عن متعلقه، جاءت ليلى إلى قيس وهو يصيح: ليلى ليلى فقالت: أنا ليلى فقال لها: إليك عنى فقد شغلت بحبك عنك.

والحب من الأمور التى لا تحد وكل حب يحكم على صاحبه، بحيث أن يصمه عن كل مسموع سوى ما يسمع من كلام محبوبه ويخرسه عن كل كلام إلا عن ذكر محبوبه وذكر من يحب محبوبه ويختم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه، ويرمى قفله على خزانة خياله فلا يتخيل سوى صورة محبوبه إما عن رؤية تقدمته أو عن وصف ينشىء منه الخيال صورة فيكون كما قيل.

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ومثواك فى قلبى فأين تغيب

فبه يسمع، وله يسمع وبه يبصر وله يبصر وبه، يتكلم وله يتكلم، قال أحد الأكابر: بلغ بى من قوة الخيال أن كان حبى يجسد لى محبوبى من خارج لعينى فلا أقدر أنظر إليه ويخاطبنى وأصغى إليه وأفهم عنه ولقد تركنى أياما لا أسيغ طعاما كلما قُدمت لى المائدة يقف على حرفها وينظر إلى ويقول بلسان أسمعه بأذنى تأكل وأنت تشاهدنى فأمتنع من الطعام ولا أجد جوعا وأمتلىء منه حتى سمنت من نظرى إليه فقام لى مقام الغذاء.

فإذا كان الله هو المحبوب فإن الحب يستغرق جميع العبد فهو دائم المشاهدة، ومشاهدة المحبوب كالغذاء للجسم به ينمى ويزيد، فكلما

زاد مشاهدة زاد حبا، ولهذا الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق يهيج باللقاء وهو الذى يجده العشاق عند الاجتماع بالمحبوب، لا يشبع من مشاهدته فكلما نظر إليه وجد به شوقا مع حضوره معه كما قيل:

ومن عـــجب أنى أحن إليـــهم وأســأل شـوقــا عنهم وهم مــعى
وتبكيــهم عــينى وهم فى ســوادها وتشتــاقهم نفسى وهم بين أضلعى

وكل حب يبقى فى المُحب عقلا يعقل به عن غير محبوبه فليس بحب خالص وإنما هو حديث نفس. ولنجعل الله تبارك وتعالى نصب أعيننا وفى قلوبنا وفى قبلتنا وفى خيالنا حتى كأنا نراه، لا بل نراه فينا لأنا عرفناه بتعريفه لا بنظرنا، والله لا يحب فى الموجودات غيره فهو الظاهر فى كل محبوب لعين كل محب، وما فى الوجود إلا محب، فالعالم كله محب ومحبوب وكل ذلك راجع إليه كما أنه لم يعبد سواه فإنه ما عبد من عبد إلا بتخيل الألوهية فيه ولولاها ما عُبد، ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾(٢٠٨) وكذلك الحب ما أحب أحد غير خالقه ولكن احتجب عنه تعالى بحب زينب وسعاد وهند وليلى والدنيا والدرهم والجاه وكل محبوب فى العالم، فأفنت الشعراء كلامها فى الموجودات وهم لا يعلمون، أما العارفون فإنهم لم يسمعوا شعرا ولا غزلا ولا تمدحا إلا فيه من خلف حجاب الصور، وسبب ذلك الغيرة الإلهية أن يُحب سواه فإن الحب سببه الجمال، وهو له لأن الجمال محبوب لذاته، والله جميل يحب الجمال فيحب نفسه وسببه الآخر الإحسان وما ثم إحسان إلا من الله ولا محسن إلا الله،

فإن أحببت للإحسان فما أحببت إلا الله فإنه المحسن، وإن أحببت للجمال فما أحببت إلا الله تعالى فهو الجميل، فقوله تعالى ﴿ يحببكم الله ﴾(٢٠٩) على الحقيقة نفسه أحب.

واعلم أن الحب لا يتعلق إلا بغائب، فإذا أحببت محبوبا من شأنه أن يعانق فتحب عناقه أو ينكح فتحب نكاحه أو يجالس فتحب مجالسته فتتخيل أن حبك متعلق بالشخص وليس كذلك فانظر إلى الذى يهيجك للقائه فهو متعلق حبك به، واعلم أن متعلق حبك به ليس هو عناقه ولا مجالسته لأنك إذا عانقته أو جالسته فإن متعلق حبك ليس معانقته أو مجالسته ولكن دوام ذلك واستمراره والدوام والاستمرار معدوم فما تعلقت إلا بغائب معدوم وما أحسن قوله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾(٢١٠) بضمير الغائب والفعل المستقبل فما أضاف متعلق الحب إلا لغائب.

والفرق بين الحب الروحانى والطبيعى هو الجمع بين الضدين، فالبهائم تحب ولا تجمع بين الضدين بخلاف الإنسان فإنه جمع بين الضدين لخلقه على الصورة والله وصف نفسه بالضدين فقال ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾(٢١١) المعز المذل الضار النافع.

فالحب من صفاته الاتصال بالمحبوب، ومن صفاته اللازمة حب ما يحبه المحبوب فيحب المحبوب الهجر فإن أحب المحب الهجر فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة وإن أحب الاتصال فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة أيضاً، فالمحب محجوج على كل حال وغاية الجمع بينهما أن

يحب حب المحبـوب للهـجر لا الـهـجر ويحب الاتصـال، كـالراضى بالقضاء فيصح له اسم الرضا بالقضاء مع كونه لا يرضى بالمقضى إذا كان المقضى به كفرا، فإن القضاء هو حكم الله بالمقضى وليس هو عين المقضى فيرضى بحكم الله، وهذا هو الحب الروحانى، أما الحب الطبيـعى كـحب الحيـوانات فإنـه يطلب الاتصال بمن يـحب خاصة ولا يعلم أن محبوبه له حب فى كذا لا علم له بذلك.

فالحب منه إلهى وروحـانى وطبيعى وما ثم حب بغير هذا، فالحب الإلهى هو حب الله لنا ، وحـبنا الله أيضًـا قـد يطلق عليـه أنه إلـهى، والحب الروحـانى هو الذى يسعى به فى مرضات المحبوب فلا يبقى له مع مـحبـوبه غـرض ولا إرادة بل هو بحكم مـا يراد به خـاصـة، والحب الطبـيـعى هو الذى يطلب به نيل أغـراضـه سـواء سـر ذلك المحبوب أو لم يسره وعلى هذا أكثر حب الناس اليوم.

الحب الإلهى:هو أن يحبنا لنا ولنفسه، فأما حبه إيانا لنفسه فهو قوله «أحببـت أن أعرف فخلقت الخلق فتـعرفت إليهم فعرفونى «فما خلقنا إلا لنفسه حـتى نعرفـه وقـولـه ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلاليعبدون** ﴾(٢١٢) وأما حبه إيانا لنا فلما عرفنا به من الأعمال التى تؤدينا إلى سعـادتنا ونجـاتنا من الأمـور التى لا توافق أغـراضنا ولا تلائم طباعنا، فخلق الله الخلق ليسبحوه ويسجدوا له ويثنوا عليه فقال ﴿ **ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض....** ﴾(٢١٣) ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض....** ﴾(٢١٤)

فما ترك شيئاً، وخطابه فى الآيتين بألم تر هو للنبى ﷺ الذى أشهده تعالى سجود المخلوقات وتسبيحها فلم يقل ألم تروا فهو لنا إيمان ولرسول الله ﷺ عيان، فالعالم كله فى مقام الشهود والعبادة إلا كل مخلوق له قوة التفكر وليس إلا النفوس الناطقة الإنسانية والجانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم، لا من حيث هياكلهم فإن هياكلهم كسائر العالم فى التسبيح والسجود له فأعضاء البدن كلها بتسبيحه ناطقة ألا تراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة وهذا كله من حكم حبه إيانا لنفسه، فمن وفى شكره ومن لم يوف عاقبه فنفسه أحب وتعظيمه والثناء عليه أحب.

وأما حبه إيانا لنا فإنه عرفنا بمصالحنا دنيا وآخرة، ونصب لنا الأدلة على معرفته حتى نعلمه ولا نجهله ثم أنه رزقنا وأنعم علينا مع تفريطنا بعد علمنا به، وأنه ما أوجد تلك النعم إلا من أجلنا لننعم بها وتركنا نرأس ونتربع ثم أنه بعد هذا الإحسان التام لم نشكره، ومن إحسانه أن قذف فى قلوبنا نور الإيمان، وحببه إلينا، وزينه فى قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، فآمنا وصدقنا واستعملنا فى محابه ومراضيه فعلمنا أنه لولا ما أحبنا ما كان شيء من هذا كله، ثم أن رحمته سبقت غضبه.

أما حبنا لله تعالى فهو الحبان معا الحب الروحانى الطبيعى، ونحن فى حبنا إياه، إما أنا نحبه له أو نحبه لأنفسنا أو نحبه للمجموع ولا لواحد مما ذكرنا، وهناك تقسيم آخر وهو وإن أحببناه فهل نحبه

بنا أو نحبه به، أو نحبه بالمجموع أو نحبه ولا بشيء مما ذكرناه، فمن عرفه في الشهود أحبه للمجموع، ومن عرفه في الخبر أحبه له، ومن عرفه في النعم أحبه لنفسه، وحبه له يكون بغير طلب جزاء بل عبادة ذاتية كعبادة الجماد والنبات والحيوان فهم يعبدون ويسبحون لا للجزاء ولا يتصور معها طلب مجازاة، ومنهم من حبه له ولنفسه وهم الذين عبدوه لأن العبادة ترضيه ثم أنه لما ذكر لهم الثواب والعقاب عبدوه عبادة أخرى تطلبها رغبة في الثواب، ورهبة من العقاب فجمع بين عبادة له وعبادة رغبة ورهبة، والله تعالى قد وصف نفسه بالغيرة فلم يرد المشاركة في الحب، وأراد أن يستخلص نفوسنا لنفسه «خلقتك لنفسي» ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾(٢١٥) فلا تحب سواه فتجلى لها في صورة طبيعية وأعطاها علامة لا تقدر على إنكارها في نفسها وهي المعبر عنها بالعلم الضروري فعلمت أنه هو هذه الصورة ثم تجلى لها بهذه العلامة في جميع الأسباب كلها فعرفته فأحبت الأسباب من أجله لا من أجلها فتجلى لها في عين ذاتها الطبيعية والروحانية بتلك العلامة فرأت أنها ما رأته إلا به لا لنفسها وما أحبته إلا به لا بنفسها فهو الذي أحب نفسه ما هي أحبته فهو المحب والمحبوب والطالب والمطلوب.

وهذا هو بدء حبه إيانا، وأما حبنا إياه فبدؤه السماع لا الرؤية، وهو قوله لنا ونحن في جوهر العماء كن، فنحن كلماته التي لا تنفد، فلما سمعنا كلامه ونحن ثابتون في جوهر العماء لم نتمكن أن نتوقف عن الوجود، فكنا صورا في جوهر العماء فأعطينا بظهورنا في العماء

أثبتها فإنه لا يتغير باللقاء، وأما حب الإحسان فمعلول قد تزيله الغفلة مع دوام الإحسان لكون عين المحسن غير مشهودة وقد يطلق الهوى على محاب الإنسان فيأمره ربه بأن لا يتبع محابه بل يتبع محاب ربه ﴿ **ولا تتبع الهوى** ﴾[٢١٦].

٢ ـ الحب:

فهو أن يتخلص هذا الهوى فى تعلقه بسبيل الله دون سائر السبل ﴿ **والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾[٢١٧] فهو من الصفاء ومنه الحب الذى يوضع فيه الماء ليصفو، إذ أن الكفار تبرأ بعضهم من بعض فزال حبهم وبقى حب المؤمنين فكان أشد، لأن حب المشركين كان منقسما فى الدنيا بين الله وبين شركائه الذين توهموهم فلما كان فى الآخرة وصفا لهم حبهم › خاصة وتبرأوا من شركائهم كان حب المؤمنين أشد إذ لم يكن منقسما.

٣ ـ العشق:

فهو إفراط المحبة ﴿ **أشد حبا** ﴾[٢١٨] وذلك إذا عم الإنسان وأعماه عن كل شيء سوى محبوبه وسرى فى روحه وجميع قواه وجرى فيه مجرى الدم من العروق وغمرت جميع مفاصله فاتصلت بوجوده وعانقت جميع أجزائه ولم يبق فيه متسع لغيره وصار نطقه به وسماعه منه ونظره إليه ورآه فى كل صورة

ما قد لى عضو ولا مفصل إلا وفيه لكم ذكر

الوجود للعماء بعدما كان معقولى الوجود حصل له الوجود العينى فهذا كان سبب بدء حبنا إياه ولهذا نتحرك ونطيب عند سماع النغمات لأجل كلمة كن الصادرة من الصورة الإلهية غيبا وشهادة.

الحب الروحانى: أن يحب محبوبه لمحبوبه ولنفسه، الموجود محبوب فإن كان ذا إرادة أى: له محبة لشيء أو غرض فينبغى أن يحب محبوب ذلك الموجود فيحبه له، فإن لم يكن ذا إرادة أحبه لنفسه، أى: لنفس المحب، وغاية الحب الروحانى أن يقول: أنا من أهوى أهوى أنا، وكل ما فى الوجود محب ولكن لا يعرف متعلق حبه وينحجبون بالموجود الذى يوجد محبوبه فيه فيتخيلون أن ذلك الموجود محبوبهم وهو على الحقيقة بحكم التبعية، فعلى الحقيقة لا يحب أحد محبوبا لنفس المحبوب وإنما يحبه لنفسه لأن المحبوب معدوم والمعدوم لا يتصف بالإرادة.

الحب الطبيعى: هو أن يحب لنفسه لا لعين المحبوب، ولا يصح أن يحب المحب اثنين أصلا لأن القلب لا يسعها وهذا بالنسبة للمخلوق، والحب من المحال زواله إلا بزوال المحب من الوجود والمحب لا يزول من الوجود فالمحبة لا تزول.

والحب له أربع ألقاب: ـ

١ ـ الهوى:

وهو سقوطه فى القلب، أى: ظهوره من الغيب إلى الشهادة، وسبب حدوثه إما نظرة أو سماع أو إحسان وأعظمها النظر وهو

وهؤلاء العشاق الذين استهلكوا فى الحب، وهذا الذى يسمى بالغرام وهو الملازمة لملازمة المحب لمحبوبه، وسمى الغريم غريما لملازمته لغريمه ومقلوبه الرغام وهو اللصوق بالتراب من الذل فصاحب الغرام ما رأينا أذل منه مع حبيبه.

٤ ـ الـود:

هو ثبات الحب أو العشق أو الهوى، فإذا ثبت صاحب هذه الصفة عليها ولم يغيره شيء عنها فى المنشط والمكره وما يسوء ويسر فى حال الهجر والطرد وفى حال القرب والوصل ولم يبرح تحت سلطان محبوبه لكونه صار مظهرا لمحبوبه سمى ودا ﴿ **سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾(٢١٩) أى ثباتا فى المحبة عند الله وفى قلوب عباده.

وأعلى درجات المحبة أن ينزل محبوبه من حضرة المعانى. إلى حضرة خياله، فهى فى خياله ألطف منها فى عينه «اعبد الله كأنك تراه» ولذلك لما جاءت ليلى إلى المجنون فقال لها: إليك عنى، لئلا تحجبه كثافة المحسوس منها عن لطف هذه المشاهدة الخيالية فإنها فى خياله ألطف منها فى عينه وأجمل، أما من يرى الله تعالى فى حضرة المعانى فإنما يراه به تعالى ومنهم من بلغ خياله من القوة بأن يجسد له ما يراه بخياله ويكثفه صورة أمامه يراها بعينه.

ومنهم من قال إن الحب يذهب بالعقول، وقالوا: لا خير فى حب يُدَبر بالعقل، ومنهم من قال الحب أملك للنفوس من العقول، ومن أخص صفات الحب الضلال والحيرة وتفرق الهموم ﴿ **إنك لفى**

ضلالك القديم﴾[٢٢٠] ﴿إنما أشكو بثى﴾[٢٢١] والبث هوالتفرق قال تعالى ﴿ وبث منهما﴾[٢٢٢] ﴿ هباء منبثا﴾[٢٢٣]، والمحب فى حكم محبوبه فلا تدبير له فى نفسه وإنما هو بحكم ما يعطيه ويأمره به سلطان الحب المستولى على قلبه، ومن ضلالته فى حبه أنه يتخيل فى كل شخص أن محبوبه حسن عنده كما هو حسن عنده، أى: يتخيل أن كل من يرى محبوبه يحسن عنده.

والحب كالسراب يحسبه الظمآن ماءً، وذلك لظمأه ولولا ذلك ما حسبه ماء لأن الماء موضع حاجته فيلجأ إليه لكونه مطلوبه ومحبوبه لما فيه من سر الحياة ﴿إذا جاءه لم يجده شيئا﴾[٢٢٤] أى : انعدمت شيئيته ﴿ ووجد الله عنده﴾[٢٢٥] وهو المحبوب على الحقيقة، فيرجع إليه تعالى، لما تقطعت به الأسباب وتغلقت دون مطلوبه الأبواب فكان قصده الماء والله يسوقه به إليه من حيث لا يشعر إما اضطرارا ورهبة وإما اختيارا ورغبة، وكذلك إذا تحقق كل شىء يطلق عليه لفظ شىء لتجدن الله عنده.

وجزاء من أحب غير عينه شوق لا يخمد.

وأبكى إن نأوا شوقا إليهم وأبكى إن دنوا خوف الفراق

فشوقه يهيج باللقاء وهو الاشتياق أما الشوق فإنه يسكن باللقاء.

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

فلو أحب الله تعالى وهو روحه ومعناه لتكن هذه حالته، فإنه ما أحب غير عينه، فمحب الله لا يخاف فرقة وكيف يفارق لشىء لازمه

وهو فى قبضته لا يبرح وبحيث يراه محبوبه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، أين الفراق وما فى الكون إلا هو.

يقول تعالى «من تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا» فإذا كان الحق مع غناه عن العالم إذا أحبه عبده سارع إليه بالوصلة وقربه وأدنى مجلسه وجعله من خواص جلسائه، فأنت أولى بهذه الصفة إذا أحبك شخص فقد أعطاك السيادة عليه وجعل نفسه محلا لتحكمك فيه، وينبغي لك إن كنت عاقلا أن تعرف قدر الحب وقدر من أحبك ولتسارع إلى وصلته تخلقا بأخلاق الله، فإنه من بدأك بالمحبة فتلك يد له عليك لا تكافئها أبدا.

ومن نعوت المحبين الهيام: أى: يجعله الحب يهيم على وجهه من غير قصد جهة مخصوصة فمحب الله متيقن بالوصلة غير، أى: محب آخر فإنه يائس من وصل محبوبه، فهيام محب الله لأنه علم أنه تعالى لا يتقيد ولا يختص بمكان ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾(٢٢٦) وهيام غيره ليأسه من الوصال، فالله تعالى يتجلى لحبيبه فى قصد يقصده على أى حالة كان ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾(٢٢٧).

ومن نعوت المحبين الكمد، وهو أشد حزن القلب، إلا أن صاحبه يكون كثير التأوه والتنهد، وهو حزن يجده فى قلبه لا على فائت ولا تقصير وهذا هو الحزن المجهول ليس له سبب إلا الحب خاصة، وليس له دواء إلا وصال المحبوب فيفنيه شغله به عن الإحساس بالكمد.

ومن نعوت المحبين لله خاصة الاتباع لرسوله ﷺ فيما شرع، قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾(٢٢٨) فمحبة الله لعباده وقعت من قبل خلقهم أما المحبة الخاصة فوقعت من النوافل فكيف بالفرائض.

١ ـ فمن ذلك حبه للتوابين ومن أسمائه التواب فما أحب إلا اسمه وصفته وأحب العبد لاتصافه بها ولكن إذا اتصف بها على حد ما أضافها الحق إليه، وذلك أن الحق يرجع على عبده فى كل حال يكون العبد عليه مما يبعده من الله وهو المسمى ذنبا ومعصية فإذا أقيم العبد فى حق من أساء إليه من أمثاله فرجع عليه بالإحسان إليه والتجاوز عن إساءته فذلك هو التواب ما هو الذى رجع إلى الله فإنه لا يصح أن يرجع إلى الله إلا من جهل أن الله معه على كل حال، وما خاطب الحق بقوله ﴿ترجعون فيه إلى الله﴾(٢٢٩) إلا من غفل عن كون الله معه على كل حال، وكذلك قال عليه السلام «إن الله يحب كل مفتن تواب» أى: يختبره الله تعالى بمن يسىء إليه من عباد الله فيرجع عليهم بالإحسان إليهم فى مقابلة إساءتهم وهو التواب، لا أن الله يختبر عباده بالمعاصى حاشا لله أن يضاف إليه مثل هذا وإن كانت الأفعال كلها لله من حيث كونها أفعالا وما هى معاصى إلا من حيث حكم الله فيها بذلك فجميع أفعال الله حسنة من حيث ما هى أفعال.

٢ ـ ومن ذلك حبه للمتطهرين،فيطهر العبد نفسه من الكبرياء والجبروت والخيلاء والعجب وغيرها مما لا يصلح إلا لله وقد طبع الله على القلوب أن يدخلها العجب والجبروت والكبر، لأن الإنسان يعلم عجزه وحاجته إلى كسرة خبز ليدفع عن نفسه ألم الجوع وحاجته إلى الخلاء ليدفع عن نفسه ألم ما فى بطنه فمن صفته هذه كل يوم وليلة كيف يصح أن يكون فى قلبه كبرياء ﴿ **كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار**﴾(٢٣٠) ولكن يظهر ذلك على ظاهره وجعل الله له مواطن يظهر فيها ولا يكون مذموما،ومواطن إذا ظهر فيها يكون مذموما ممقوتا فمن طهر ذاته عن أن ترى عليه هذه النعوت فى غير مواطنها فهو متطهر ويحبه الله، كما نفى محبته عن كل مختال فخور ﴿ **إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾(٢٣١).

٣ ـ ومن ذلك حبه للمطهرين ﴿ **والله يحب المطهرين**﴾(٢٣٢) وهم الذين طهروا غيرهم كما طهروا نفوسهم فتعدت طهارتهم فقاموا فيها مقام الحق نيابة عنه فإنه المطهر على الحقيقة.

٤ ـ ومن ذلك حبه للصابرين ﴿ **والله يحب الصابرين**﴾(٢٣٣) وهم الذين ابتلاهم فحبسوا نفوسهم عن الشكوى إلى غير الله، ﴿ **وما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا**﴾عن حمله لأنهم حملوه بالله ﴿ **وما صبرك إلا بالله**﴾(٢٣٤) وإن شق عليهم ﴿ **وما استكانوا**﴾(٢٣٥) لغير الله فى إزالته ولجأوا إلى الله فى إزالته كما قال العبد الصالح ﴿ **مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين**﴾(٢٣٦) فرفع الشكوى إليه لا إلى غيره فأثنى الله عليه بأنه وجده صابرا نعم

العبد إنه أواب مع هذه الشكوى، فدل أن الصابر يشكو إلى الله لا إلى غيره بل يجب عليه ذلك لما فى الصبر إن لم يشك إلى الله من مقاومة القهر الإلهى، وهو سوء أدب مع الله، ومن أسمائه الصبور فما أحب إلا من رأى خلعته عليه، وقد عرفنا تعالى أن فى خلقه من يؤذيه ونعتهم لنا لنعرفهم فندفع ذلك الأذى عنه تعالى بمقاتلتهم أو بتعليمهم إن كانوا جاهلين طالبين العلم، وقد سمى نفسه صبورا وقد رفع إلينا ما أوذى به وعرفنا بهم لنذب عنه مع الاتصاف بالصبور لنعلم أنا إذا شكونا إليه ما تزول من البلاء وسألناه فى رفعه عنا لا يزول عنا اسم الصبر فلا تزول عنا محبته، وفى الصحيح «ليس أحد أصبر على أذىً من الله».

٥ ـ ومن ذلك حبه للشاكرين، و﴿ **الله شاكر عليم**﴾(٢٣٧) فما أحب من العبد إلا ما هو نعته، والشكر لا يكون إلاعلى النعم لا على البلاء فمن استعمل دواء فإنه يصبر على ما يكره من استعماله ويشكر على ما فى الدواء من نعمة إزالة الداء، فلما شكره على ما فى هذا المكروه من النعمة زاده نعمة أخرى وهى العافية و﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾(٢٣٨)، وكذلك لما أوذى الحق تعالى وسعينا فى إزالة ذلك المؤذى بقتال مثلا كان ذلك للحق بمنزلة شرب الدواء الذى يكرهه المريض فى الحال ويراه نعمة لما فيه من إزالة الداء، وقد أوحى الله لنبيه داود أن يبنى له بيتا يعنى بيت المقدس فكلما بناه تهدم فقال ربه فيما أوحى إليه أنه لا يقوم على يديك فإنك سفكت الدماء فقال له يارب ما كان ذلك إلا فى سبيلك فقال صدقت ما كان إلا فى

سبيلى ومع هذا أليسوا عبيدى فلا يقوم هذا البيت إلا على يد مطهرة من سفك الدماء فقال يارب اجعله منى فأوحى الله إليه أنه يقوم على يد ولدك سليمان فبناه سليمان عليه السلام، فلما أزال العبد هذا الأذى عن جناب الحق شكره الله على ذلك والشكر يطلب المزيد فطلب من عباده سبحانه أن يزيدوه فزادوه فى العمل وهو قوله عليه السلام «أفلا أكون عبدا شكورا» فزاد فى العبادة لشكر الله له شكرا فزاد الحق فى الهداية والتوفيق، فزد فى عملك تكن قد جازيت ربك على شكره إياك على ما عملت له وذلك العمل هو الصوم فإنه له، ودفع الأذى عنه وهو قوله: «هل واليت فىَّ وليا أو عاديت فىَّ عدوا»، وقد باسط الله أحد العارفين فقال له: لن تبلغ حد الشاكرين حتى لا ترى مُنْعَما عليه غيرك، فقال العارف: كيف وهؤلاء الملوك والعلماء والأنبياء؟فقال له الله: كل هذا من نعمى عليك فلولا الأنبياء ما اهتديت ولولا العلماء ما اقتديت ولولا الملوك ما أمنت، وهذا هو شكر القلب، وشكر اللسان يكفى فيه قول الحمد لله رب العالمين، ألا ترى أن الجنة التى هى أعظم النعم فكان شكر أهلها فيها ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾(٢٣٩).

٦ ـ ومن ذلك حبه للمحسنين ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾(٢٤٠)، والإحسان صفته، والإحسان الذى به يسمى العبد محسنا هو أن يعبد الله كأنه يراه أى على المشاهدة، وإحسان الله هو مقام رؤيته عباده فى حركاتهم وتصرفاتهم وهو قوله ﴿ **إنه على كل شىء شهيد** ﴾(٢٤١) ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾(٢٤٢) فشهوده لكل شىء هو إحسانه فإنه بشهوده يحفظه من الهلاك فكل حال ينتقل فيه العبد فهو من إحسان

الله إذ هو الذى نقله تعالى ومعنى «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أى فإن لم تحسن فهو المحسن، وهذا المقصود به الصحابة لا النبى ﷺ ولذلك قال «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم».

٧ ـ ومن ذلك حبه المقاتلين فى سبيل الله بوصف مخصوص، قال تعالى ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**﴾[٢٤٣] أى لا يدخله خلل فإذا دخلها خلل زال سبيل الله وظهرت سبل الشياطين،وكذا فى الصلاة يتراص المصلون فالشياطين تتخلل خلل الصفوف.

ولما أحب الله من أحب من عباده رزقهم محبته من حيث لا يعلمون فوجدوا فى نفوسهم حبا لله فادعوا أنهم من محبى الله فابتلاهم الله من كونهم محبين وأنعم عليهم من كونهم محبوبين، فإنعامه دليل على محبته فيهم، وابتلاؤه إياهم لما ادعوا من حبهم إياه فلهذا ابتلى الله أحبابه من المخلوقين.

٨ ـ ومنه حب الجمال، ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ قال «إن الله جميل يحب الجمال» فالعالم هو جمال الله فهو الجميل المحب للجمال فمن أحب العالم بهذا النظر فقد أحبه بحب الله وما أحب إلا جمال الله فإن جمال الصنعة لا يضاف إليها وإنما يضاف إلى صانعه.

أما نعوت الحب الذى ينبغى أن يكون المحب عليها وبها يسمى محبا، مقتول تالف سائر إليه بأسمائه دائم السهر كامن الغم راغب

فى الخروج من الدنيا إلى لقاء محبوبه، متبرم بصحبة ما يحول بينه وبين لقاء محبوبه، كثير التأوه يستريح إلى كلام محبوبه وذكره بتلاوة ذكره موافق لمحاب محبوبه، خائف من ترك الحرمة فى إقامة الخدمة،يستقل الكثير من نفسه فى حق ربه ويستكثر القليل من حبيبه لا يطلب الدية فى قتله يؤثر محبوبه على كل مصحوب غيور على محبوبه لا يقبل حبه الزيادة بإحسان المحبوب ولا النقص بجفائه، لا يفرق بين الوصل والهجر من هيامه يقول عن نفسه أنه عين محبوبه لا يقول لمحبوبه لم فعلت كذا، مهتوك الستر، سره علانية، لا يعلم الكتمان، لا يعلم أنه محب لا يدرى إلى ولا فيمن لا يتميز له محبوبه مسرور محزون حاله يترجم عنه بغير كلام سكران لا يصحو، كلما فرغ نصب، لا يعرف التعب، روحه عطية وبدنه مطية، لا يعلم شيئًا سوى ما فى نفس محبوبه قرير العين لا يتكلم إلا بكلامه هم المسمون بحملة القرآن حتى صاروا عين القرآن سبحان من قواهم على ما هم فيه.

أما العارفون فمحبتهم لا أثر لها فى ظواهرهم، فالمعرفة تمحو آثارها لا خبر للطبيعة بما يحمله من المحبة، حبه إلهى وشوقه ربانى مؤيد باسمه القدوس عن تأثير الكلام المحسوس، أما الذى يذوب عندما يسمع كلام الحب فلو كان ذا حب ما كان هذا حاله، فقد كان محبا ولم يذب حتى سمع كلام الشيخ فصار ماء، وقصته أن رجلا محبا دخل على شيخ فتكلم الشيخ عن مقام الحب فمازال ذلك الشخص ينحل ويذوب عرقا حتى تحلل جسده كله على الحصير ماء،

فحب لا حكم له في المحب حتى يثيره كلام متكلم حب طبيعي لا إلهي فلو كان إلهيا لما أثرت فيه كلمات الحروف ولا هزت روحانيته هذه الظروف، فالمحب الإلهي روح بلا جسم والمحب الطبيعي جسم بلا روح، والمحب الروحاني ذو جسم وروح، فالكلام في المحبة يؤثر في المحب الطبيعي ولا يؤثر في المحب بالحب الإلهي ويؤثر بعض التأثير في المحب بالحب الروحاني.

ومن أخلاقهم أنهم لا يذيعون أسرار محبوبهم فإن هم أذاعوها فالمحبوب بالخيار إما أن يبدله من الإيناس إيحاشا وإما أن يعفو ويتوب عليه فينتزع السر من قلوب من أذاعه عليهم، والأصل الكتمان إلا أن يأمره المحبوب بإذاعة السر فليس له إلا الامتثال، والله قد سبقت محبته محبة من أحبه ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾(٢٤٤) والمحب قد تغلب الطبيعة عليه فيكون مظلم الهيكل فيحب الحق في الخلق فيدرج النور في الظلمة ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار** ﴾(٢٤٥) وقد تغلب عليه الروح فيكون منور الهيكل فيحب الخلق في الحق «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه» فأحببته في النعم.

وقال المحب إنما أدخل على الله بأسمائي وإذا خرجت إلى خلقه أخرج إليهم بأسمائه الحسنى تخلقا، فلما دخل عليه بما يظن أنها أسماؤه رأى أن الكل أسماؤه تعالى وأن العبد لا اسم له حتى إن اسم العبد ليس له وأنه متخلق به كسائر الأسماء الحسنى فعلم أن السير إليه والدخول عليه والحضور عنده ليس إلا بأسمائه وهذه غاية عظمى دونها من قال الله له «تقرب إلي بما ليس لي».

والمحب دائم السهر لأن حبيبه لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو جليس من ذكره والنوم عليه حرام، أي: على المحب، وهذا المحب يقول إن النوم عليه حرام مع الفراق فكيف مع الشهود والمجالسة.

النوم بعدكم على حرام   من فارق الأحباب كيف ينام

فالنوم مع المشاهدة أبعد وأبعد.

والمحب يحب لقاء الله تعالى بالموت فالله تعالى خلق الموت وابتلاهم به تمحيصا لدعواهم فى محبته وغيرة عليهم أن تكون لهم علاقة وألفة بأجسامهم فإذا انقضى حكمه ذبحه يحيى عليه السلام بين الجنة والنار.

والمحب موافق لمحاب محبوبه وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

هوى بين الملاحة والجمال   يقاسيه القوى من الرجال
ويضعف عنه كل ضعيف حال   تقلب فى النعيم وفى الدلال
وتقليبى مع الهجران عندى   ألذ من العناق مع الوصال
فإنى فى الوصال عبيد نفسى   وفى الهجران عبد للموالى
وشغلى بالحبيب بكل وجه   أحب إلى من شغلى بحالى

وفى هذا قال من قال:

أريدك لا أريدك للثواب   ولكنى أريدك للعقاب
وكل مآربى قد نلت منها   سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

والمحب قتله شهادة، فقتله حياته والحى لادية فيه، والمحب قد جاوز الحدود بعد حفظها وهو معين فى أحباء أهل بدر، قال لهم افعلوا

ما شئتم فقد غفرت لكم، وأما فى غير المعينين من أهل الخصوص فقد قال الله تعالى «أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب فقال فى الرابعة أو فى الثالثة اعمل ما شئت فقد غفرت لك» فأباح له وأخرجه من التحجير فى الدنيا إذ كان الله لا يأمر بالفحشاء فما عصى الله صاحب هذه الصفة بل تصرفه فيما أحبه الله له، وقد كان قبل هذه الصفة من أهل الحدود فجاوزها بعد حفظها بخلاف صاحب الحال فإن حكم صاحب الحال المجنون الذى ارتفع عنه القلم فلا يكتب لا له ولا عليه وهذا يكتب له ولاعليه فهذا قدر ما بين العلم والحال فما أشرف العلم، فالمحب إذاكان صاحب علم هو أتم من كونه صاحب حال فالحال فى هذه الدار الدنيا نقص وفى الآخرة تمام والعلم هنا تمام وفى الآخر أتم ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾(٢٤٦) الحسنى هى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ومجاوزة الحدود هى الزيادة فما تخلقوا إلا بخلقه تعالى.

والمحب غيور على محبوبه وهذا أحق ما يوجد فى حق من يحب الله، وهذا مقام الشبلى أداه إلى تعظيم محبوبه فى نفسه وحقارة قدره فرأى أنه لا يليق بذلك الجناب العزيز إدلال المحبين فهم لا يظهرون عند العالم بأنهم من المحبين وهذا مقام رسول الله ﷺ فإنه وصف نفسه بأنه أغير من سعد فستر محبته ومالها من الوجد بالمزاح وملاعبة الصغير وإظهار حبه فيمن أحبه من أزواجه وأولاده وأصحابه وقوله ﴿ إنما أنا بشر ﴾(٢٤٧) فلم يجعل عند نفسه أنه من المحبين، وقال ﷺ «والله أغير منى ومن غيرته حرم الفواحش»

والمحب لا يفرق بين الوصل والهجر لشغله بما عنده من محبوبه فهو مشهوده دائما

فالليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فهو فى الحالتين صاحب شكوى وعذاب دائم، ومنهم من يكون فى الحالتين صاحب شهود واستغراق فيقول:

شغلى بها وصلت ليلا وإن هجرت فما أبالى أطال الليل أم قصرا

والمحب لا يقول لمحبوبه لم فعلت كذا.

عن أنس رضي الله عنه قال «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال: لى لشيء فعلته، لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله» لأنه كان يرى تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب فى المحب يسلم بل ويستلذ فهو يبذل المجهود ولا يرى أنه وفى ولا يخطر له أنه تحرك فيما يرضى محبوبه.

والمحب مهتوك الستر سره علانية.

الحب أغلب للفؤاد بقهره من أن يري للستر فيه نصيب

وإذا بدا سر اللبيب فإنه لم يبد إلا والفتى مغلوب

إنى لأحسد ذا الهوى متحفظا لم تتهمه أعين وقلوب

فالحب غلاب لا يبقى سترا إلا هتكه ولا سرا إلا أعلنه، زفراته متصاعدة وعبراته متتابعة .

ليفتضح المحبون فى دعواهم محبته فغارأن يدعى فيه الكاذب دعوى الصادق فوضع الميزان وحرم الفواحش من ادعى محبته وقف عند حدوده.

والمحب جرحه جبار، حكى أن عصفورا قال لعصفورة يحبها فى قبة لسليمان عليه السلام لقد بلغ منى حبك أن لو قلت لى اهدم هذه القبة على سليمان لفعلت فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وقال ما هذا الذى سمعته منك فقال لا تعجل على فإن للمحب لسانا لا يتكلم به إلا المجنون فنحن نتكلم بلسان الحب لا بلسان العلم والعقل فضحك سليمان ورحمه، فالله تعالى لا يؤاخذ أهل محبته الذين هم تحت سلطان حبهم له وقد علمنا تعالى أنه قد يعفو عن أهل المعاصى من غير توبة أصلا بل امتنان وفضل فأهدر ما كان له عندهم وذلك مع توعده لهم من شديد عقابه فكيف بأهل المحبة والعشق.

والمحب ليس له اسم بل هو مجهول الاسم فبأى اسم سماه به محبوبه ودعاه به أجابه ولباه، فإذا قيل للمحب ما اسمك؟ يقول سل محبوبى فما سمانى به فهو اسمى فالمألوه يقول يا الله فيقول الله له لبيك والمربوب يقول يارب فيقول له الرب لبيك والمخلوق يقول ياخالق والمرزوق يقول يارازق والضعيف يقول ياقوى فأحوالنا تدعوه دعاء تحقيق فيتخذها أسماء فالمحبوب بأى اسم دعا محبه أجابه.

ياقوتة في مقام الخلة

من أراد أن يكون خليلا للرحمن فإنه يحسن إلى أعدائه مع عداوتهم، ولا يشعرهم أن هذا الإحسان منه، كما فعل الله مع أعدائه فإنه يحسن إليهم وهم لا يشعرون أن هذا الإحسان منه تعالى، فينبغي للإنسان طالب مقام الخلة أن يحسن لجميع الخلق كافرهم ومؤمنهم طائعهم وعاصيهم ويوصل الإحسان إليهم من حيث لا يعلمون، وإن لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدهم بالباطن فدعا الله لهم في نفسه بينه وبين ربه، قال ﷺ «المرء على دين خليله» وهو الله تعالى.

نزل ضيف من غير ملة إبراهيم عليه السلام بإبراهيم عليه السلام فقال له إبراهيم وحد الله حتى أكرمك وأضيفك فقال يا إبراهيم من أجل لقمة أترك ديني ودين آبائي فانصرف عنه فأوحى الله إليه يا إبراهيم له سبعون سنة وأرزقه وهو يشرك بي! فلحقه إبراهيم عليه السلام فاعتذر إليه وأخبره بما أوحى إليه فقال المشرك مثل هذا ينبغي أن يعبد فأسلم، وقال إبراهيم عليه السلام تعلمت الكرم من ربي، رأيته لا يضيع أعداءه فلا أضيعهم فأوحى الله إليه أنت خليلي حقا.

ولولا الرحمة الإلهية ما كان الله يقول ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها**﴾(٢٤٨) وما كان يقول ﴿ **حتى يعطوا الجزية عن يد**﴾(٢٤٩) أليس هذا إبقاء عليهم، فهو في الدنيا يرزق مع الكفر ويعافي ويرحم

فكيف مع الإيمان والاعـتراف فى الدار الآخـرة على الكشف، فـهـو تعالى ينظفـهم ويطهرهم فى النار وهذه رحـمـة أخرى بهم إذ لولا النار لبقوا بقذارتهم.

ولو لم يكن من عظيم الرجـاء فى شـمـول الرحـمـة إلا قـوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[٢٥٠] فإذا استقرت الرحمة فى العرش الحـاوى على جميع أجسام العالم فالرحمة إذن عمت العالم أجمع وكل ما يناقضها أو يريد رفعها من الأسماء والصفات فعوارض لا أصل لها فى البقاء، لأن الحكم للمستولى وهو الرحمن فإليه يرجع الأمر كله فمال الخلق إلى الرحمة فابحث عن صفات إبراهيم عليه السلام وقم بها ترزق مقام الخلة.

واعلم أن الكون كله ما فيه إلا أخلاق الله تعالى فعندما يقول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فمـا ثم سفساف أخلاق، إذ أن أخلاق الله كلها مكارم، فأبان رسول الله ﷺ المصارف لهذا المسمى سفساف أخلاق من حـرص وحسد وشره وبخل وفزع وكل صفة مذمومة فأعطانا لها المصارف إذا أجريناها عليها عادت مكارم أخلاق وزال عنها اسم الذم وكانت محمودة، وما أمر الله باجتناب ما يتجنب منها إلا لاعتقادهم فيها أنها سفساف أخلاق وما تسفسف إلا اعتقادهم.

ياقوتة في مقام الشوق والإشتياق

وهو من نعوت المحبين العشاق

شوق بتحصيل الوصال يزول والاشتياق مع الوصال يكون
إن التخيل للفراق يديمه عند اللقاء فربه مغبون
من قال هون صعبه قلنا له ما كل صعب فى الوجود يهون
هو من صفات العشق لا من غيره والعشق داء فى القلوب دفين
ما حكم هذا النعت إلا ها هنا وهناك يذهب عينه ويبين

متعلق الشوق لابد وأن يكون غائبا غير مشهود له فى الحال وقد اشتاقت الجنة إلى على وسلمان وعمار وبلال.

ياقوتة في العلي

العلو نسبتان، علو مكان وعلو مكانة، فعلو المكان ﴿ **ورفعناه مكانا عليا**﴾(٢٥١) وعلوالمكانة ﴿ **وأنتم الأعلون والله معكم**﴾(٢٥٢) أى فى هذا العلو وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة، أما الكمل فهم عالون بعلو المكان وعلو المكانة.

ياقوتة فى الولى

رسالة الرسول غير ولايته، فالرسل من حيث هم رسل لا من حيث هم أولياء وعارفون على مراتب ما هى عليه أممهم، فما عندهم من العلم الذى أرسلوا به إلا قدر ما تحتاج إليه أمة ذلك الرسول لا زائد ولا ناقص، وتفاضل الرسل فى علم الإرسال بتفاضل أممها ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾(٢٥٣) والرسالة لا تستصحب الرسول بعد موته.

أما تفاضل الأنبياء فبحسب استعدادهم فى المعرفة والنبوة ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض** ﴾(٢٥٤) وتلك النبوة أو تلك الولاية والمعرفة فإنها مستصحبة لذات النبى بعد موته، أما الخلق فقال تعالى ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق** ﴾(٢٥٥) والرزق منه ما هو روحانى كالعلوم وحسى كالأغذية وما ينزله الحق إلا بقدر معلوم، وهو الاستحقاق الذى يطلبه الخلق، فالولاية لم تنقطع أما نبوة التشريع أو الرسالة فمنقطعة، وفى محمد ﷺ قد انقطعت فلا نبى بعده، يعنى مُشرِّعا أو مُشَرَّعا له وإلا فإن عيسى عليه السلام نازل وهو نبى رسول ولكنه على شرع محمد ﷺ ولا يأتى بشرع جديد.

والله تعالى ما تسمى بنبى ولا رسول ولكنه تسمى بولى ﴿ **الله ولى الذين آمنوا** ﴾(٢٥٦) ﴿ **وهو الولى الحميد** ﴾(٢٥٧) ولكن الله رحمة بعباده أبقى للناس النبوة العامة التى لا تشريع فيها وأبقى

لهم التشريع فى الاجتهاد فى ثبوت الأحكام وهى وراثة سليمانية حيث أعطيت هذه الأمة المحمدية رتبة سليمان عليه السلام ﴿ ففهمناها سليمان ﴾[٢٥٨] وأبقى لهم الوراثة فى التشريع فقال «العلماء ورثة الأنبياء»، فإذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولى وعارف.

والولاية هى سر العناية لا تنال بحيلة ولا تدرك بطلب.

ياقوتة فى الوهاب الرزاق

العطايا إما ذاتية أو أسمائية، فالعطايا الذاتية لا تكون إلا عن تجل إلهى والتجلى من الذات لا يكون إلا بصورة استعداد المتجلى له فالمتجلّى له ما رأى سوى صورته فى مرآة الحق، وما رأى الحق ولا يمكن أن يراه، واجهد فى نفسك عندما ترى الصورة فى المرآة أن ترى جرم المرآة، لا تراه أبدا فلون الماء لون إنائه، فهو تعالى مرآتك فى رؤيتك نفسك وأنت مرآته فى رؤيته أسمائه وظهور أحكامها «المؤمن مرآة المؤمن» فتارة تكون المؤمن الأولى اسم من أسمائه تعالى وتارة تكون الثانية، وهذه العطايا هى لأهل الفتح والوصول وكلها من حضرة اسمه الوهاب، فيعطى لينعم ولا يكون مع

الواهب تكليف المعطَى له بعوض على ذلك من شكر أو عمل، لأنها وهب والهبة لا تقتضى العوض.

وعطايا الأنبياء عليهم السلام مواهب على طريق الإنعام والإفضال لا يطلب عليها منهم جزاء ﴿ووهبنا له اسحاق﴾(٢٥٩) ﴿ووهبنا له أهله﴾(٢٦٠) ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾(٢٦١)، ولما طلب الشكر على ذلك العمل طلبه من آل داود ولم يتعرض لذكر داود عليه السلام، ليشكره الآل على ما أنعم به على داود عليه السلام، فهو فى حق داود عليه السلام عطاء نعمة وإفضال من اسمه الوهاب، وفى حق آله غير ذلك، وإن كانت الأنبياء عليهم السلام قد شكروا الله على ما أنعم به عليهم فلم يكن ذلك على طلب من الله بل تبرعوا بذلك من نفوسهم.

وهذه المواهب والعطايا لا تكون عن سؤال أصلا، وإن كانت عن سؤال فيكون هذا السؤال بأمر إلهى خاص، ويكون للطالب الأجر التام على طلبه، فمن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن أمر إلهى فإن الله لا يحاسبه به فى الدار الآخرة، ومن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن غير أمر إلهى فالأمر فيه إلى الله إن شاء حاسبه وإن شاء لم يحاسبه.

أما العطايا الأسمائية، فما من مخلوق إلا أصابته تلك العطايا بل ولا حياة له إلا بها فأوجده وخلقه باسمه البارى واسمه الخلاق والخالق، ورزقه باسمه الرزاق، وأمده باسمه السميع فأسمعه والبصير

فأبصره فجعله بصيرا، وأعطاه قوته من حضرة اسمه القادر وحكمه في غيره باسمه المقتدر.

فتارة يعطى الله تعالى على يدى الواسع فيعم أو على يدى الحكيم فينظر فى الأصلح فى الوقت أو على يدى الوهاب فيعطى لينعم بغير طلب، ولما قال تعالى فى حق الكل ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه**﴾(٢٦٢) اختص سليمان عليه السلام بأن التسخير كان عن أمره ﴿ **فسخرنا له الريح تجرى بأمره**﴾(٢٦٣) وليس من كونه تسخيرا عن أمر الله، وهذا النوع الوهبى لا ينقص صاحبه شيئا من آخرته ولا يحسب عليه لقوله تعالى ﴿ **هذا عطاؤنا**﴾ ولم يقل لك ولا لغيرك ﴿ **فامنن**﴾ أى اعط ﴿ **أو أمسك بغير حساب**﴾(٢٦٤) فعلمنا أن سؤال سليمان عليه السلام ذلك كان عن أمر ربه، أما رسول الله ﷺ فقد عرض عليه أن يكون نبيا ملكا يدين له العالم سفليه وعلويه بغير أن ينقص ذلك مما له عند الله فى الآخرة فأبى إلا أن يكون نبيا عبدا تواضعا لله تعالى فما أرفعه من مقام.

فالوهب يكون من غير عوض، والعطايا تكون لطلب عوض وصاحب اسم الوهاب يقوم بالإحسان إلى نفسه، وإلى كل عباد الله بدون طلب شكر إلا لمجرد الإنعام ﴿ **لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**﴾(٢٦٥).

ياقوتة في الرحمن الرحيم

فالرحمن هو رحمة الامتنان وهى رحمة ذاتية ﴿ **ورحمتى وسعت كل شيء**﴾(٢٦٦) حتى وسعت أسماءه فلا يخلو عنها شيء حتى العدم وسعته فأوجدته فصارت مرتبة العدم معروفة موجودة «سبقت رحمتى غضبى» وهى رحمة تحصل من الله بدون مقابلة عمل بل عناية سابقة كإعطاء الوجود والقدرة وغيرها.

والرحيم هى رحمة الوجوب وهى رحمة صفاتية ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون**﴾(٢٦٧) فدخل الرحيم فى الرحمن دخول تضمن يعنى دخول الخاص تحت العام ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾(٢٦٨) وهى تحصل بمقابلة عمل كإعطاء الثواب على الأعمال فى الجنة، يعنى أن العبد من حيث أنه عبد يجب عليه إتيان أوامر مولاه فلا تجب الرحمة على المولى فى مقابلة شيء فإذا أوجب المولى على نفسه لعبده شيئًا فى مقابلة عمله يستحق العبد ذلك الشيء بسبب عمله، فوصول ذلك الشيء للعبد من المولى امتنان وعطاء محض، ولذا قالوا: الجنة فضل إلهى فلا يستحقها العبد إلا بفضل الله، فكان وجوب الرحمة من وجوب الامتنان، فامتن بالرحمن وأوجب بالرحيم.

حتى العذاب فإن الله تعالى يعذب رحمة لغضبه ليزول الغضب وتشمل الرحمة من حقت عليه كلمة العذاب فبرحمته عذب من عذب لأنه لولا العذاب لتسرمد الغضب وهو أشد من العذاب، وهكذا العارفون، فترى الخضر ما قتل الغلام إلا رحمة به وبأبويه لأنه لو

عاش لدخل النار بكفره، أما إذا مات صغيرا فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وما دعا رسول الله ﷺ على رعل وذكوان إلا رحمة لهم حتى لايزدادوا كفرا وعنادا حتى ينفذ غضبه لله فيهم فلا تتصرف فيهم مرتبته، ولذلك قال ابراهيم عليه السلام ﴿ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ فكأن العذاب من حضرة الرحمة برز، ولما استوى الحق تعالى على عرشه الذى هو محيط بالوجود كله استوى باسمه الرحمن.

وقلب العارف هو من رحمة الله تعالى وهو أوسع منها، فعن أبى عتبة الخولانى رفعه «إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين».

رواه الطبرانى بسند صحيح

وفى الحكم «ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن»، فقلب العارف أى: روحه وسع الحق تعالى ورحمته لا تسعه جل جلاله فالحق راحم ليس بمرحوم فلا حكم للرحمة فيه فيكون القلب أوسع، قال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه لو أن العرش ومثله ألف ألف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف لما أحس به لأنه بيت الله تعالى، فقلب وسع القديم كيف يحس بالمحدث فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثرا.

وفى المنازلات، من جعل قلبه بيتى، وأخلاه من غيرى ما يدرى أحد ما أعطيه فلا تشبهوه بالبيت المعمور، فإنه بيت ملائكتى لا بيتى

ولذلك لم أسكن فيه خليلى ابراهيم بل جلس ساندا ظهره إليه عليه السلام وما دخله، وبهذا القلب كانت أمة رسول الله ﷺ خير الأمم لأن ما كان فى قبلها من الأمم شهادة فهو فيها غيبا فالسكينة نزلت فى تابوت طالوت وهى فى قلوب المؤمنين من هذه الأمة ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين﴾(٢٦٩) لا يدركها إلا أهل الأذواق من هذه الأمة فكل صفات الأمم كانت أجنبية عنهم، أما علامة هذه الأمة ففى قلوبهم ولذلك قيل لهذه الأمة «استفت قلبك» ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾(٢٧٠).

وورثة الأنبياء السابقين يعرفهم الخاص والعام، أما وارث رسول الله ﷺ فلأن سره فى قلبه ولا يظهر على ظاهره منه شيء فلايعرفه إلا الخاص لأن خرق عادته إنما هو حال وعلم فى قلبه فهو فى كل نفس يزداد علما بربه ناتج من الطمأنينة التى يجدها فيه، ألا ترى رسول الله ﷺ كيف أسرى به إلى المقام الذى قد عرفت فلما خرج إلى الناس بكرة تلك الليلة أنكر عليه بعض الصحابة لكونهم ما رأوا لذلك أثرا فى الظاهر، وموسى عليه السلام لما جاء من عند ربه كساه الله تعالى نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه.

فمن جعل الله آيته فى قلبه وكان على بينة من ربه كساه الله الصفة الحجابية غيرة منه عليه فقد ملأ يديه من الخير.

ومن رحمته تعالى الغيرة، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الله يغار».

متفق عليه

وغيرته تعالى أن حرم المحارم ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**﴾(٢٧١) فغار على عبده أن يرى غيره فتجلى له فى صورة كل شيء ﴿ **وله المثل الأعلى فى السموات وفى الأرض وهو العزيز الحكيم**﴾(٢٧٢) وغار على عبده فستره عن الكون، فسبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصلهم إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه.

قال الشيخ أبو العباس المرسى معرفة الولى أصعب من معرفة الله فإن الله تعالى معروف بكماله وجلاله ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب، ومن غيرته تعالى أن ستر نفسه بك فأنت ظاهره وهو باطنك من حيث أن العبد محبوب يتحكم على محبه فيدعوه فيستجيب له ويرضيه فيرضى ويسخطه فيعفو ويصفح مع نفوذ قدرته وقوة سلطانه إلا أن سلطان الحب أقوى، فالأولياء خلقهم تعالى له لا للخلق فإن أمرهم بالظهور ظهروا وإن خيروا اختاروا الستر، أما الأنبياء فمأمورون بالظهور فالأولياء غالبا مجهولون عند الناس فى الدنيا ولا تطلب منهم الشفاعة فى الآخرة لعدم معرفة الناس بهم ولأن الشفاعة لا تمثل عندهم كبير خطر، قال أبو يزيد رضى الله عنه لو شفعنى الله فى جميع الخلائق يوم القيامة لم يكن ذلك عندى بعظيم لأنه ما شفعنى إلا فى لقمة من طين.

وفى المنازلات، من غار على لم يذكرنى، أى: إذا كانوا فى العامة لم يذكروا الله جهارا لأنهم لو ذكروه جهرا سمع الغافلون الذكر فذكروا الله بقلوب غافلة فغاروا على الله أن يذكر بقلوب غافلة ومنه

قوله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه أبو داود وابن خزيمة عن ابن عباس رضى الله عنه «كرهت أن أذكر الله إلا على طهر» وهو صحيح وذلك أن رجلا سلم على رسول الله ﷺ فلم يرد عليه السلام وتنحى إلى الجدار فتيمم وقاله.

أغار عليها أن أهيم بحبها   وأعرف مقدارى فأنكر غيرتى

واعلم أن من غار على الله لم يعرفه إنما يغار له لا عليه، فأهل الظاهر غاروا لله وأهل الباطن غاروا على الله أما الملائكة فغاروا أن يعبده تعالى غيرهم فقالوا ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾(٢٧٣) وما رأوا فى هذا إلا نفوسهم ﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾(٢٧٤) فليس للملائكة فناء فى الله كالعارفين من البشر ولكنهم دوما يعبدون الله على الخشية والعارفون يعبدون الله على الحب دوما.

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مررت ليلة أسرى بى بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالى من خشية الله».

رواه الطبرانى فى الأوسط

وأناس غاروا على الله أن يذكره غيره فهم يشهدون أن الله هو الذاكر نفسه بلسان عبده فذكروه، وهم يعلمون أنهم ما ذكروه، ومثاله أن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده فى الصلاة، فالله تعالى هو القائل على لسان عبده فهذا العبد هو الذاكر الصامت وهؤلاء يقول لسان حالهم.

بذكر الله تزداد الذنوب   وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالا   فإن الشمس ليس لها غروب

وصاحب هذه الغيرة لا يكون له دلال مع الله أبدا، إذ أنه صاحب حشمة أبدا، قيل للشبلى متى تستريح فقال إذا لم أر لله ذاكرا، أى أن المحب غيور على محبوبه فرأى أنه لا يليق بذلك الجناب العالى إدلال المحبين إلا المحبين الموصوفين بالغيرة فإنهم لا إدلال لهم لما غلب عليهم من التعظيم فهم لا يظهرون عند العالم بأنهم من المحبين، فبقدر دلالك على الله بقدر نقص عبوديتك، وما صاحب إدلال إلا تغير عند موته لما فاته من العبودية.

تركوا الحق ليتصرف لهم فلا يتصرفون لأنفسهم، إذا ظهرت منهم الخوارق فهم غير قاصدين لذلك لأنها صدرت منهم ولم تصدر عنهم، قيل لأبى مدين فى تمسح الناس به أما تجد فى نفسك من ذلك أثرا فقال هل يجد الحجر الأسود فى نفسه أثرا يخرجه عن حجريته إذا قبلته الرسل والأنبياء؟ قيل لا قال أنا ذلك الحجر.

فالمعرفة لا تترك للهمة تصرفا فكلما علت المعرفة نقص التصرف بالهمة لتحققه بمقام العبودية، والنظر إلى أحدية المتصرف والمتصرَّف فيه فلا يرى على من يرسل همته فيمنعه ذلك من التصرف ﴿ **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾ ثم قال له الحق هذا الأمر الذى استخلفتك فيه اتخذنى وكيلا فيه، حتى أن بعض الأبدال سأل الشيخ أبا مدين فقال لم لا يعتاص علينا شىء وأنت تعتاص عليك الأمور ونحن نرغب فى مقامك وأنت لا ترغب فى مقامنا، وقال ﷺ فى هذا المقام ﴿ **ولا أدرى ما يفعل بى ولا**

بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾(٢٧٥) فإن أوحى إليه بالتصرف بجزم تصرف وإن منع امتنع وإن خير اختار ترك التصرف ﴿إنك لا تهدى من أحببت﴾(٢٧٦) والدلال غالبا يلقى صاحبه فى الزلات وزلات الأكابر غالبا فى نزولهم إلى المباحات أو قيل لهم على سماع منهم «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فما خالفوا وما تصرفوا إلا فيم أبيح لهم فإن الغيرة الإلهية تمنع أن ينتهك المقربون عنده حرمة الخطاب الإلهى فما عصوا ظاهرا ولا باطنا.

وأخص الغيرة على أهل بيت رسول الله ﷺ حيث أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والرجس هو القذر عند العرب فلا يضاف إليهم إلا مطهرا ولا يضيفون هم لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس فهذه شهادة من النبى ﷺ لسلمان من الطهارة والحفظ الإلهى حيث قال «سلمان منا أهل البيت».

رواه الطبرانى والحاكم عن عمرو بن عوف رضي الله عنه بسند صحيح

ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا فى الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفورا لهم أما فى الدنيا فمن أتى منهم حدا أقيم عليه مع تحقق المغفرة ولا يجوز ذمه ونعتقد أن جميع مايصدر من أهل البيت إنما هو معفو عنه مغفور لهم كيف وقد شهد لهم بذهاب الرجس وهى الذنوب.

وجعل حبهم من حب رسول الله ﷺ وجعل بغضهم من خيانة الله ورسوله ﴿قل ما أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى﴾(٢٧٧)

العدم ما تحمل ذلك إلا رسول الله ﷺ فكان أول سامع وأول مجيب فلما أوجد تعالى حقيقة رسوله ﷺ ونوره تجلى عليه تعالى بكل تجل هو متجليه على كل مخلوق حتى العذاب «أشد الناس بلاء الأنبياء» وظل يتجلى عليه إذ أنه أول موجود أوجده ما شاء الله من الزمان ليس هناك موجود غيره «أول ما خلق نور نبيك ياجابر» ثم شفع رسول الله ﷺ فى المخلوقات التى فى العدم أن يخرجها تعالى إلى الوجود والرحمة، فقال له ربه إنهم لا يتحملون ولكننى أحببتك أنت فكنت لك سمعا وبصرا وكنت جميع قواك فمرهم أنت بالتكوين فأمرك أمرى وقولك قولى فأمرهم رسول الله ﷺ فلما سمعوها منه حسبوا أنهم سمعوها من الحق وصدقوا ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾[٢٧٨] فهو آمرهم وهو ممدهم وهو حجابهم الأعظم فلا يعرفون ربهم إلا من خلاله ﷺ والآية الكريمة تقول ﴿ **واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك * قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآيتنا يؤمنون * الذين يتبعون النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾[٢٧٩] فرحمتى فى الآية هى رسوله ﷺ حتى أنها وسعت العذاب فكل تجل سيتجلى به تعالى على مخلوق أودعه رسوله ﷺ «إنما أنا قاسم» ثم يقسمه رسوله ﷺ على أصحابه وانظر إلى قوله يأمرهم وينهاهم ويحل ويحرم

فهو وأهل بيته على السواء فى المودة، فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله ﷺ ورأيت كل ما يصدر منهم فى حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك إنه جمال تنعم به بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذى أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله وهم أهل البيت فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة بطهر الله طهارة لم يبلغها علمك وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذى أنت محتاج إليهم ولرسوله ﷺ حيث هداك الله به فكيف أثق أنا بودك، وقال أحد العلماء كنت أكره ماتفعله الشرفاء بمكة فى الناس فرأيت فى النوم فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهى معرضة عنى فسلمت عليها وسألتها عن إعراضها فقالت إنك تقع فى الشرفاء فقلت لها ياستى ألا ترين إلى ما يفعلون فى الناس فقالت أليس هم منى فقلت لها من الآن وتبت فأقبلت على.

فلا تعدل بأهل البيت خلقا فأهل البيت هم أهل السادة
فبغضهم من الإنسان خسر حقيقى وحبهم عبادة

وقال رسول الله ﷺ «إنما أنا رحمة مهداة» فإذا رحم الحق باسمه الرحمن أو الرحيم فإنما يرحم برحمة، ورحمة فى الحديث نكرة تفيد التعميم فما رحم تعالى إلا برسوله ﷺ إذ كان الوجود فى عدم العدم فلما تجلى عليهم الحق أخرجهم إلى العدم ليس لهم فيه إلا السمع عن الله تبارك وتعالى فلما أمرهم تعالى بالتكون والخروج إلى الوجود من

فهم لا يعرفون غيره ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(٢٨٠) وهى عامة فى كل العالمين حتى الملائكة حتى جبريل ما استراح وأمن سوء العاقبة إلا بعد نزول قوله تعالى ﴿ذى قوة عند ذى العرش مكين﴾(٢٨١) روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال «لا تمس النار مسلما رآنى ولا من رأى من رآنى» فالمسلم هنا نكرة تفيد عموما فكل نبى مسلم وكل من آمن بنبى فى حياته قبل مجىء نبى آخر فهو مسلم فمن رآه من هؤلاء رؤية التعظيم فى الدنيا أو فى الآخرة قبل وروده النار فلن تمسه النار.

ياقوتة فى الحس والمعنى

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنما الأعمال بالنيات».

رواه الستة

ومعناه أن قوام كل عمل نية عاملة كما أن قوام الجسم بالروح وقوام النبات بالماء.

الروح للجسم والنيات للعمل ... تحيا به كحياة الأرض بالمطر
فتبصر الزهر والأشجار بارزة ... وكل ما تخرج الأشجار من ثمر

فعندما يبرز أى عمل إلى الوجود فإنه تسبقه نية عاملة ومن هذه النية تخرج صورة محسوسة ملموسة يراها أهل الفتح والشهود وهذه الصـورة هى قـوام هذا العمل وعلى قـدر قوة هذه الصورة يـرفع هذا العمل إلى مكانه، ﴿ **والعـمل الصــالح يرفـعـه** ﴾[٢٨٢] فـتكون هذه الصورة كالمطية للعمل، فإما إلى أعلى عليين وإمـا إلى أسفل سافلين، وعلى إخـلاص هذه الصـورة وبهـائهـا أو على خـبـثـهـا ونتنهـا يكون الحســاب، ﴿ **وحـصـل مـا فـى الصـدور** ﴾[٢٨٣] ولاعـبـرة بعـمـل لا تسبقه النيـة الصـالحة، قال ابن عطاء الله السكندرى رحمه الله فى الحكم (رب ذنب أورث ذلا وانكسـارا خـيـر من طاعـة أورثت عـزا واستكبارا) وتكون لهذه الصورة رائحة طيبة يخجل من عرفها المسك أو رائحة منتنة تتباعد عنها الملائكة.

عن ابن عـمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به».

رواه الترمذى بسند صحيح

وأولو العلم بالله تعالى يشمون تلك الروائح التى تخرج من الأعمال فـهم والملائكة سـواء ﴿ **شـهـد الله أنـه لا إلـه إلا هـو والملائكة وأولو العلم** ﴾[٢٨٤] فـالملائكة وأولـو العلم يشـهـدون وسـائر النـاس يعلمون فقط، وكتب السنة المطهرة تفيض بما قدمنا:ـ

فـفى حـديث البـراء بن عـازب رضى الله عنه الذى رواه أحـمـد رحمـه الله بسند صحيح فى مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال «ويأتيه

رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيىء بالخير فيقول أنا عملك الصالح».

وفى الحديث أيضاً يصف حالة أهل العصيان.

«ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الذى يأتى بالشر فيقول أنا عملك الخبيث».

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من صلى الصلاة لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى، ومن صلى الصلوات لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولاسجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه».

رواه الطبرانى فى الأوسط

فالعمل له صورة حسية يراها صاحبه وهى صورة ناطقة، والصلاة تخرج بصورة حسية ناطقة أيضاً، وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: بينما نحن نصلى مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيرا والحمد ، كثيرا وسبحان الله بكرة

وأصيلا، فقال رسول الله ﷺ : «من القائل كذا وكذا» قال رجل من القوم أنا يارسول الله قال «عجبت لها فتحت لها أبواب السماء».

رواه مسلم والترمذى والنسائى

فهذه الكلمات لها صورة مفخمة حملت ملائكة السماء على فتح أبواب السماء لها حين رأتها إجلالا لها وللموكب الذى صعد معها من الملائكة.

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران - وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد - قال كأنهما غمامتان أو ظلتان (أى: سحابتان) سوداوان بينهما شرق (أى:ضوء) أو كأنهما حِزقان (أى: جماعات) من طير صواف تحاجان».

رواه مسلم والترمذى

عن سلمان رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ خرج يعود رجلا من الأنصار فلما دخل عليه وضع يده على جبينه فقال كيف تجدك؟ فلم يُحِر إليه شيء فقيل يارسول الله إنه عنك مشغول، فقال: خلوا بينى وبينه فخرج الناس من عنده وتركوا رسول الله ﷺ فرفع رسول الله ﷺ يده فأشار المريض أن أعد يدك حيث كانت ثم ناداه يافلان ما تجد قال أجدنى بخير وقد حضرنى اثنان أحدهما أسود والآخر أبيض فقال رسول الله ﷺ أيهما أقرب منك قال الأسود قال إن الخير قليل

وإن الشر كثير قال فمتعنى منك يارسول الله بدعوة فقال رسول الله ﷺ اللهم اغفر الكثير وأنم القليل ثم قال ما ترى قال خيرا بأبى أنت وأمى أرى الخير ينمى والشر يضمحل وقد استأخر عنى الأسود».

رواه البزار

وتلك الصور التى تخرج من النية تكون على ثلاثة أحوال، إما ثابتة وإما مضاعفة، وإما متعدية متصرفة، فتكون ثابتة كما فى قوله تعالى ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾(٢٨٥) وفى قول رسول الله ﷺ «فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة» وتكون مضاعفة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها اللهعنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة،وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة أو محاها ولا يهلك على الله إلا هالك».

رواه البخارى ومسلم

وقد تخرج من النية الصالحة صورة قوية متصرفة تتعدى إلى غير صاحبها فتؤثر فى أرواحهم فتستخرج من نياتهم صور أعمالهم الصالحة وأرواحهم الطيبة، عن جرير بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فى الإسلام

سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» .

رواه مسلم

قال سيدى محيى الدين بن عربى رضي الله عنه خدمت امرأة صالحة فكانت إذا قرأت الفاتحة خرجت من قراءتها صورة على شكل امرأة حسنة وضيئة فتأمرها وتقول لها افعلى كذا وكذا وكانت تقول من معه الفاتحة فلا يحتاج إلى أحد وصدق الله إذ يقول ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا**﴾(٢٨٦) وكذلك تتعدى صور الأعمال الفاسدة والنيات الخبيثة فتعتدى على غيرها فتسبب لها الشرور والأسقام فيسمى حسدا، وإما باستنفار الشياطين فتسمى سحرا.

وكما أن للنية صورة تخرج لها فإن لكل معنى من المعانى صورة حسية يراها العارفون بالله تعالى،فعن مالك بن صعصعة رضي الله عنه فى حديث الإسراء الطويل قال رسول الله ﷺ «ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغُسل قلبى ثم حُشى ثم أُعيد «وفى رواية «فأتيت بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا» .

رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى

فالإيمان والحكمة شيئان معنويان ومع ذلك فقد تحيزتا فى طست من ذهب ورآهما رسول الله ﷺ رأى العين، وقال تعالى ﴿ **فزادهم إيمانا**﴾(٢٨٧) فالإيمان يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة والزيادة والنقصان من صفات الجواهر فأثبتوا أن الإيمان جوهر يرى ويحس،

والسكينة أمر معنوى ومع ذلك فإن أسيد بن حضير رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن ليلة نزلت عليه مثل الظلة فيها أمثال السرج فلما غدا على رسول الله ﷺ فقص عليه ما رأى، قال رسول الله ﷺ «تلك السكينة تنزلت بالقرآن».

رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أومع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب».

رواه مالك ومسلم والترمذى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأنقوا البشرة».

رواه أبو داود الترمذى

ووزن الأعمال يوم القيامة وهى شيء معنوى ولكن الأعمال جاءت لها صورة حسية توضع على الميزان وتوزن، والإتيان بالموت على صورة كبش أقرن يوم القيامة وذبحه بين الجنة والنار.

وبالمثل كما أن للمعنويات محسوسات فإن للمحسوسات أيضاً أمورا معنوية وأرواحا تسرى لا يحس بها ولا يشاهدها إلا أهل الشهود، فكل

ماحولنا من جمادات وطيور وحيوانات ونباتات فإنها تسبح وتعقل وتتـعـرف وتنطق، قـال تعـالى ﴿ **وإن من شيء إلا يسـبح بحمده** ﴾(٢٨٨) ﴿ **ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه** ﴾(٢٨٩) ﴿ **حـتى إذا أتوا على واد النمل قـالت نملة....** ﴾(٢٩٠) ﴿ **الذى أنطق كل شيء** ﴾(٢٩١) وقال الله تعالى باسطا الحوار الذى دار بين الهدهد ونبى الله سليمان عليه السلام ﴿ **فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به...** ﴾(٢٩٢)، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال «كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبى ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منه فلما صنع له منبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار».

وهو حديث متواتر قال القاضى عياض رواه تسعة عشر صحابيا

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه «بينما راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها منه فأقعى الذئب فقال للراعى ألا تتقى الله، حلت بينى وبين رزقى، قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك، رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فأتى الراعى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ له قم فحدثهم ثم قال صدق» والحديث فيه قصة وفيه بعض طول.

رواه أحمد والبزاد وصححه البغوى وأبو نعيم بسند صحيح

عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قالوا وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبى ﷺ دعاه فوضع مشفره على الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال «ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أنى رسول الله إلاعاصى الإنس والجن».

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لقد «كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود «كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيحه».

رواه البخارى وأخرجه الترمذى وقال حسن صحيح

وقال أنس «أخذ النبى ﷺ كفا من حصى فسبحن فى يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح ثم فى يد أبى بكر رضي الله عنه فسبحن ثم فى أيدينا فما سبحن» وروى مثله أبو ذر وذكر أنه سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله عنهما».

أخرجه ابن عساكر فى تاريخه

روى أسامة بن زيد وقال: «قال لى رسول الله ﷺ فى بعض مغازيه: هل؟ يعنى مكانا لحاجة رسول الله ﷺ - فقلت إن الوادى ما فيه موضع من الناس، فقال هل ترى من نخل أو حجارة؟ قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله ﷺ يأمركن أن تأتين لحاجة رسول الله ﷺ وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن،

والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لى قل لهن يتفرقن فوالذى نفسه بيده لرأيتهن والحجارة يتفرقن حتى عدن إلى مواضعهن» .

وضرب رسول الله ﷺ صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم.

رواه البخارى ومسلم

فلابد أن شيئاً حسيا انتقل من يده الشريفة وسرا ملموسا انتقل عن طريق هذه الضربة أوخلق عند هذه الضربة ولاغرو فإنهما وراثة إلهية، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «أتانى ربى عز وجل الليلة فى أحسن صورة - أحسبه يعنى فى النوم - فقال يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا قال النبى ﷺ فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثدى فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض» .

رواه أحمد وعبد الرزاق بسند صحيح

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ «نخس جملا كان لجابر رضي الله عنه وكان قد أعيى فنشط حتى كان ما يملك زمامه» .

وروى البخارى أن أبا هريرة شكا إلى رسول الله ﷺ النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده ثلاث مرات ثم أمره بضمه ففعل فلم ينس شيئاً بعده» .

وكذلك انتقلت الأسرار والأنوار من الأولياء إلى من يريدون من المخلصين بطريق المصافحة أو يلمسه بيده أو يلبسه بعض ثيابه أو يعطيه من يديه لقمة أو ينظر إليه نظرة خاصة بإذن خاص فتنتقل الأنوار والأسرار على شكل صور محسوسة متعدية متصرفة، ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون**﴾(٢٩٣).

أما الهمة فهي التوجه إلى العمل لإخراجه إلى الوجود مع العزم الأكيد ﴿ **ولقد همت به**﴾(٢٩٤) فمهما توجهت الهمة إلى شيء انفعل لها هذا الشيء،فالهمة قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت في طلبه على الجادة المستقيمة بحيث لا ينالها في طلبه سآمةولا رجوع عنه ولم ينلها شك ولا تردد في نيله بل كان باعتقاد أن تناله أو تموت في طلبه اتصلت بمطلوبها ولو كان وراء العرش.

ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، والملائكة لا تكتب إلا ما تراه من قول أو فعل فلابد أن تكون خرجت من هذه الهمة صورة مرئية للملائكة حتى تكتبها، وهذه هي عين الهمة التي أوجد بها السحرة في خيالات الناس صوراً لحيات وأفاعي ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى**﴾(٢٩٥) فالعصي والحبال هي العصي والحبال لم تنقلب ولم تتحرك ولكنها خيالات في أعين الناظرين، فلما ألقى موسى عصاه ﴿ **فإذا هي تلقف ما يأفكون**﴾(٢٩٦) ﴿ **إنما صنعوا كيد ساحر**﴾(٢٩٧) فالسحرة لم يصنعوا الحبال ولا العصي ولكن صنعوا صور الحيات في

مـخيلة الناظرين، فـعصـى موسى تلقفت والتلقف لا يكون من على الأرض ولكن يكون من علو فتلقفت العصا ما صنعه السحرة بهمهم من صور الحيات فنظر الناس فإذا العصى هى العصى والحبال هى الحبال فعرفوا بطلان ما جاء به السحرة، ولو أن عصا موسى تلقفت الحبال والعصى التى كانت تسعى لظن الناس أن هذا السحر من جنس ذاك السحر ولكنه سحر أقوى، أما إذا تلقفت الصور والخيالات وتركت لهم العصى والحبال فهو دليل على بطلان سحرهم.

ومعجزات الأنبياء دوما لا تكون عن همة ولا عن انفعال لأسماء وليست عن حـيلة، والأنبياء لاعلم لهم بذلك فسميت معجزة، أى: يعجز البشر كان ما كـان عن الإتيان بمثلها إنما هى من الله وبالله، وبتلك الهمة أتى الذى عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس فى أقل من طرفة عين ولكن العرش لم يقطع مسافة ولازويت له الأرض ولكن بهمته أعدمه هناك وأوجده هنا، وهذا علم تجديد الخلق مع الأنفاس والإنسان لا يشعر به فى نفسه أنه فى كل نفس لا يكون ثم يكون ولكنه لا يحسه لقصر الزمن بينها، ولما سأل رجل عليما الأسود ﷺ أن يحول اسطوانة المسجد وكانت من رخام إلى ذهب، فتوجه إليها بهمته فإذا هى كلها ذهب فتعجب الرجل فقال له عليم ياهذا إن الأعيان لا تنقلب ولكنها أصبحت ذهبا فى عين الرائى فقط ثم أن الرجل أبصرها بعد ذلك حجرا، وإنما كساها من خلقها تلك الكسوة فى عين الرائى بهمة هذا الشيخ الجليل.

وأنت إذا طالعك الله على حقيقتك وجدت نفسك عبدا محضا عاجزا ميتا ضعيفا عدما لا وجود لك ثم يكسوك الله تعالى صور الأسماء الإلهية فتظهر بها عنه تعالى «ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم» فأول ما يلبسه الإنسان هو الوجود ثم بعد ذلك يقبل جميع ما يخلع عليه من الأسماء الإلهية فيتصف عند ذلك بالحى والقادر والعليم والمريد والسميع والبصير والمتكلم والشكور والرحيم ومع ذلك لا يزول عن الإنسان حقيقة كونه عبدا إنسانا، فأنت لا تخلو عن صورة إلهية تظهر فيها، وقد يكسو الله من أسمائه حجرا كالكعبة فيكسوها أنوارا وتعظيما وإجلالا فمن رآها حجرا فإنما عبد الأوثان ومن رأى الكسوة الإلهية فإنما عبد الرحمن.

وأعظم الناس همة أهل الليل فلهم المعراج ولله تعالى النزول إلى سماء الدنيا فيلقاهم الحق فى الطريق فيضع عليهم تعالى كنفه، فمن الهمم من تلقاها الحق فى السماء الدنيا، ومنها من يلقاها عند العرش فى أول النزول فيعطى لتلك الهمم من المعانى والمعارف والأسرار على قدرها ثم ينزلون فى كنف الله تعالى إلى سماء الدنيا فتقف الهمم بين يديه تعالى ويستشرف الحق على من بقى من الهمم من أهل الليل فى محاريبهم وما عرجت بعد إذ أنها لا تستطيع العروج فيعطيهم ما يسألون.

وكذب من ادعى محبة الله فإذا جنه الليل نام عنه، أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه.

ياقوتة في مراتب العلماء

إن الله تعالى خلق الخلق على مراتب وأهلهم لما أراد بهم من مواهب فثبتت المقامات بالقرآن الكريم وجاء الحديث الشريف بمقام الإحسان لعبد يعبد الله كأنه يراه، وآخر بمقام الحب حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه، ولكل مقام أهل وطلاب، فمن هذه المقامات وبلسان أهلها تكلم رجال فأنكر عليهم من لم يكن له هذه الحال وتوهم أنهم حازوا كل المراتب فلا يعرفون معنى للتقوى ولا للزهد ولا للورع ولا للأخوة إلا ما تعرفوا عليه في زمانهم وصدق الحسن البصري رضي الله عنه وهو يصف الصحابة للتابعين فيقول: لقد أدركت رجالا لو رأيتموهم لقلتم إنهم مجانين ولو رأوكم لقالوا إنكم لم تؤمنوا قط، وهناك فرق بين أن تقول إن هذا الكلام ما قاله أحد لا الرسول ﷺ ولا الصحابة وبين أن تقول ما بلغنا دليل على أنه ما وقع، فمن المعلوم أن الرسول ﷺ صحبه أصحابه ثلاثة وعشرين عاما يعلمهم بالليل والنهار في الحل والترحال في السلم والحرب، ولو جمع منصف عاقل ما بلغ إلينا من حديث رسول الله ﷺ ما جمع ما يكفي لشهر واحد من هذه الصحبة.

وعن عمرو بن أحطب الأنصاري رضي الله عنه قال «صلى رسول الله ﷺ يوما الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضر الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى وخطبنا

حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة قال فأعلمنا أحفظنا».

رواه مسلم وأحمد

ولم يذكر الصحابى شيئا مما قاله رسول الله ﷺ وانتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه عن أكثر من مائة ألف صحابى كلهم روى الحديث عنه فماذا بلغنا منهم أو عنهم، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقرب أصحاب رسول الله ﷺ وألصقهم به ما روى عنه إلا بضعا وتسعين حديثا.

ثم اعلم أنه ليس كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم وأن كل من فهم عن المتكلم فقد فهم الكلام فحين نزول قوله تعالى ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾(٢٩٨) فتلاها على بلغاء قريش فضجت الصحابة وقالت من منا لم يظلم نفسه فقال ﷺ «ليس هذا إنما هو الشرك»، فهؤلاء الصحابة فصحاء العرب فهموا الكلام ولم يفهموا قصد المتكلم ويقول تعالى ﴿**ففهمناها سليمان**﴾(٢٩٩) مع أن كليهما رسول فهلا اتهمت فهمك يا أخى بدلا من أن تقع فى أعراض أولياء الله وخاصته، وهذا كله فيما يظهر من الأحكام والآيات فما بالك بالأذواق فإنهم أشد اختلافا لأن كلا منهم له ذوق خاص به ولذلك قال الجنيد رحمه الله لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق وهذا موسى عليه السلام قد اختلف ذوقه مع الخضر رضي الله عنه.

والعلوم على ثلاث مراتب، علم العقل وعلم الأحوال وعلم الأسرار.

فأما علم العقل: فهو كل علم يحصل لك ضرورة، أوعقيب نظر في دليل كعلم الفقه والحديث والطب والحساب وغيرها، وعلم الأحوال: لا سبيل إليه إلا بالذوق فلا يقدر عاقل أن يقيم على معرفتها دليلا كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والخشوع والرضا وغيرها وهذا العلم وما بعده هو المقصود بحديث رسول الله ﷺ عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال كنا مع النبى ﷺ فشخص بنظره إلى السماء ثم قال «هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدرون منه على شيء «فقال زياد بن لبيد الأنصارى كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنُقرئنه أبناءنا ونساءنا فقال رسول الله ﷺ «ثكلتك أمك زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود فماذا تغنى عنهم «قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذى قال فقال صدق أبو الدرداء أن شئت أحدثك بأول علم يرفع، أول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا.

رواه الحاكم وابن حبان بسند صحيح ورواه الترمذى وحسنه

فسمى الخشوع علما وهو ذوق، وهذا علم لا يؤخذ من كتاب ولا يعرف من كلام، إنما هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء بدليل

أنه يموت بموت العلماء به مع وجود العلم المدون فى الكتب ومع وجود القرآن الكريم وما أجمل قول رسول الله ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا».

رواه أحمد ومسلم والترمذى عن العباس بن عبد المطلب

والمرتبة الثالثة من العلوم هى علم الأسرار: وهو علم فوق طور العقل، ولا غرو فإن هذا العقل ما أعجزه أن يعرف طعم شيء لم تذقه الجوارح فهو عاجز عن معرفة حلاوة العسل مثلا ما لم يذقه اللسان، وهذا فى الأذواق فما بالك بالأسرار، يختص الله بهذا العلم الأنبياء والأولياء ولا يدرك بداية إلا بالروح، ثم بعد ذلك قد يدخل تحت طور العقل أو الذوق كالجنة والنار وحوض الرسول ﷺ والصلاة والقرآن فكل هذه كانت أسراراً، فالقرآن والصلاة المعروفة كانتا سرا حتى على الأنبياء والملائكة حتى أهديت إلى رسول الله ﷺ بطريق روحانى بحت فلما أخبر بها أدركناها بعقولنا علما وبقلوبنا ذوقا، وهى على ثلاث مراتب أولها أشارة:-

وهو ما يرد على القلوب من معان زائدة عما يفهمه عامة الناس وعلمائهم من قرآن كمن قرأ قوله تعالى ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾(٣٠٠) فغاب عن وعيه من شدة فرحه برسول الله ﷺ ومن قرأ قوله تعالى ﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون**﴾(٣٠١) فورد عليه وارد قوى جعله يتوب عن السرقة ويصبح من كمل الأولياء ومن قرأ ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات**﴾(٣٠٢)

فخر ميتا من شدة ما تجلى له من معنى ومن قرأ ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾(٣٠٣) فعلم أنه من تفكر فى ذات الله تعرض للهلكة ومن قرأ ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾(٣٠٤) فعلم أنه لا فتح إلا بعد الانتصار على النفس وغيرها، أو من حديث كقول رسول الله ﷺ «المؤمن مرآة المؤمن» فمنهم من فهم فيه معنى زائدا، وهو أن لفظ المؤمن الثانى هواسم من أسماء الله فكان الإنسان المؤمن هو مرآة صافية تتجلى فيها صفات الله تبارك وتعالى، أو من شعر فمنهم من سمع جارية تنشد وتقول:

قال الرسول غدا نزور قلت تعقل ما تقول

فتذكرأنهم فى الجنة يأتيهم رسول من ربهم كل جمعة يبشرهم بزيارة ربهم لهم فغشى عليه أو كقول الشاعر

رق الزجاج ورقت الخمر...،

فالأقداح أشباح والخمور أقداح

فانكسرت الأوانى وسطعت المعانى.

وثانيها رمز:ـ

كقوله تعالى ﴿ **كهيعص** ﴾ وقوله ﴿ **ألم** ﴾ ﴿ **ألر** ﴾ وغيرها فهذه الأحرف النورانية لها معان كموج البحر، ومن قال أن فى القرآن حرفا ليس له معنى فقد قال الجمهور بكفره ذكره النووى فى الآداب فهى رموز على تلك المعانى لا يكشفها الله تعالى إلا لأهل الخاصة والمشاهدة، وقال رسول الله ﷺ لأبى بكر رضي الله عنه «أتذكر يوم يوم»؟

فقال: بلى"وقال عمر: رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يتكلم مع أبى بكر فى التوحيد وأجلس بينهما كأنى أعجمى.

وثالثهما سر:-

وهو ثمرة من ثمرات الحب فكل متحابين لابد وأن يكون بينهما سر لا يفشى وقول لا يذاع إلا عن تراضى منهما وتشاور، وهو على أنواع فمنه ما أخبر به رسول الله ﷺ عن أمر من الله.

فكاد بعض الناس أن يضل وذلك أنه ﷺ أخبرهم أنه أسرى به فى بعض ليلة إلى بيت المقدس على البراق وفى صحبة جبريل عليه السلام فارتد بعض من أسلم ولم تتحمل عقولهم السقيمة ذلك فكيف لو كان أخبرهم بالمعراج، ومن صدقه من المسلمين فهم على درجات من التصديق، فكلما زاد تصديقهم كلما أباح بعضا من السر الذى لم يصلنا منه سوى بضعة أحاديث فنحن حتى الآن لم نعرف ما رآه ﷺ مفصلا فى هذه الرحلة المباركة إذ أنه من الأسرار.

ومن هذه العلوم والأسرار ما أخبر به الأمة جميعا كالصلاة والقرآن إذ أن السر فى ذلك ليس فى هيئة كالصلاة والتلفظ بالقرآن ولكن السر قد انطوى فيمن أحب من عباده ثم ترك للأرواح ميدانها تغترف كل روح منها على قدر استعدادها وأنوارها، وكإخباره عن الملائكة والجنة وما فيها والنار وما فيها وأهوال يوم القيامة وحساب القبر وغيرها كثير، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أذن لى

أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

رواه أبو داود والضياء في المختارة وأبو يعلى والطبراني في الأوسط بسند صحيح

ومن هذا العلم ما أخبر به ﷺ بعضهم دون بعض كاختصاصه لحذيفة رضي الله عنه بعلم أسماء المنافقين حتى أن عمر رضي الله عنه كان يأتيه فيقول له أأنا منهم؟فيقول: لا وأخبر حذيفة أن رسول الله ﷺ أعلمه «اثنى عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط».

رواه مسلم

وعن أنس رضي الله عنه قال «أسر إلى رسول الله ﷺ سرا فما اخبرت به أحدا بعده ولقد سألتنى عنه أم سلمة فما أخبرتها به».

رواه البخارى ومسلم

وعن حذيفة رضي الله عنه قال «أخبرنا رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة».

رواه مسلم

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال «أخذت عن رسول الله ﷺ وعاءين وعاء فبثثته لكم، وأما الآخر لو بثثته لقطع منى هذا البلعوم».

رواه البخارى ومسلم

ونوع منه ما أخبر به رسول الله ﷺ أحدا أصلا فهو سر بينه وبين ربه، وهى معظم الأحاديث التى تبدأ بكلمة لو تعلمون، أو يعلمون.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا».

رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن حبان

عن أبى هريرة رضي الله عنه «لو تعلمون ما فى الصف الأول ما كانت إلا قرعة».

رواه مسلم وابن ماجه

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لو يعلم المتخلفون عن صلاة العشاء وصلاة الغداة مالهم فيهما لأتوهما ولو حبوا».

رواه أحمد بسند صحيح

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لو يعلم الناس من الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده».

رواه الترمذى وابن ماجه

عن أبى جهيم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه».

وغيرها كثير، أى: أن فى هذه الأمة أسرار لا تطيقها عقولهم من الخير أو من الشر فلم يصرح بها الرسول ﷺ واكتفى بعلمه ﷺ بها،

عن أبى رزين العقيلى رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أين كان الله قبل أن يخلق الخلق؟ قال «كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء».

رواه أحمد والترمذى وابن ماجه

ونوع آخر من الأسرار لو أخبر به غير رسول الله ﷺلكفّره الناس ولكنهم قبلوه من رسول الله ﷺ ووكلوا علم حقيقته إلى الله تبارك وتعالى كصفات الاستواء على العرش والضحك والفرح والتبشبش من الله تعالى واليد والقدم والنزول وغيرها، عن أبى هريرة رضي الله عنه فى حديث آدم الطويل يقول رسول الله ﷺ «فقال له الله ويداه مقبوضتان إختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يديه يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال أى رب ما هؤلاء قال هؤلاء ذريتك......».

رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى والترمذى حسنه

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاء صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت...».

رواه البخارى ومسلم والنسائى

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال «أتانى ربى عز وجل الليلة فى أحسن صورة فقال: يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ

الأعلى؟ قال: قلت: لا: قال النبى ﷺ : فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثدى فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض.....».

رواه أحمد وعبد الرازق بسند صحيح.

وآخرها بل هو أولها السر الذى أحاط بكل سر، والخفاء الذى لم يعلمه الخفاء، والجوهر المكنون الذى لا يدريه زمان أو مكان أو إنسان هو رسول الله ﷺ حيث جمع الله تعالى فى ذاته الشريفة كل ما أراد إيصاله لخلقه من أرزاق وأنوار وأسرار، ورسول الله ﷺ يقسم ذلك على أرواحهم على قدر استعدادها، عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين، وإنما أنا قاسم ويعطى الله».

رواه مسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «العلم علمان فعلم ثابت فى القلب فذاك علم نافع وعلم فى اللسان فذاك حجة الله على عباده».

رواه أبو نعيم فى الحلية،وقال الترمذى صحيح وقال العراق جيد.

فالعلم الأول هو علم القلوب والبواطن والحقائق فهو علم الحقيقة والعلم الثانى هو علم الجوارح والظواهر والشرائع فهو علم الشريعة، فالشريعة: هى ما تعبد الله به عباده فى ظواهرهم من صلاة وصيام وجهاد فى سبيل الله وصدقة وقراءة قرآن وغيرها، وهذه إما حجة لك أو عليك فتكون حجة لك إن صاحبتها نية صالحة وخشوع ورجاء

وحب لله تعالى وهى الحقيقة وتكون حجة عليك إن صاحبتها نية سيئة من رياء وسمعة وحقد وغل وحسد، فعلم الحقيقة: هو حقيقة ما أراد الله منك فى القيام بشريعته، وهى وجهان لعملة واحدة هى الدين لا ينفكان عن بعضهما، فمن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق، فالحقيقة هى درجة الإحسان وهى أن تعبد الله كأنك تراه ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم...** ﴾(٣٠٥) فقوله تعالى ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾(٣٠٦) تشريع.

وقوله ﷺ «اعلموا أنه لن يُدخل أحدكم الجنة عمله» تحقيق.

رواه أحمد والشيخان

وقوله تعالى ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾(٣٠٧) تشريع وقوله ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾(٣٠٨) تحقيق.

والقضاء والقدر ما هو إلا معاملة وآداب بين العبد وربه فى دائرة التشريع والتحقيق فمن فعل حسنة فقابل الله فيها بالتشريع فنسبها إلى نفسه وأنه الفاعل لها قابله الله بالتحقيق وقال له بل أنا يسرتها لك وقدرتك على فعلها ولم أقبلها منك وسأدخلك النار، أما من قابل الله منها بالتحقيق فقال أنت يارب الذى يسرت ومهلت وأعنت قابله الله تعالى بالتشريع فقال بل أنت ياعبدى الذى عملت وقبلتها منك وسأدخلك الجنة، ومن اقترف سيئة، فقال يارب أنت الذى قضيت

وقـدرت على ذلك قـابله الله فـقـال بل أنت الذى فـعلت وأنت الذى جنيت وسأدخلك النار، وأما من قـال يارب أنا الذى جنيت وأنا الذى أخطأت فسامحنى، قال الله له بل أنا الذى قضيت وقدرت وقد غفرتها لك وسأدخلك الجنة.

وكـم شـدد الله عـلـى أمـر الشـهـود والكتـابـة فى أمـر المـدايـنـة ﴿ **يأيها الذين أمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه** ﴾(٣٠٩) ﴿ **واستشـهـدوا شـهـيـدين من رجـالكم...** ﴾(٣١٠) وهذا هو ظاهر الشرع، أمـا التحـقـيق فيـرويه لنا البـخـارى وأحـمـد وابن حـبـان بسند صحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «ذكر رجلا من بنى اسـرائيل سـأل بعض بنـى اسرائيل أن يسلفـه ألف دينار فـقـال ائتنى بالشـهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شـهيدا، قال: فائتنى بالكفيل قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذى أجله لم يجد مركبا فاتخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر فقال اللهم إنك تعلم أنى تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كـفيـلا فقلت كفى بالله كـفيـلا فرضى بك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شـهيدا فرضى بك وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر وإنى أستودعكها فـرمى بـهـا فى البـحـر حـتى ولجت فيـه ثم انصـرف، وهو فى ذلك يلتـمس مـركبـا يخرج إلى بلده فـخـرج الرجل الذى أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا الخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا

فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذى كان أسلفه وأتى بألف دينار فقال والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى جئت به قال فإن الله قد أدى عنك الذى بعثته فى الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدا.

وكم شدد الله تبارك وتعالى فى أمر الشهادة، فظاهر الشرع أنه لا يجوز أن يشهد أحد إلا على ما رأت عيناه أو وعت أذناه، أما حقيقة الأمر فيرويها لنا عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان صحابيا «أن النبى ﷺ ابتاع فرسا من أعرابى فاستتبعه النبى ﷺ ليقضيه ثمن فرسه فأسرع رسول الله ﷺ المشى وأبطأ الأعرابى فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه فنادى الأعرابى رسول الله ﷺ فقال إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعته فقام النبى ﷺ حين سمع نداء الأعرابى فقال أو ليس قد ابتعته منك، فنطق الأعرابى يقول هلم شهيدا فقال خزيمة أنا أشهد أنك قد بايعته فأقبل النبى ﷺ على خزيمة فقال بم تشهد فقال بتصديقك يارسول الله فجعل النبى ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين».

رواه النسائى وأبو داود

وقصة موسى عليه السلام مع الخضر وكيف أن عليه السلام عامل موسى بحقائق الأمور لا بظواهرها فكان مخالفا فى الظاهر

طائعا فى حقيقة الأمر وقال تعالى فى حقه ﴿ **آتيناه رحمة من عندنا**﴾(٣١١) فبهذه الرحمة قتل الغلام وفعل ما فعل.

وقد جمع رسول الله ﷺ التشريع والتحقيق فى حديث واحد رواه البخارى وأحمد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا عدوى ولا طيرة ولاهامة ولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الأسد».

فقوله ﷺ لاعدوى تحقيق، وقوله فر من المجذوم تشريع ظاهر.

أما الناس فى تعاملهم مع هذه العلوم وأهلها على أضرب وأصناف،عن أبى موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «مثل ما بعثنى الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هى قيعان لا تمسك ماءا ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل ما لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به».

رواه البخارى ومسلم

فهذا الحديث قسم الناس ثلاثة أصناف صنف تعلم وعمل وذاق وشاهد يعنى أخذ العلم من أوله لآخره فأصبح هاديا مهديا نفع الناس بعلمه ودعا إلى الله على بصيرة، وصنف تعلم ولم يعلم أحداً فعلمه فيه لوقت الحاجة إليه، وصنف لم يتعلم ولم يعمل ولم يعلم.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قـال قـال رسـول الله ﷺ إن الله تعـالى قـال «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإذا سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه».

رواه البخارى

هذا الحديث الشريف قسم الناس إلى أناس تعلموا العلم فعملوا به فقاموا بالفرائض أولا فأتقنوها، والنوع الثانى أتقن الفرائض ثم ثنى بالنوافل ولكنه لم يبلغ حب الله بعد والنوع الثالث قام بالفرائض فأتقنها وبالنوافل فأحكمها حتى بلغ إلى حب الله تعالى، ولا يكون الإنسان صاحب نافلة حتى يحكم الفرائض إحكاما تاما بحيث لا يؤخذ من نوافله لاستكمال فرائضه، وما شهد الله لأحد أنه صاحب نافلة إلا رسول الله ﷺ حيث قال ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك**﴾[٣١٢]، وقوم تعلموا العلوم وما عملوا بها ونصحوا الناس وما انتصحوا، عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ «مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء ياجبريل قال خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون»

رواه البخارى ومسلم

وقوم قالوا نتعلم ما نقيم به فرائضنا ونوافلنا من أحكام ظاهرة، إذ لا وقت عندهم قد شغلوا بمعاشهم ولكنهم كانوا أذكياء فقالوا نحب أهل الصلاح والمشاهدة الذين سلكوا العلوم من أولها لآخرها فنحشر معهم يوم القيامة بلا عناء، عن أنس وابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال«المرء مع من أحب».

رواه مالك والبخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾(٣١٣).

ومما من الله تعالى على العلماء من أمة هذا الرسول الكريم أن جعلهم ورثة للأنبياء، أى: فى منازل الأنبياء والرسل فأباح لهم الاجتهاد فى الأحكام فكل مجتهد منهم مصيب كما أن كل نبى معصوم وتعبدهم الله بذلك ليحصل لهذه الأمة نصيب من التشريع وتثبت لهم فيه قدم فلم يتقدم عليهم سوى نبيهم ﷺ فتحشر علماء هذه الأمة حفاظ الشريعة المحمدية فى صفوف الأنبياء لا فى صفوف الأمم فهم شهداء على الناس وهذا نص فى عدالتهم، إذ لا تقبل شهادة إلا من عدل، فما من رسول إلا ولجانبه عالم من علماء هذه الأمة أو اثنان أو ثلاثة، والنبى ﷺ له التقدم وجميع الأنبياء خلفه وأمته خلفه وجميع الأمم وراءهم، ومن الناس من يكون له صورتان كعيسى عليه السلام له صورة مع الأنبياء وصورة

مع أمة رسول الله ﷺ، والعلماء من أمة رسول الله ﷺ لهم صورة مع الأنبياء وصورة مع سائر الأمة.

والشهود يوم القيامة ستة وكلهم عدول، الله ﴿ **وكفى بالله شهيدا** ﴾[٣١٤] ورسول الله ﷺ ﴿ **وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾[٣١٥] والمرسلين ﴿ **قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾[٣١٦] ﴿ **والملائكة يشهدون** ﴾[٣١٧] وأمة رسول الله ﷺ ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس** ﴾[٣١٨] والجوارح ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾[٣١٩] ﴿ **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** ﴾[٣٢٠].

قال تعالى ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾[٣٢١] وهم الورثة بصدق اتباعهم أورثهم الله تعالى دعوة الناس وأشركهم مع الأنبياء فى الدلالة على الله كما أشركهم فى الابتلاء فى قوله ﴿ **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** ﴾[٣٢٢].

وقوله تعالى ﴿ **وما أُوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾[٣٢٣] يريد علم الوهب، فلو أراد العلم المكتسب لم يقل أُتيتم بل كان يقول أوتيتم الطريق إلى تحصيله، وعلم الوهب هو علم أنزله الله على قلوب وأسرار العارفين أما العلم الذى هو نتيجة التقوى فهو علم كسب ﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾[٣٢٤] ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾[٣٢٥] فإن التقوى طريق إلى اكتساب علم الكسب، أما الوهب فلا

يحصل عن سبب وقول رسول الله ﷺ «من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم» هو كسب أما الشرائع كلها فعلوم وهبية.

ياقوتة فى القلب

قال تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة﴾ ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ دلت الآيتان على أن فى القلب عينا ترى وتبصر ﴿على بصيرة أنا ومن اتبعن﴾ وهى لا ترى ولا تبصر إلا الشىء الذى يقع عليه نور الله المخصوص بقوله ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فإذا وقع عليه نور الله القديم تلاشى الحادث فهى لا تبصر الأشياء إذ لا شىء يبقى مع نوره تعالى، فنور الله ليس كالأنوار ولكنه نور تنكشف به الحقائق وتنجلى به ظلم الدقائق، وترتفع به الحجب والعوائق وتسمى عين البصيرة وهى عين لا ترى الكثائف ولكنها لاترى إلا كل لطيف فهى من حضرة اللطيف برزت، فإذا أردت أن ترى الكثائف لطفتها فرأتها على صورةأخرى غير صورتها الكثيفة، فالناس نيام وهم أهل الحجاب فكل ما رأوه من الكثائف فكما يرى النائم فى منامه، فإذا أصبح من أهل البصيرة كان كمن قام من نومه فعبرما رآه فى المنام فإن كان رأى لبنا عبره

بالعلم أى عـبر بـه من عـالم النوم والخيال إلى عـالم اليقظة والخـيال على سعته فهو الواسع الضيق فعلى سعته لا يقبل المعانى إلامقيدة بصورة حسية فيرى العلم لبنا والدين قيدا.

﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾(٣٢٦) ذكر المنام دون اليقظة فى حال الدنيا فدل على أن اليقظة لا تكون إلا عند الموت، وإن الإنسان نائم أبدا ما لم يمت، فذكر انه ثم منام بالليل والنهـار فى يقظته ونـومـه «الناس نيـام فإذا مـاتوا انـتبـهـوا» فلم يأت بالبـاء فى النهـار ليحـقق المشاركـة وأنه يريد المنام فى حـال اليـقظة المعتـادة، منامكم بالليل هوالنوم المعتـاد وفى النهار هو نوم الغفلات ولهـذا جعل الدنيا جسراً أو عبرة أى تعبر كما تعبر الرؤيا التى يراها الإنسان فى نومـه، فكما أنـه فى حـال نومـه يرى ما هو مراد لنفسه، إنما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية فى حـال نومه إلى معناها المراد بهـا فى عـالم اليـقظة، كذلك حـال الإنسان فى الدنيا ماهو مطلوب للدنيا فكل ما يراه فإنما هو مطلوب للآخرة فهناك يعبر ويظهر له ما رآه فى الدنيا فالدنيا جسر يُعبر ولا يُعمر، فحين يستيقظ لا يرى شيئا مما رآه فى المنام من خير وشر وبناء وسفر.

فـمن نور الله بصـيـرته، وعـبـر رؤياه هنا قـبل الموت أفلح ويكون فيـهـا مثل من رأى رؤيا ثم رأى فى رؤياه أنه استيقظ فيقص ما رآه وهو فى النوم على بعض الناس الذى يراهم فى نومـه فـيفسـره له حـال نومه فإذا استيقظ حينئذ يظهر له أنه لم يزل فى منام فى حال

الرؤيا فى حال التعبير بها وهو أصح التعبير، وكذلك الفطن اللبيب فى هذه الدار مع كونه فى منامه يرى أنه استيقظ فيعبر رؤياه فى منامه ليتنبه ويزدجر وسلك طريق السداد فإذا استيقظ بالموت حمد رؤياه ومدح بمنامه وكان ابتغاء الفضل منه فى حق من رأى فى نومه أنه مستيقظ فى نومه.

فشرف الإنسان وفضيلته التى فاق بها أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه وتعالى، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحه من جوارحه فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله، وهو العامل لله وهو الساعى إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعى للرعية فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهوالمعاتب وهو الذى سعد بالقرب ويشقى بالبعد والطرد وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصى المتمرد على الله وإنما السارى إلى الأعضاء من الفواحش آثاره،وهو الذى إذا عرفه الإنسان فقد عرف ربه.

عن أبى هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء».

رواه أحمد

فلو فرضنا حوضا محفورا فى الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه؛ ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافى فينفجر الماء من أسفل الحوض، ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر، فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمسة مثال الأنهار فيمكن أن تساق العلوم والأنوار إلى القلب بواسطة أنهار الحواس ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب فيطهره ويرفع طبقات الحجب عنه بمداومة الذكر حتى لا تتفجر ينابيع العلم من داخله، ﴿ **وعلمناه من لدنا علما** ﴾[٣٢٧] ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾[٣٢٨] وقد يقول قائل كيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال منه، فنقول له: كما أن المهندس يصور أبنية الدار فى ورقة ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره فى اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة، والعالم الذى خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض فى خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقى هو فى نفسه لوجد صورة السماء والأرض فى نفسه كأنه يشاهدهما وهو ينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء، والحاصل فى القلب موافق للحاصل فى الخيال والحاصل فى الخيال موافق للعالم الموجود حولنا

والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة فى اللوح المحفوظ، فكما أن المهندس إذا أراد أن يعبر عن شجرة بالرسم على الورق فإنه يرسمها نقطة فهى على الورق نقطة وفى الحقيقة شجرة فكذلك اللوح اللبن فيه معناه العلم، والقيد معناه الدين.

فالقلب يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ مباشرة، كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذى يقابل الشمس ويحكى صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه، فاستغنى عن الاقتباس من الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض، ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ، وكما أن من نظر إلى الماء الذى يحكى صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس فإن للقلب بابان أو عينان عين مفتوحة إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وتسمى عين البصيرة، وعين مفتوحة إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الملك والشهادة أيضًا يحاكى عالم الملكوت نوعا من المحاكاة وهو الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء وبين علوم العلماء والحكماء، فعلوم الأنبياء والأولياء تأتى من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وهو علم موهوب، وعلوم العلماء والحكماء تأتى من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وهو علم مكتسب.

فإن العلماء يعملون فى اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب والأولياء يعملون فى جلاء مرآة قلوبهم وتطهيرها وتصفيتها فقط فتنطبع فيها علوم اللوح المحفوظ بغير تعب، فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صُفَّة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم منها جانبا ويرخى بينهما حجابا يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر، ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلوه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ وقيل كيف فرغتم من غير صبغ؟ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل.

فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه الحق بنهاية الإشراق كما فعل أهل الصين، وعناية الحكماء والعلماء لالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها فى القلب كما فعل أهل الروم، فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر، فإذا أردت أن تعبر من عالم الملك إلى عالم الملكوت ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب فعليك بالخلوة على يد شيخ عارف، وفى الخلوة تصلى الفرائض والرواتب، ثم

لا تشغل نفسك فى التفكير فى أى شىء ولا بدراسة علم ولا قراءة قرآن ولا غيره بل تجمع همتك وتذكر الله بلسانك على الدوام مع حضور القلب حتى تنتهى إلى حالة تترك فيها تحريك اللسان وترى كأن الكلمة جارية على لسانك، ثم تصبر حتى يمحى أثرها عن اللسان ويذكرها القلب بغير لسان ثم تواظب حتى تمحى صورة الكلمة وحروفها وهيئتها عن القلب ويبقى فيه معنى الكلمة مجردا حاضرا فى قلبك لازم له لا يفارقه، وبذلك تصير متعرضا لنفحات رحمة الله، وعندئذ تنقل من مقام الذكر إلى مقام ذكر الذكر وفيه يكون الذاكر عين المذكور.

لا يترك الذكر إلا من يشاهده   وليس يشهده من ليس يذكره
فلا أزال مع الأحوال أشهده   ولا أزال مع الأنفاس أذكره

والذكر بالقلب لا حروف له لأنه واحد من ساكنى البلد.

بذكر الله تزداد الذنوب   وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالا   فإن الشمس ليس لها غروب

فحينئذ تنفعك قراءة القرآن، وترى أنه مجدد الإنزال على قلوب التالين له دائما أبدا، فلا يتلوه من يتلوه إلا عن تجديد تنزيل من الله الحكيم الحميد، ولون الماء لون إنائه، فبحسب ما يكون عليه القلب يكون ظهور القرآن فيه، فقد أغلق الله تعالى باب التنزل بالأحكام المشروعة وما أغلق باب التنزل بالعلم على قلوب أوليائه حتى يكونوا

على بصيرة، أما إذا دخلتها أى الخلوة بغير إذن شيخ له الإذن فى التربية فإنك لا تأمن أن تكون من عقلاء المجانين، وهؤلاء قوم كانت عقولهم محجوبة بما كانوا عليه من الأعمال والتكاليف ولم يعلموا بأن لله تعالى فجأة لمن خلا به فى سره وأطاعه فى أمره، ففاجأه الحق على غفلة منه بذلك فذهب بعقله فى الذاهبين وبقى يأكل ويشرب ويتصرف فى أمور دنياه كالحيوان المفطور على ذلك من معرفة ضروراته ومضاره من غير تدبير ولا روية فسقط عنهم التكليف فعقولهم منعمة بشهوده تعالى فى حضرته يقولون بالحكمة من غير قصد.

ورسول الله ﷺ لما فاجأه الملَك قال: زملونى زملونى، فكيف إذا فاجأه الملِك؟ كان ﷺ إذا فاجأه الوحى أخذ عن حسه وسجى ورغا من هول ما يجد ثم يرده ربه إلى حسه كى يبلغ عنه، أما موسى عليه السلام فلما فاجأه ربه خر صعقا فانظر الفرق بين المقامين، وأصحاب القلوب التى ملأها الله تعالى بنوره لا يؤثر فيهم الشيطان ولا يخرجهم عن عبوديتهم، قيل لإبليس كيف حالك مع الشيخ أبى مدين قال كشخص بال فى البحر المحيط فالشيطان يلقى فى قلوب الأولياء ولا يؤثر فيهم لأنهم محفوظون أما الأنبياء فلا يستطيع إلقاء شيء فى قلوبهم لأنهم معصومون، قيل لأبى مدين فى تمسح الناس به: أما تجد فى نفسك من ذلك أثرا، فقال: هل يجد الحجر الأسود فى نفسه أثرا يخرجه عن حجريته إذا قبلته الرسل والأنبياء؟ قيل: لا، قال: أنا ذلك الحجر.

ومن الغريب أن يرتبط الفتح على القلوب بأماكن معينة فمنهم من يفتح عليه بمكان دون غيره، يقول أحد العارفين مررت بمسجد فقلت أصلى فيه ركعتين فوجدت قلبى فمكثت فيه سنتين، وقال أحدهم مررت وأنا فى طريقى إلى البيت الحرام بشاب يصلى تحت سمرة فى الصحراء فقلت هلا ذهبت إلى بيت الله الحرام فقال كنت ذاهبا إليه منذ عشر سنين ومررت فصليت تحت هذه السمرة فوجدت قلبى فمكثت تحتها حتى أفقده.

ومن العجاب أيضًا أن تُفطر قلوب العارفين من هذه الأمة على قلوب من سبقهم من الأنبياء فيرثون أحوالهم وعلومهم، فعن رسول الله ﷺ قال ﴿ **العلماء ورثة الأنبياء**﴾ فالمخاطب هم علماء هذه الأمة، ولم يقل ورثة نبى واحد، ولكن قال ﷺ ورثة الأنبياء أما رسول الله ﷺ فلا يفطر قلب أحد على قلبه لأنه مقام عزيز المنال.

وأعلى مقامات العارفين سجود قلوبهم فمن رأى قلبه ساجدا فقد بلغ الذروة، وما سمى القلب قلبا إلا لأنه يتقلب من سجود إلى سجود أما من رأى قلبه يسجد فقد رأى قيامه، وهو نقص ومنه قولهم ما عرفنا نقص أبى يزيد إلا من قوله رأيت قلبى يسجد، وسجوده إنما يكون للأسماء الإلهية لا للذات، ومن سجد ظاهره تخلى عنه الشيطان يبكى فكيف بمن سجد باطنه.

ياقوتة في السماع

السماع: على ثلاثة أقسام، سماع إلهى، وسماع روحانى، وسماع طبيعى.

فالإلهى: بالأسرار، وهو السماع من كل شيء، وفى كل شيء، وبكل شيء، فالوجود عندهم كله كلمات الله وكلماته لا تنفد ولهم فى مقابلة هذه الكلمات أسماع لا تنفد تحدث لهم هذه الأسماع فى سرائرهم بحدوث الكلمات وهى قوله ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلاّ استمعوه**﴾(٣٢٩) فمنهم من أعرض بعد السماع ومنهم من وقف عندما سمع، وهو يتعلق بأسماء الله تعالى على كثرتها فلكل اسم لسان،ولكل لسان قول،ولكل قول منا سمع، وكان من قوله ﴿ **ادعونى أستجب لكم**﴾(٣٣٠) فكما قال وسمعنا أمرنا عندما جعل فينا قوة القول أن نقول فيسمع هو تعالى، ومنا من يقول به كما قال الله تعالى على لسان: عبده سمع الله لمن حمده، فكلام صاحب هذا المقام كله نيابة، فالله عند لسان كل قائل فكما أنه ليس فى الوجود إلا الله كذلك ما ثم قائل ولا سامع إلا الله.

أما السماع الروحانى: فمتعلقه صريف الأقلام الإلهية فى لوح الوجود المحفوظ من التغيير والتبديل، فالأقلام تنطق وآذان العقول تسمع ويكون معه علم ومعرفة فى غير مراد.

أمّا السماع الطبيعى: وهو علم الألحان والأوزان وصاحبه يجد طربا فى نفسه، أو حزنا عند سماع هذه النغمات، والمتواجد بالسماع

يكون له بقية إحساس وذلك نتيجة الألحان والأوزان فإذا أردت أن تختبر صدقهم من كذبهم فاصبر حتى ينتهى القوال ثم دارس أحدهم فى آية قرآنية تحمل معنى قول القوال فمن تأثر بها وتواجد فهذا صادق أما من لم يتأثر فهو كاذب، وإنما حرّكه الوزن واللحن كالبهائم والحيوانات، أما صاحب الوجد فلا تكون له بقية إحساس وتكون حركته بالله نتيجة السماع من الله.

لولا سماع كلام الله ما برزت أعياننا وسعت منه على قدم

ياقوتة فى الكرامة

وهى نتيجة الاستقامة أو ينتج عنها استقامة وهى حسية كالطير فى الهواء والمشى على الماء وقراءة الخواطر والإخبار بالمغيبات وطى الأرض، وقد يدخلها المكر الخفى، وهى لأهل الاستقامة ولغيرهم، وقد يجعلها الله حظ عملك وجزاء فعلك الصالح فإذا قدمت عليه يمكن أن يحاسبك بها ولا يعرف العامة سوى هذا النوع.

وكرامة معنوية لا يعرفها إلا الخواص من عباد الله ولا يشاركك فيها أحد إلا الملائكة المقربون، وأهل الله المصطفون الأخيار ولا يدخلها مكر ولا استدراج بل وملأت لك كفة الحسنات يوم

القيامة، وهى أن يحفظ الله عليك آداب الشريعة، وأن يوفقك لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا فى أوقاتها، والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل والحقد من صدرك للناس، وكذا سوء الظن وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله فى نفسك وفى الأشياء، فإذا ظهر عليك شيء من كرامات العامة فضج إلى الله منها وسل الله ستره بالعوائد وأن لا تتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه ما عدا العلم، لأن العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة، ولو لم يعمل به فإنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فالعلماء هم الآمنون من التلبيس، وما أمر الله به نبيه ﷺ أن يطلب منه الزيادة من شيء إلا من تعلم العلم، لأن الخير كله فيه والبطالة مع العلم أحسن من الجهل مع العمل، ولا نعنى بالعلم إلا العلم الإلهى وهو العلم بالله والدار الآخرة وماتستحقه الدار الدنيا وما خلقت له، سئل أبو يزيد عن طى الأرض؟ فقال: ليس بشيء فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب فى لحظة واحدة، وسئل عن اختراق الهواء؟ فقال: إن الطير يخترق الهواء والمؤمن عند الله أفضل من الطير، فالكرامة هى التعريف الإلهى بأن الذى أتحفك به كرامة منه لا ينقص لك حظا من آخرتك، ولا هو جزاء لشيء من عملك إلا لمجرد قدومك عليه.

ياقوتة في السلوك

السالكون فى سلوكهم على أربعة أقسام: سالك يسلك بربه، وسالك يسلك بنفسه،وسالك يسلك بالمجموع، وسالك لاسالك.

فأما الذى يسلك بربه: فهو الذى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه، ولذلك أعاد الضمير عليك لوجودك فى قوله «كنت سمعه» فهذه الهاء هى عينك الذى الحق سمعها وبصرها.

والسالك بنفسه: وهو المتقرب إلى ربه ابتداء بالفرائض والنوافل الموجبين محبة الحق، فهو يجهد فيما كلفه الحق ويبذل استطاعته وقوته فيما أمره به ربه ونهاه، وهذا هو سلوك الأدباء من أهل الله فيبذلون المجهود ويوفون بالعقود، وإن جهلوا المقصود إلى أن يفتح الله لهم كما فتح لمن سلك بربه.

وأما السالك بالمجموع فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره وعلم سلوكه أولا بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين، فلما علم أن الحق سمعه وعلم أن السامع بالسمع ماهو عين السمع، ورأى ثبوت الضمير، وعاين على من عاد فعلم أن نفسه وعينه هى السميعة بالله والناظرة بالله والمتحركة بالله والساكنة بالله وأنها المخاطبة بالسلوك فسلك بالمجموع.

وأما القسم الرابع فهو سالك لاسالك: لأنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك مالم يكن الحق صفة لها، ولاتستقل مالم تكن نفس المكلف

مـوجـودة ويكون كـالمحل لهـا ورأى الحق يقـول ﴿ **ومـارمـيت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾(٣٣١) علم أنه سالك لاسالك. ثم اعلم أن السـالكين الذين ذكـرنا على مـراتب. فـمنهم السـالك منه إليـه: وهو المتنقل من تجل إلى تجل. ومنهم السالك إليه منه فيه: وهو السالك من اسم إلهى إلى اسم إلهى فى إسم إلهى. ومنهم السالك منه إليه فيه به: وهو السالك باسم إلهى من اسم إلهى إلى اسم إلهى فى اسم إلهى. ومنهم السالك منه لا فيه ولا إليه: فهو الذى خرج من عند الله فى الكون إلى الكون. ومنهم السالك إليه لا منه ولافيه: فهو الفار إليه فى الكون من الكون كفرار موسى عليه السلام. ومنهم السالك لا منه ولا فيه ولا إليه: فهو المنتقل فى الأعمال الصالحة من الدنيا إلى الآخرة وهم الزهاد غير العارفين.

والناس أربعة أنواع: سالكون فقط، مجذوبون فقط، سالكون ثم مجذوبون، مجذوبون ثم سالكون.

فالنوع الأول والثانى: لايصلحان للتربية والارشاد. لأن النوع الأول ظاهرى محض لانور له فى باطنه يجذب به. والثانى: لاسلوك عنده يسير به. والنوع الثالث والرابع: يصلحان للتربية مع أفضلية النوع الثالث. فالنوع الأول يشهد خلقا بلا حقٍ والنوع الثانى يشهد حقا بلا خلق والثالث والرابع يشهدون خلقا بحق. فأهل السلوك شهدوا الآثار ثم تعلقوا بالأسماء ثم شهدوا الصفات ثم الذات. وأهل الجذب بالعكس فأحدهما نازل يشهد الأشياء بالله فى تدليه، والآخر

صاعد يشهد الأشياء بنفسه فى ترقيه، فربما التقيا فى الطريق. والمترقى أكمل من المتدلى فى التربيه ولكنهما يجتمعان فى مقام البقاء.

﴿الله يجتبى إليه من يشاء﴾(٣٣٢) هم المحبوبون أهل الجذب ﴿ويهدى إليه من ينيب﴾(٣٣٣) هم المحبوبون أهل السلوك. والبقاء فى السلوك أعلى، والفناء فى الوصول أعلى، وهو الفناء عن الفناء والبقاء.

وأهل الجذب بالوارد درجات، إما أن يؤخذ بالكلية، وإما أن يؤخذ عقله ويبقى يدبر أموره كالحيوان، وإما إذا جاءه الوارد كان معك ولكنه مشغول البال عنك، وأعلاهم من لايشغله وارد عن جالس معه ولا جالس عن وارد.

ياقوتة فى حديث عهد بربه

الحكم دائما للحديث فكان ﷺ يخرج للمطر ويمسح به على وجهه ويقول «حديث عهد بربه» ولما كان الطفل الصغير حديث عهد بربه كان له الحكم، فكان ﷺ يحبهم ويمازحهم مع عظيم قدره، وقد امتطاه مرة الحسين بن على رضى الله عنهما فما رفع رأسه من السجود حتى أن بعض من وراءه رفع رأسه فوجد الغلام ممتطيا

رسول الله ﷺ ومارفع رأسه حتى نزل الغلام، وقد طال السجود حتى ظنوا أنه قبض، فلما سئل قال «إن ابنى هذا ارتحلنى فكرهت أن أعجله» ولما رأى رسول الله ﷺ الحسن والحسين رضى الله عنهما وكان يخطب الجمعة رآهما يتعثران فى مشيهما نزل من على المنبر وحملهما وصعد ثم قال ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾(٣٣٤). وكان ذلك من عظيم معرفته بربه، وترى الملك العظيم القدر ينزل من على عرشه ليداعب طفلا صغيرا وماذاك إلا لأن الحكم للحداثة.

والطفل من حين ولادته يلازمه قرينان ملك وشيطان يأخذ كل واحد منهما، يهمزه الملك بفعل الخير، والشيطان بفعل الشر، وذلك ليس من أجله ولكن من أجل والديه، فحركات الطفل كلها لا إرادية له وإنما يحركه الملك فيضحك فيأتى من الخير بما يسعد والديه جزاء عملهما الصالح والطفل لايشعر، ويلمزه الشيطان فيأتى بما يحزن والديه من كسر الأشياء والبكاء وغيرها، واعلم أن أول درجات التكليف إذا كان الطفل ابن سبع سنين إلى أن يبلغ الحلم ولذا أمرنا بأن نأمر أطفالنا بالصلاة لسبع، وقد اعتبر الله فعل الصبى فى غير زمان تكليفه لو قتل لم يقم عليه الحد وحبس إلى أن يبلغ ويقتل بمن قتل فى صباه إلا أن يعفو ولى الدم، فقد أخذه الله بما لم يعمله زمن تكليفه، فمن إنفاذ الوعيد من حيث لايشعر أحد وجود التكليف، وهو أول العذاب لقيام الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا نفسيا مؤلما وهو عقوبة ماجرى منه فى الزمان الذى لم يكن فيه مكلفا من الأفعال التى تطرأ بين الصبيان من الأذى والشتم والضرب على

طريق التعدى وكل خير يفعله الصبى يكتب له، وقال ﷺ للمرأة التى رفعت له طفلا وقالت ألهذا حج قال«نعم ولك أجر» وهو أجر المعونة التى لايقدر الصبى عليها وقد ورد عن رسول الله ﷺ أن الصبى إذا حج قبل بلوغ التكليف ثم مات قبل البلوغ كتب الله له ذلك الحج عن فريضته. وكما أقام الله تعالى التطوع فى الآخرة مقام الفرض إذ أكمله به فكذا كل مايأتى الصبى فهو تطوع، فهو محسوب له فى الآخرة. فكل مايفعله الصبى فى غير بلوغ زمان التكليف معتبر فى الشرع فى الخير والشر غير أن الكرم الالهى جازاه المعمول فى هذا الزمان وفى الدار الآخرة وأدخر له ذلك، وأما الشر فلم يدخر له فى الآخرة منه شيئا بل جازاه به فى الدنيا بالآلام الحسية والنفسية التى تطرأ على الصبيان.

ياقوتة فى المكر

هى إرداف النعم مع المخالفة وزوالها عند الموافقة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب.

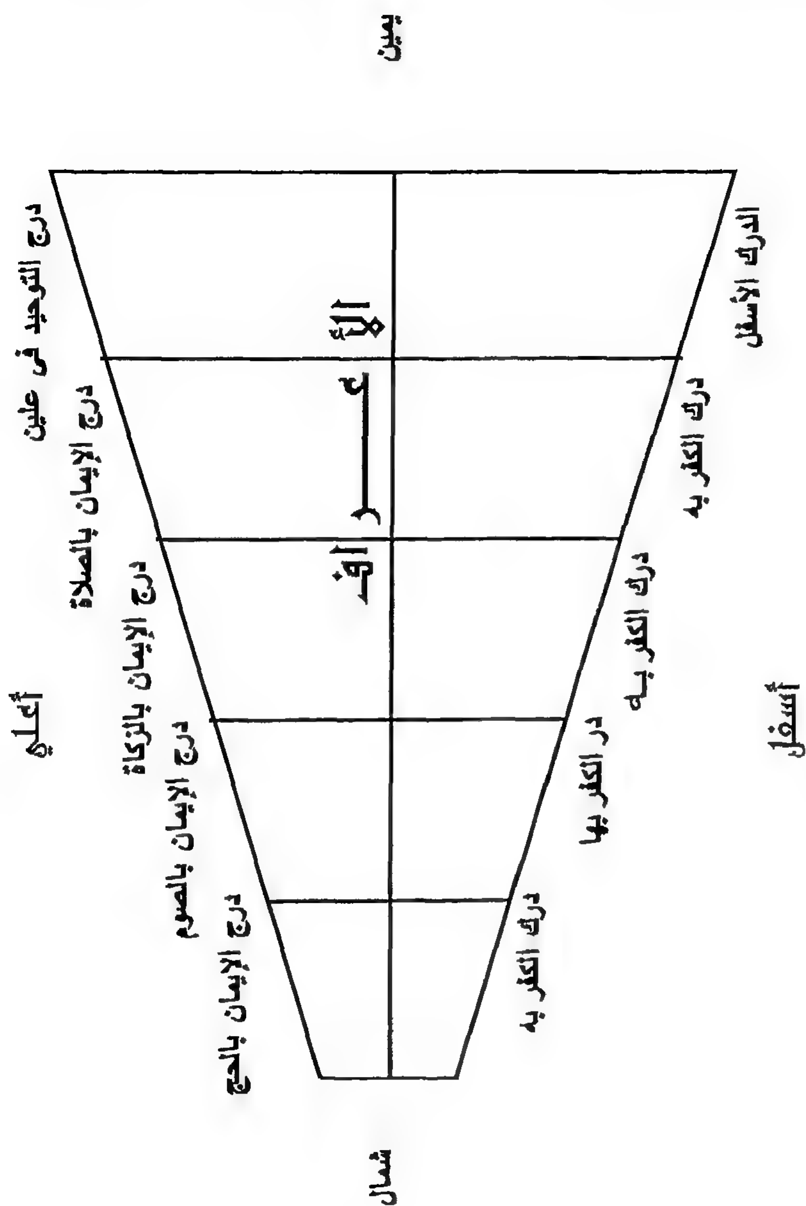
ومن المكر أن يرزق العبد ويحرم العمل به أويرزق العمل ولايرزق الاخلاص فيه. والمكر الإلهى أخفاه الله عن الممكور به خاصة لا عن غير الممكور به، ولذلك قال ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾(٣٣٥). وقد يعطى المكر الإلهى الشقاء وهو فى العامة. وقد يعطى نقصان

الحظ، وهو المكر بالخاصة وخاصة الخاصة حتى لايأمن أحد المكر الالهى. ومكر الله بالماكرين هو عين مكرهم الذى اتصفوا به ﴿ **ومكروا مكرا ومكرنا مكرا** ﴾(٣٣٦) وقد يمكر بهم بأمر زائد على مكرهم فإنه أرسله سبحانه نكرة فقال ﴿ **ومكرنا مكرا** ﴾(٣٣٧) فدخل فيه عين مكرهم ومكر آخر زائد على مكرهم.

فمناسبات الجزاء كلها لاتختل ﴿ **ومكروا ومكر الله** ﴾(٣٣٨)، ﴿ **قالوا إنما نحن مستهزؤن** ﴾(٣٣٩) و﴿ **والله يستهزئ بهم** ﴾(٣٣٨)، ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾(٣٤١) ويحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر.

وذلك أن عدد درجات الجنة على عدد دركات النار فما من درج إلا ويقابله درك من النار، وذلك لأنك بين أمر ونهى فإذا فعلت الأمر فهو عين درجة فى الجنة فإن لم تفعله كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطك إلى ذلك الدرك ﴿ **فاطلع فرآه فى سواء الجحيم** ﴾(٣٤٢) والاطلاع على الشئ من أعلى إلى أسفل، والسواء حد الموازنة على الاعتدال، فما رآه إلا فى ذلك الدرك الذى فى موازنة درجته، فإن العمل الذى نال به هذا الشخص تلك الدرجة تركه هذا الشخص الآخر ، فانظر إلى العدل الإلهى ما أحسنه* ولهذا سمى جزاءا وفاقا ولولم يكن الأمر كذلك لما كان جزاء، فالجنة خير لاشر فيها والنار شر لاخير فيها . فجميع علم المشرك وعمله وقوله الذى لو كان موحدا جوزى عليه فى الجنة يعطى ذلك الجزاء للموحد الجاهل. فالمؤمن هنا فى عباده، والعباده تعطيه الخشوع والذلة، والكافر فى

* أنظر الرسم ص٢٢٠.


يمين
أعلى
أسفل
شمال
الأعراف
درج التوحيد في عليين
درج الإيمان بالصلاة
درج الإيمان بالزكاة
درج الإيمان بالصوم
درج الإيمان بالحج
الدرك الأسفل
درك الكفر به
درك الكفر بـه
در الكفر بها
درك الكفر به

عزة وفرحة، فإذا كان فى هذا اليوم يخلع عز الكافر وسروره وفرحه على المؤمن ويخلع ذل المؤمن وخشوعه على الكافر يوم القيامة ﴿ **خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى** ﴾[٣٤٣] لله تعالى وهو ذل كله إخلاص وهو حال المؤمن فى الدنيا،ولذا سمى يوم التغابن حيث يرى الإنسان صفة عزه وسروره وفرحه على غيره ويرى ذل غيره وحزنه على نفسه.

ياقوتة فى التوبة

التوبة للخائف والإنابة للطائع والأوبة لراعى الأمر الإلهى، وهى مقام التوبة من التوبة ومقام التوبة من المقامات المستصحبة إلى الموت، وأما توبة المحققين فلاترتفع دنيا ولا أخرى استصحابا لاسمه التواب.

فالتوبة المشروعة هى الرجوع من حالة المخالفة،والتوبة من التوبة هى الرجوع منه إليه به، أى: من التوبة التى يقال فى صاحبها تائب، ولكن يقال لصاحبها تواب، وهو الذى ينتقل مع الأنفاس من الله إلى الله بالموافقات.

والتوبة ماهى إلا الندم كما فعل آدم عليه السلام ، وقال رسول الله ﷺ: «الندم توبة» أى:هو الركن الأعظم كما قال ﷺ «الحج عرفة» .

أما من كان صفته ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[٣٤٤] ﴿ **إنه بكل شئ محيط** ﴾[٣٤٥] ﴿ **أو لم يعلم بأن الله يرى** ﴾[٣٤٦] و﴿ **الذى يراك حين تقوم** ﴾[٣٤٧] ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[٣٤٨] ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم** ﴾[٣٤٩] فكيف تكون له توبة وإلى من يتوب وإن نادى فهو المنادى لأنه لا ينادى إلا من يسمع وهو سمعك فلا تسمع إلا به فما فقدته فى ندائه إياك، فلايتوب إلا من لايشعر ولايبصر هذا القرب، ولهذا لم يأمر بالتوبة إلا المؤمنين فقال ﴿ **توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون** ﴾[٣٥٠].

فترك التوبة هو ترك الرجوع، وذلك إذا رأيتم النور فكشف لكم عنكم فعلمتم أنه أقرب إليكم منكم ﴿ **فتاب عليهم** ﴾ فكان هو التائب على الحقيقة، والعبد محل ظهور الصفة، ولذلك قال: ﴿ **ليتوبوا** ﴾ ثم قال ﴿ **إن الله هو التواب** ﴾[٣٥١] وهو لفظ مبالغة إذا كانت له التوبة الأولى من قوله ﴿ **ثم تاب عليهم** ﴾ والثانيةمن قوله ﴿ **ليتوبوا** ﴾ فالتوبتان له من كل عبد فهو التواب لاهم ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾[٣٥٢] وهذا الحكم سار فى جميع أفعال العباد فماتاب من تاب ولكن الله تاب.

فالتوبة المشروعة هى الرجوع من المخالفات إلى الموافقات، والتوبة من التوبة هى الرجوع منه إليه به، وإذا كانت التوبة تجب لأجل الوصلة فالمتصل لايتصل، وفرح الله بالتائب فرح رجوعه إلى الموافقة، كفرح أهل الغائب برجوع الغائب، أما من كان فى الوطن

الذى فيه ولد فلا غربة عليه أصلا، وقوله ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ هو من باب تعليم الخصم الحجة إذا كان محبوبا مثل ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾ (٣٥٣) وقال ﴿ يأيها الإنسان ﴾ ليعم جميع الناس مما يدلك على أن إرادة الله بهم السعادة فى المآل ولو نالهم ما نالهم مما يناقضها.

فالتائب رجع إلى الله من نفسه، والعارف رجع إليه منه، والعلماء بالله رجعوا إليه من رجوعهم إليه، وأما العامة فإنها رجعت من المخالفة إلى الموافقة، فرجوعه عليهم رجوع عناية محبة أزلية ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾(٣٥٤) ليتوبوا فإذا تابوا أحبهم حب من رجع إليه فهو حب جزاء ﴿ إن الله يحب التوابين ﴾(٣٥٥) فإذا وقف العبد بين يدى الله يوم القيامة وذكر فى نفسه ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾(٣٥٦) استحيا الله منه أن يؤاخذه بذنب.

ومن أول شروط التوبة أن يترك نسبة الزلة إلى ربه فينسبها إلى نفسه أدبا مع الله، ومنهم من يراها زلة من حيث فعل العبد ويراها فى منتهى الحسن والجمال من حيث نسبتها الإلهية وتقديرها اللإلهى، ومن الناس من يكون ترك الزلة فى الحال فى حقه شغله برجوعه إلى ربه، والزلة هى رجوعه عن ربه، ومن الناس من يكون ترك الزلة فى الحال فى حقه شغله برجوع ربه عليه وشهوده ذلك.

وصاحب الذنب وإن لم يوافق الأمر فقد وافق الإرادة، وهؤلاء يأتون بالذنب لامن حيث هو هوى ولكن من حيث هو إرادة الحق

﴿ونهى النفس عن الهوى﴾[٣٥٨] وإذا أتى الولى منهم بالذنب عن إرادة الله صرخت منه كل شعرة وأنّ منه كل عرق تكاد نفسه تزهق حتى يرحمه الله.

واعلم أن مثل الحسنة كمثل شخص جميل فى غاية الجمال لابزة عليه، ومثل الحسنة المبدلة عن سيئة كمثل شخص جميل مثله فى غاية الجمال طرأ عليه وسخ من غبار فنظف من ذلك الوسخ العارض فبان جماله ثم كسى بزة حسنة فاخرة تضاعف بها جماله وحسنه ففاق الأول حسنا.

فحسن الحسنة بنفسها لابأمر آخر، وحسن السيئة إذا أبدلت لها حسنان، حسن ذاتى وهو الحسن الذى لكل فعل من حيث ما هو لله وحسن زائد وهو ما خلع الحق على هذا الفعل بالتبديل فكسى ما ظهر فيه من السوء حسنا ففاق سوء العمل على حسن العمل بما كساه الحق.

والعزم فى التوبة كله سوء أدب فالتوبة التى طلب منا إنما هى صورة ما جرى من آدم عليه السلام لا العزم، فهى اعتراف وندم ودعاء، لاعزم والذى ثبت ان العبد يذنب الذنب ويعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ولم يزد عن هذا ثم يذنب الذنب فيقول الله له فى الثالثة أو فى الرابعة اعمل ما شئت فقد غفرت لك فرفع عنه المؤاخذة.

فلايعزم أن لايعود لما تاب منه،فهو جهل على الحقيقة فإن الذى تاب منه من المحال أن يرجع إليه لأنه فات وإن رجع فإنما يرجع إلى مثله لا إلى عينه فإن الله لايكرر شيئا فى الوجود وهو الواسع.

والتوابون هم الراجعون منه إليه، وأما من رجع إليه من غيره فهو تائب، فالله هو التواب فيحب نفسه، أى: التوابين، أى: أن حبه للتوابين ما هو إلا حبه نفسه جل جلاله إذ كان الحق سمعهم وبصرهم وجميع قواهم والله المؤمن فيحب المؤمن، ولم يسم نفسه بالتائب.

والتواب هو المجهول فى الخلق لأنه محبوب والمحب غيور على محبوبه ﴿ **إن الله يحب التوابين** ﴾[٣٥٨] فإنه لو كشف لعباده ونظروا إلى حسن المعنى فى باطنه لأحبوه ولو أحبوه لصرفوا همتهم إليه.

وثم قوم يغفر لهم بدون توبة تفضلا منه تعالى، وثم قوم يعطيهم الله التوبة فيتوب الله عليه بعد الذنب، ثم يتوب صاحب الذنب، أما إذا تاب قبل المغفرة فالحكم للتوبة لا للكرم الإلهى.

ياقوتة فى الذكر

قال ابن عباس رضى الله عنهما: كل عبادة فرضها الله تعالى جعل لها وقتا مخصوصا وعذر العباد فى غير أوقاتها إلا الذكر لم يجعل الله له وقتا مخصوصا.

وما وردت كلمة ذكر فى القرآن إلا ورد بعدها كثيرا ﴿ **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات** ﴾[٣٥٩] و﴿ **اذكروا الله ذكرا كثيرا** ﴾[٣٦٠].

ينتقل الذكر من اللسان إلى ذكر بالجنان ويصير ذكر اللسان غفلة ثم إلى ذكر بالروح ثم إلى ذكر بالسر. «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى» فيصير الذاكر مذكورا غائبا فى الأنوار فهو الذاكر والمذكور والذكر.

الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه.

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة — وأيسر مافى الذكر ذكر لسانى
وصرت بلاوجد أهيم من الهوى — وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى — شهدتك موجودا بكل مكانى
فخاطبت موجودا بغير تكلم — وشاهدت موجودا بغير عيان

والذاكرون: ألهمهم الله الذكر ليذكرهم فالعبد سابق مسبوق، فسابق كما فى قوله ﴿ **اذكرونى أذكركم** ﴾[٣٦١] «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى»، «من تقرب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا».

فكل مقام إلهى يتأخر عن مقام كونى فهو الاسم الآخر، وكل مقام إلهى يتقدم فهو من الاسم الأول كما فى قوله ﴿ **هو الذى يصلى** ﴾[٣٦٢].

ياقوتة فى الجميل

فى الحديث الصحيح «إن الله جميل يحب الجمال» وهو تعالى صانع العالم وموجده وأوجده على صورته، فالعالم كله فى غاية

الجمال ما فيه شئ من القبح بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال، فالعالم كله جماله ذاتى، وحسنه عين نفسه إذ صنعه صانعه عليه ولهذا هام فيه العارفون وتحقق بمحبته المتحققون، لأنهم ما رأوا فيه إلا صورة الحق وهو سبحانه الجميل والجمال، فإنه تعالى ما كثر لنا الآيات فى العالم وفى أنفسنا إلا لنصرف نظرنا إليه ذكرا وفكرا وعقلا وإيمانا وعلما وسمعا وبصرا ونُهىً ولُبّاً وما خلقنا إلا لنعبده ونعرفه وما أحالنا فى ذلك على شئ إلا على النظر فى العالم لجعله عين الآيات والدلالات على العلم به مشاهدة وعقلاً، فإن نظرنا فإليه، وإن سمعنا فمنه، وإن عقلنا فعنه، وإن فكرنا ففيه، وإن علمنا فإياه، وإن آمنا فبه، فهو المتجلى فى كل وجه، والمطلوب من كل آية، والمنظور إليه بكل عين والمعبود فى كل معبود والمقصود فى الغيب والشهود، والمحبوب فى عين كل محب، فجميع العالم له مصل وإليه ساجد وبحمده مسبح فالألسنة به ناطقة والقلوب به هائمة عاشقة والألباب فيه حائرة.

ياقوته فى المعصية

المؤمن يرى كل شئ يسبح بحمده فيرى صور أعماله حية مسبحة لله ذات روح حتى وإن كانت فى الظاهر معصية ومخالفة فهى حية تستغفر لصاحبها لأنه سوى نشأتها مخلقة وأخرجها إلى الوجود بعد أن كانت عدما.

والمؤمن حال عمله المعصية فكونه كارها لها مؤمن بأنها معصية ذو عمل صالح، وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سئ، فغايته أن يكون من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فقال الله تعالى عقيب هذا القول ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾[٣٦٣] وعسى من الله واجبة.

فهو ذو عمل صالح من ثلاثة أوجه، الإيمان بكونها معصية وكراهته لوقوعها منه، والندم عليها وهو ذو عمل سئ من وجه واحد وهو ارتكابه إياها.

ولما قال تعالى ﴿لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت﴾[٣٦٤] فإنما هى بشرى من الله حيث جعل المخالفة اكتسابا، والطاعة كسبا، فالاكتساب ما هو حق لها فتستحقه فتستحق الكسب ولاتستحق الاكتساب، والحق لايعامل إلا بالاستحقاق فالاكتساب افتعال ما هو أصلى.

ياقوتة فى عبس وتولى

لم يشاهد رسول الله ﷺ سوى الحق فأينما يرى الصفة التى لاتنبغى إلا لله عظمها، ولم يشاهد معها سواها وقام لها ووفاها حقها مثل العزة والكبرياء والغنى، فقال له تعالى وإن كنت تعظم صفتى حيث تراها فى المتكبرين والعظماء من الناس لغلبة شهودك إياى فقد أمرتك أن لاتشاهدها مقيدة فى المحدثين.

فأمره تعالى بترك هذا المشهد الإلهى الصحيح مراعاة لحفظ القلوب المنكسرة، فإن الله عند المنكسرة قلوبهم غيبا يثبته الإيمان وينفيه العيان وهو عند المتكبرين عينا يثبته العيان وينفيه الإيمان فنقل الله نبيه ﷺ من العيان إلى الإيمان وأخبره أن تجليه فى أعيان لأعزاء المتكبرين من زينة الحياة الدنيا، فهى زينة الله للحياة الدنيا لالنا، والذى لنا زينة الله بغير تقييده وما يلزم من كونه زينا لزيد أن يكون زينا لعمرو.

فمن الناس من لاشهود له إلا زينة الله، ومنهم من لاشهود له إلا زينة ا لحياة الدنيا من حيث ما هى زينة الله لها لالنا ، فيشهدها لها زينة وإن لم تكن لنا زينة ومن الناس من يشهد زينة الشيطان فى عمله وأعمال الخلق ﴿ **فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين** ﴾(٣٦٥) أما قوله تعالى ﴿ **زين للناس حب الشهوات** ﴾(٣٦٦) فهو مبنى للمجهول فقد يكون المزين هو الله إن كان حلالا وقد يكون الشيطان إذا كان حراما.

والعارف لاينظر العالم من حيث عينه وإنما ينظره من حيث هو مظهر لصفات الحق، قال تعالى ﴿ **كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار** ﴾(٣٦٧) وقال ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾(٣٦٨) وقال «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى» فلو كانت العزة وا لكبرياء صفتهم لما أهلكهم، لأنه كيف يؤاخذه إذا ظهر بما هو حق له فهو لم

يؤاخذهم بكونهم أذلاء خاشعين فإن الذلة والحقارة صفتهم فمن ظهر بصفته لم يؤاخذه الله.

فتحقق أنها صفة الحق تعالى ظهرت فيمن أراد الله أن يشقيه فتواضع العارفون للجبابرة والمتكبرين للصفة لا لعينهم إذ كان الحق هو مشهودهم فى كل شئ.

والانحناء فى السلام إذا فعله العارفون فهو لمشاهدة جبروت إلهى يجب الانحناء له إذ لايرون إلا الله، وغير العارفين يفعلونه جهلا فنهوا عنه.

ياقوتة فى المعلومات

المعلومات أربعة:

١ـ الله:

وهو الموصوف بالوجود المطلق وذاته لاتعلم بدليل ولاببرهان عقلى

٢ـ الحقيقة الكلية:

التى هى للحق وللعالم لاتتصف بالوجود ولابالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم بل هى فى القديم إذا اتصف بها قديم وفى المحدث إذا

اتصف بها المحدث، كعود الخشاب هو فى المنبر وفى التابوت وفى الكرسى فالعود ليس له وصف قائم له بذاته ولكنه حسب ماهو فيه.

٣- العالم كله:

من سموات وأرضين ومافيها ومن فيها.

٤- الإنسان الخليفة الذى جعله الله فى هذا العالم المقهور تحت تسخيره ﴿**وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه**﴾(٣٦٩) .

كان الله ولاشئ معه فلما أراد وجود خلقه تجلى بتجليات التنزيه إلى تلك الحقيقة الكلية فانفعل عنها حقيقة تسمى الهباء وهذه الهباءة مـوجـودة فى كل صورة تنقسم ولاتتـجـزأ وهى بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ماشاء من الأشكال والصور وهذا هو أول موجود فى العالم.

ثم أنه تعـالى تجلى بنوره إلى هذا الـهبـاء فـقـبل كل على حـسب استـعـداده وقـربه إلى هذا النور فلم يكن أقرب إليـه قـبـولا فى ذلك الهباء إلا حـقيقة مـحـمد ﷺ فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر فى الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهى ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية.

ياقوتة فى الجنة

الجنان ثلاث:

١- جنة اختصاص إلهى: يدخلها الأطفال من أول مايولد إلى ستة أعوام من مات منهم قبل ذلك، والمجانين، وأهل التوحيد العلمى وأهل الفترات، ومن لم تصل إليهم الدعوة.

٢- جنة ميراث: وهى جنات كانت معدة لأناس دخلوا النار فيرثها المؤمنون ﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا﴾(٣٧٠) ﴿أورثتموها﴾(٣٧١).

٣- جنة أعمال: ينزل الناس فيها بأعمالهم، فللصلاة جنة مخصوصة بها، وللزكاة كذلك، فما من فريضة ولا نافلة ولافعل خير ولاترك محرم ولامكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص، والجنة التى سمع فيها ﷺ خشخشة بلال فيها إنما كانت جنة معدة لهذا العمل بذاته ﴿بما كنتم تعملون﴾.(٣٧٢)

وكل جنة من الثلاث مائة درجة وكل درجة تنقسم إلى منازل، وأعلى الجنان الوسيلة، ثم عليين، وهما درجتان فى جنة عدن، فأعلى الجنان إذا جنة عدن،ثم الفردوس، ثم الخلد، ثم المأوى، ثم دار السلام، ثم دار المقامة.

فأهل النار معذبون بأعمالهم، وأهل الجنة منعمون بأعمالهم وأعمال غيرهم والجنة أوسع من النار فهى كمحيط الدائرة للنار.

ياقوتة فى القضاء والقدر

أصحاب المشهد الأول يقولون إن القضاء هو حكم الله فى الأشياء فى عينها من غير مزيد، فحكم الله هو الذى أمرنا بالرضى به، أما المقضى المحكوم به فلايلزمنا الرضى به، فلا يلزم الراضى بالقضاء الرضى بالمقضى، وحكم الله فى الأشياء على حد علمه بها وفيها وعلم الأشياء على ماأعطته المعلومات مما هى عليه نفسها.

فما حكم القضاء على الأشياء إلا بها، فالحاكم تابع لعين المسألة التى يحكم فيها بما تقتضيه ذاتها فالمحكوم عليه بما هو فيه حاكم على الحاكم أن يحكم عليه بذلك، فكل حاكم محكوم عليه بما حكم به وفيه فإن القدر ماجهل إلا لشدة ظهوره.

أصحاب المشهد الثانى: قالوا إن الإنسان مسير فنازعهم أهل التخيير، فقال لهم أهل التسيير علام بنيتم حكمكم عليه بالتخيير؟ قالوا: لأن الله أعطاه عقلا يفكر به، قالوا: أرأيتم الأفكار التى تخلق فى العقل أهى خالقة أم مخلوقة؟ قالوا: بل مخلوقة قالوا حتى الأفكار التى بنيتم عليها قولكم بالتخيير هى مخلوقة لله تعالى فالإنسان إذن مسيرا، فلم يعذب الله من يعذب وقد سيره؟ إليه قالوا: شيئان لا ثانى لهما، إما أن الله تعالى ظالم،وإما هناك سر لانعلمه وقد اتفق كل العالمين بما فى ذلك الملاحدة بأنه تعالى تنزه عن الظلم فبقى أن يقال إن هناك سرا اسمه سر القضاء لايعلمه إلا الله ويوم القيامة ينادى الله على أهل النار قبل دخولها: أظلمتم شيئا؟ فيقولون: لا، فلابد وأنه

تعالى قد كشف لهم سر القضاء فوجدوا أنهم استحقوا أشد من النار راضين عن حكم الله متلذذين بكشفهم أنهم يستحقوا أشد من النار، فالنار بالنسبة لهم أرحم مما يستحقون، ثم يغيب الله عنهم سر القضاء، فحينئذ يشعرون بالعذاب فى النار.

أصحاب المشهد الثالث قالوا: إن القضاء معاملة بين الله وخلقه وهى معاملة بين الشريعة والحقيقة كلها آداب مرعية فإن عصى العبد فقابل الله تعالى بالشريعة، فقال له يارب أنا عصيت وأنا جنيت وأنا اعتديت،قابله ربه بالحقيقة، فقال له: بل أنا قضيت وأنا أغفرها لك.

وإذا قابل العبد ربه بالحقيقة فقال له بل أنت يارب قضيت على المعصية قابله الله بالشريعة، فقال له: بل أنت فعلت، وأنت عصيت وسأدخلك النار.

وكذا إذا فعل العبد الطاعة فقال يارب أنت يسرت وأنت سهلت وأنت أعنت قابله ربه بالشريعة، فقال: بل أنت عملت وأنت أحسنت وسأدخلك الجنة.

أصحاب المشهد الرابع قالوا: العباد نوعان: عبد يشاهد نفسه، وعبد يشاهد أن الله سمعه وبصره وجميع قواه، فالأول مسير والثانى يفعل بالله فهو مخير، لأنه يغير القضاء بالقضاء، والحكم منه كالحكم من ربه.

قال سيدى عبد القادر كل الأولياء لما وصلوا إلى القدر وجدوه مصمتا فوقفوا إلا أنا فُتحت لى فيه روزنة فولجت فيها فدافعت أقدار الحق بالحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له.

ولذلك قالوا بسم الله من العارف ككن من الله، وأهل الجنة جميعا يقولون للشئ كن فيكون.

ياقوتة فى وهو معكم

خرج أبو يزيد فى بدايته إلى السياحة فقابله شيخ، فقال له:إلى أين؟ فقال:أبحث عن الحق، فقال: الذى تبحث عنه تركته فى بسطام ﴿ **وهو معكم أينما كنتم**﴾(٣٧٣)

قـــد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

فما نقل الله عبدا من مكان إلى مكان ليراه بل ليريه من آياته التى غابت عنه «زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها» ﴿ **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض**﴾(٣٧٤) وكذلك نقله عبده من مكان إلى مكان ليريه ماخص الله به ذلك المكان من الآيات الدالة عليه ﴿ **لنريه من آياتنا**﴾(٣٧٥) فإذا أراد تعالى أن يسرى بأرواح من شاء من ورثة رسله من أوليائه فهو إسراء لزيادة

علم وفتح عين فهم، فمنهم من أسرى به فيه فيرى العالم على صورة الحق ويرى نفسه على صورة العالم، فيسرى به الحق فى أسمائه فيعلم أنه المسمى بكل اسم إلهى، وبها يظهر الحق فى عباده، وبها يتلون العبد فى حالاته، فهى فى الحق أسماء وفينا تلوينات، وهى عين الشئون التى هو فيها الحق ففينا ربنا يتصرف كما نحن به فيه نظهر.

فمن رحمته تعالى أنه وصف نفسه بالإتيان والنزول، ومن رحمته أن ألزمنا مكاننا وكان معنا حيث كنا رحمة بنا ورعاية لنا، فإذا علم العبد ماأودع الله فيه من أسرار وحكم وتحقق عنده حدوثه وعرف ذاته معرفة إحاطية فتجلى له، وقال: ماسمى عندك؟ فقال أنت ربى فقال له سبحانه: أنت مربوبى، وأنا ربك أعطيتك أسمائى وصفاتى فمن رآك رآنى، ومن أطاعك أطاعنى، ومن علمك علمنى، ومن جهلك جهلنى، فغاية من دونك أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك .

الهوامش

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥.

(٣) سورة الحج الآية ٧٨.

(٤) سورة النساء الآية ٩٥.

(٥) سورة النساء الآية ٩٥.

(٦) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٧) سورة الحج الآية ٧٨.

(٨) سورة النساء الآية ٩٥.

(٩) سورة الأنفال الآية ٧٢.

(١٠) سورة التوبة الآية ١١١.

(١١) سورة التوبة الآية ١١١.

(١٢) سورة التوبة الآية ١١١.

(١٣) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

(١٤) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

(١٥) سورة هود الآية ١٢٣.

(١٦) سورة الأنفال الآية ١٧.

(١٧) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

(١٨) سورة الحج الآية ٧٨.

(١٩) سورة البقرة الآية ١٥٤.

(٢٠) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

(٢١) سورة البقرة الآية ٢٤٦.

(٢٢) سورةالرعد الآية ١٣.

(٢٣) سورة النحل الآية ٥٠.

(٢٤) سورة هود الآية ٥٦.

(٢٥) سورة فصلت الآية ١١.

(٢٦) سورة الشعراء الآية ٤.

(٢٧) سورة فصلت الآية ١١.

(٢٨) سورة طه الآية ١٢١.

(٢٩) سورة الحج الآية ٧٨.

(٣٠) سورة مريم الآية ٨٥.

(٣١) سورة العلق الآية ١.

(٣٢) سورة هود الآية ٤١.

(٣٣) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٣٤) سورة الصافات الآية ١٦٤.

(٣٥) سورة النمل الآية ٣٩.

(٣٦) سورة النمل الآية ٤٠.

(٣٧) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٣٨) سورة الأحزاب الآية ٧٢.

(٣٩) سورة الحديد الآية ٤.

(٤٠) سورة العنكبوت الآية ٥٦.

(٤١) الإسراء الآية الأولى.

(٤٢) سورة الدخان الآية ٤٩.

(٤٣) سورة غافر الآية ٣٥.

(٤٤) سورة هود الآية ١٢٣.

(٤٥) الذاريات الآية ٥٦.

(٤٦) الذاريات الآية ٥٦.

(٤٧) سورة الشورى الآية ١١.

(٤٨) سورة الحديد الآية ٤.

(٤٩) سورة طه الآية ٥.

(٥٠) سورة طه الآية ١١٤.

(٥١) سورة المعارج الآية ٢٣.

(٥٢) سورة فصلت الآية ٥٣.

(٥٣) سورة الشمس الآية ٨.

(٥٤) سورة الحج الآية ٥٢.

(٥٥) سورة النجم الآية ٣.

(٥٦) سورة النساء الآية ١٣٦.

(٥٧) سورة النحل الآية ٦٨.

(٥٨) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

(٥٩) سورة الأنفال الآية ٢٩.

(٦٠) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٦١) سورة فصلت الآية ٣٥.

(٦٢) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

(٦٣) سورة العلق الآية ٥.

(٦٤) سورة الرحمن الآية ٤.

(٦٥) سورة النساء الآية ١١٣.

(٦٦) سورة آل عمران الآية ٤٨.

(٦٧) سورة البقرة ٢٦٩.

(٦٨) سورة التحريم الآية ٦.

(٦٩) سورة يس الآية ٥٩.

(٧٠) سورة التكوير الآية ٦.

(٧١) سورة الحجر الآية ٤٢.

(٧٢) سورة البقرة الآية ٢٦٨.

(٧٣) سورة الزمر الآية ٣.

(٧٤) سورة النحل الآية ٨٨.

(٧٥) سورة العنكبوت الآية ١٣.

(٧٦) سورة العنكبوت الآية ١٢.

(٧٧) سورة النساء الآية ٥٦.

(٧٨) سورة ص الآية ٦٢.

(٧٩) سورة المائدة الآية ٣٣.

(٨٠) سورة الأنفال الآية ٢٥.

(٨١) سورة ق الآية ١٦.

(٨٢) سورة الواقعة الآية ٨٥.

(٨٣) سورة طه الآية ٨١.

(٨٤) سورة البروج الآية ١٢.

(٨٥) سورة الشورى الآية ١١.

(٨٦) سورة النساء الآية ٧٧.

(٨٧) سورة غافر الآية ٦٠.

(٨٨) سورة الإسراء الآية ٧٨.

(٨٩) سورة الرحمن الآية ٩.

(٩٠) سورة طه الآية ٥٠.

(٩١) سورة الرعد الآية ٨.

(٩٢) سورة الحجر الآية ٢١.

(٩٣) سورة الشورى الآية ٢٧.

(٩٤) سورة البقرة الآية ٤٠.

(٩٥) سورة يونس الآية ٧٢.

(٩٦) سورة القصص الآية ٥٦.

(٩٧) سورة القصص الآية ٥٦.

(٩٨) سورة النساء الآية ٣٤.

(٩٩) سورة الواقعة الآية ٣٣.

(١٠٠) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

(١٠١) سورة النور الآية ٣٥.

(١٠٢) سورة الأحزاب الآية ٨.

(١٠٣) سورة التغابن الآية ١٦.

(١٠٤) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(١٠٥) سورة الأحزاب الآية ٥٧.

(١٠٦) سورةالأحزاب الآية ٥٢.

(١٠٧) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

(١٠٨) سورة العلق الآية ١٤.

(١٠٩) سورة فصلت الآية ٥٣.

(١١٠) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(١١١) سورة آل عمران الآية ١٨٩.

(١١٢) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(١١٣) سورة الروم الآية ٤٧.

(١١٤) سورة الأعراف الآية ١٧٢.

(١١٥) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(١١٦) سورة الإسراء الآية ٥٥.

(١١٧) سورة النحل الآية ٧١.

(١١٨) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(١١٩) سورة الشورى الآية ٢٨.

(١٢٠) سورة الأنبياء الآية ٧٩.

(١٢١) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(١٢٢) سورة محمد الآية ٧.

(١٢٣) سورة غافر الآية ٧.

(١٢٤) سورة غافر الآية ٧.

(١٢٥) سورة غافر الآية ٨.

(١٢٦) سورة غافر الآية ٨.

(١٢٧) سورة غافر الآية ٨.

(١٢٨) سورة الشورى الآية ٥.

(١٢٩) سورة الشورى الآية ٥.

(١٣٠) سورة الشورى الآية ٥.

(١٣١) سورة آل عمران الآية ١٢٦.

(١٣٢) سورة البقرة الآية ٣٠.

(١٣٣) سورة التين الآية ٤.

(١٣٤) سورة آل عمران ٢٨.

(١٣٥) سورة الأنفال الآية ١٧.

(١٣٦) سورة الأنفال الآية ١٧.

(١٣٧) سورة الأحزاب الآية ٧٢.

(١٣٨) سورة الأحزاب الآية ٧٢.

(١٣٩) سورة البقرة الآية ٣٠.

(١٤٠) سورة البقرة الآية ٣٠.

(١٤١) سورة الشورى الآية ١١.

(١٤٢) سورة الشورى الآية ٤٠.

(١٤٣) سورة الشورى الآية ٤٠.

(١٤٤) سورة آل عمران الآية ١٨.

(١٤٥) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(١٤٦) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(١٤٧) سورة الفجر الآية ٢٨.

(١٤٨) سورة ق الآية ٢٢.

(١٤٩) سورة الحديد الآية ٤.

(١٥٠) سورة الزمر الآية ٤٧.

(١٥١) سورة المائدة الآية ١١٦.

(١٥٢) سورة ص الآية ٣٥.

(١٥٣) سورة البلد الآية ٨.

(١٥٤) سورة البلد الآية ١٠.

(١٥٥) سورة الحج الآية ١٨.

(١٥٦) سورة طه الآية ٥٠.

(١٥٧) سورة الشورى الآية ١١.

(١٥٨) سورة البقرة الآية ٣٢.

(١٥٩) سورة المائدة الآية ٩٩.

(١٦٠) سورة ص الآية ٢٦.

(١٦١) سورة الفتح الآية ١٠.

(١٦٢) سورة محمد الآية ٢.

(١٦٣) سورة الفتح الآية ٩.

(١٦٤) سورة الفتح الآية ١٠.

(١٦٥) سورة يس الآية ٥٢.

(١٦٦) سورة طه الآية ٦٦.

(١٦٧) سورة الواقعة الآية ٣٣.

(١٦٨) سورة طه الآية ٥.

(١٦٩) سورة الأنعام الآية ٣.

(١٧٠) سورة الحديد الآية ٤.

(١٧١) سورة الحديد الآية ٣.

(١٧٢) سورة الإخلاص الآية ١.

(١٧٣) سورة البقرة الآية ١١٥.

(١٧٤) سورة النجم الآية ٤٢.

(١٧٥) سورة الكهف الآية ٢٣ ـ ٢٤.

(١٧٦) سورة الكهف الآية ٦٩.

(١٧٧) سورة البقرة الآية ١٥٨.

(١٧٨) سورة يونس الآية ٢٢.

(١٧٩) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(١٨٠) سورة التوبة الآية ٦٠.

(١٨١) سورة سبأ الآية ٣٩.

(١٨٢) سورة العلق الآية ٦.

(١٨٣) سورة طه الآية ٥٠.

(١٨٤) سورة ص الآية ٤٤.

(١٨٥) سورة ص الآية ٣٠.

(١٨٦) سورة فاطر الآية ١٥.

(١٨٧) سورة الإسراء الآية ٢٣.

(١٨٨) سورة الفتح الآية ١٠.

(١٨٩) سورة النساء الآية ٨٠.

(١٩٠) سورة الأنفال الآية ١٧.

(١٩١) سورة الحجرات الآية ٧.

(١٩٢) سورة الأنفال الآية ١٧.

(١٩٣) سورة النحل الآية ٨١.

(١٩٤) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(١٩٥) سورة الجاثية الآية ٢٣.

(١٩٦) سورة ص الآية ٥.

(١٩٧) سورة الرعد الآية ٣٣.

(١٩٨) سورة آل عمران الآية ١٩.

(١٩٩) سورة البيّنة الآية ٥.

(٢٠٠) سورة البقرة الآية ٢٢٨.

(٢٠١) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

(٢٠٢) سورة النور الآية ٣٧.

(٢٠٣) سورة الأعراف الآية ٤٦.

(٢٠٤) سورة الحجرات الآية ٧.

(٢٠٥) سورة آل عمران الآية ١٤.

(٢٠٦) سورة الروم الآية ٢١.

(٢٠٧) سورة فاطر الآية ١٥.

(٢٠٨) سورة الإسراء الآية ٢٣.

(٢٠٩) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٢١٠) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٢١١) سورة الحديد الآية ٣.

(٢١٢) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢١٣) سورة النور الآية ٤١.

(٢١٤) سورة الحج الآية ١٨.

(٢١٥) سورة طه الآية ٤١.

(٢١٦) سورة ص الآية ٢٦.

(٢١٧) سورة البقرة الآية ١٦٥.

(٢١٨) سورة البقرة الآية ١٦٥.

(٢١٩) سورة مريم الآية ٩٦.

(٢٢٠) سورة يوسف الآية ٩٥.

(٢٢١) سورة يوسف الآية ٨٦.

(٢٢٢) سورة النساء الآية ١.

(٢٢٣) سورة الواقعة الآية ٦.

(٢٢٤) سورة النور الآية ٣٩.

(٢٢٥) سورة النور الآية ٣٩.

(٢٢٦) سورة البقرة الآية ١١٥.

(٢٢٧) سورة الحديد الآية ٤.

(٢٢٨) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٢٢٩) سورةالبقرة الآية ٢٨١.

(٢٣٠) سورة غافر الآية ٣٥.

(٢٣١) سورة لقمان الآية ١٨.

(٢٣٢) سورة التوبة الآية ١٠٨.

(٢٣٣) سورة آل عمران الآية ١٤٦.

(٢٣٤) سورة النحل الآية ١٢٨.

(٢٣٥) سورة آل عمران الآية ١٤٦.

(٢٣٦) سورة الأنبياء الآية ٨٣.

(٢٣٧) سورة البقرة الآية ١٥٨.

(٢٣٨) سورة ابراهيم الآية ٧.

(٢٣٩) سورة الفاتحة الآية ١.

(٢٤٠) سورة البقرة الآية ١٩٥.

(٢٤١) سورة فصلت الآية ٥٣.

(٢٤٢) سورة الحديد الآية ٤.

(٢٤٣) سورة الصف الآية ٤.

(٢٤٤) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٢٤٥) سورة يس الآية ٣٧.

(٢٤٦) سورة يونس الآية ٢٦.

(٢٤٧) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٢٤٨) سورة الأنفال الآية ٦١.

(٢٤٩) سورة التوبة الآية ٧٩.

(٢٥٠) سورة طه الآية ٥.

(٢٥١) سورة مريم الآية ٥٧.

(٢٥٢) سورة محمد الآية ٣٥.

(٢٥٣) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(٢٥٤) سورة الإسراء الآية ٥٥.

(٢٥٥) سورة النحل الآية ٧١.

(٢٥٦) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(٢٥٧) سورة الشورى الآية ٢٨.

(٢٥٨) سورة الأنبياء الآية ٧٩.

(٢٥٩) سورة الأنبياء الآية ٧٢.

(٢٦٠) سورة ص الآية ٤٣.

(٢٦١) سورة مريم الآية ٥٣.

(٢٦٢) سورة الجاثية الآية ١٣.

(٢٦٣) سورة ص الآية ٣٦.

(٢٦٤) سورة ص الآية ٣٩.

(٢٦٥) سورة الإنسان الآية ٩.

(٢٦٦-٢٦٧) سورة الأعراف الآية ١٥٦.

(٢٦٨) سورة الأنعام الآية ٥٤.

(٢٦٩) سورة الفتح الآية ٤.

(٢٧٠) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٢٧١) سورة النساء الآية ٢٨.

(٢٧٢) سورة الروم الآية ٢٧.

(٢٧٣ ، ٢٧٤) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٢٧٥) سورة الاحقاف الآية ٩.

(٢٧٦) سورة القصص الآية ٥٦.

(٢٧٧) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٢٧٨) سورة الأنفال الآية ١٧.

(٢٧٩) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

(٢٨٠) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢٨١) سورة التكوير الآية ٢٠.

(٢٨٢) سورة فاطر الآية ١٠.

(٢٨٣) سورة العاديات الآية ١٠.

(٢٨٤) سورة آل عمران الآية ١٨.

(٢٨٥) سورة الشورى الآية ٤٠.

(٢٨٦) سورة الشورى الآية ٥٢.

(٢٨٧) سورة آل عمران الآية ١٧٣.

(٢٨٨) سورة الإسراء الآية ٤٤.

(٢٨٩) سورة النور الآية ٤١.

(٢٩٠) سورة النمل الآية ١٨.

(٢٩١) سورة النمل الآية ٢٢.

(٢٩٢) سورة فصلت الآية ٢١.

(٢٩٣) سورة النحل الآية ٨.

(٢٩٤) سورة يوسف الآية ٢٤.

(٢٩٥) سورة طه الآية ٦٦.

(٢٩٦) سورة الأعراف الآية ١١٧.

(٢٩٧) سورة طه الآية ٦٩.

(٢٩٨) سورة الأنعام الآية ٨٢.

(٢٩٩) سورة الأنبياء الآية ٧٩.

(٣٠٠) سورة الضحي الآية ٥.

(٣٠١) سورة الذاريات الآية ٢٢.

(٣٠٢) سورة الزمرالآية ٦٨.

(٣٠٣) سورة آل عمران الآية ٢٨.

(٣٠٤) سورة النصر الآية ١.

(٣٠٥) سورة آل عمران الآية ١٨.

(٣٠٦) سورة النحل الآية ٣٢.

(٣٠٧) سورة النساء الآية ٧٩.

(٣٠٨) سورة النساء الآية ٧٨.

(٣٠٩-٣١٠) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

(٣١١) سورة الكهف الآية ٦٥.

(٣١٢) سورة الإسراء الآية ٧٩.

(٣١٣) سورة الجمعة الآية ٤.

(٣١٤) سورة الفتح الآية ٢٨.

(٣١٥) سورة النساء الآية ٤١.

(٣١٦) سورة آل عمران الآية ٨١.

(٣١٧) سورة النساء الآية ١٦٦.

(٣١٨) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٣١٩) سورة النور الآية ٢٤.

(٣٢٠) سورة فصلت الآية ٢٠.

(٣٢١) سورة يوسف الآية ١٠٨.

(٣٢٢) سورة آل عمران الآية ٢١.

(٣٢٣) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٣٢٤) سورة الأنفال الآية ٢٩.

(٣٢٥) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

(٣٢٦) سورة الروم الآية ٢٣.

(٣٢٧) سورة الكهف الآية ٦٥.

(٣٢٨) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

(٣٢٩) سورة الأنبياء الآية ٢.

(٣٣٠) سورة غافر الآية ٦٠.

(٣٣١) سورة الأنفال الآية ١٧ .

(٣٣٢-٣٣٣) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٣٣٤) سورة التغابن الآية ١٣ .

(٣٣٥) سورة القلم الآية ٤٤.

(٣٣٦، ٣٣٧) سورة النمل الآية ٥٠.

(٣٣٨) سورة آل عمران الآية ٥٤.

(٣٣٩) سورة البقرة الآية١٤.

(٣٤٠) سورة البقرة الآية ١٥.

(٣٤١) سورة الرحمن الآية ٦٠.

(٣٤٢) سورة الصافات الآية ٥٥.

(٣٤٣) سورة الشورى الآية ٤٥.

(٣٤٤) سورة الحديد الآية ٤.

(٣٤٥) سورة فصلت الآية ٥٤.

(٣٤٦) سورة العلق الآية ١٤.

(٣٤٧) سورة الشعراء الآية ٢١٨.

(٣٤٨) سورة ق الآية ١٦.

(٣٤٩) سورة الواقعة الآية ٨٥.

(٣٥٠) سورة النور الآية ٣١.

(٣٥١) سورة التوبة الآية ١١٨.

(٣٥٢) سورة الأنفال الآية ١٧.

(٣٥٣) سورة الانفطار الآية ٦.

(٣٥٤) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٣٥٥) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

(٣٥٦) سورة التوبة الآية ١١٨.

(٣٥٧) سورة النازعات الآية ٤٠.

(٣٥٨) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

(٣٥٩) سورة الأحزاب الآية ٣٥.

(٣٦٠) سورة الأحزاب الآية ٤١.

(٣٦١) سورة البقرة الآية ١٥٢.

(٣٦٢) سورة الأحزاب الآية ٤٣.

(٣٦٣) سورة التوبة الآية ١٠٢.

(٣٦٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٣٦٥) سورة العنكبوت الآية ٣٨.

(٣٦٦) سورة آل عمران الآية ١٤.

(٣٦٧) سورة غافر الآية ٣٥.

(٣٦٨) سورة الدخان الآية ٤٩.

(٣٦٩) سورة لقمان الآية ٢٠.

(٣٧٠) سورة مريم الآية ٦٣.

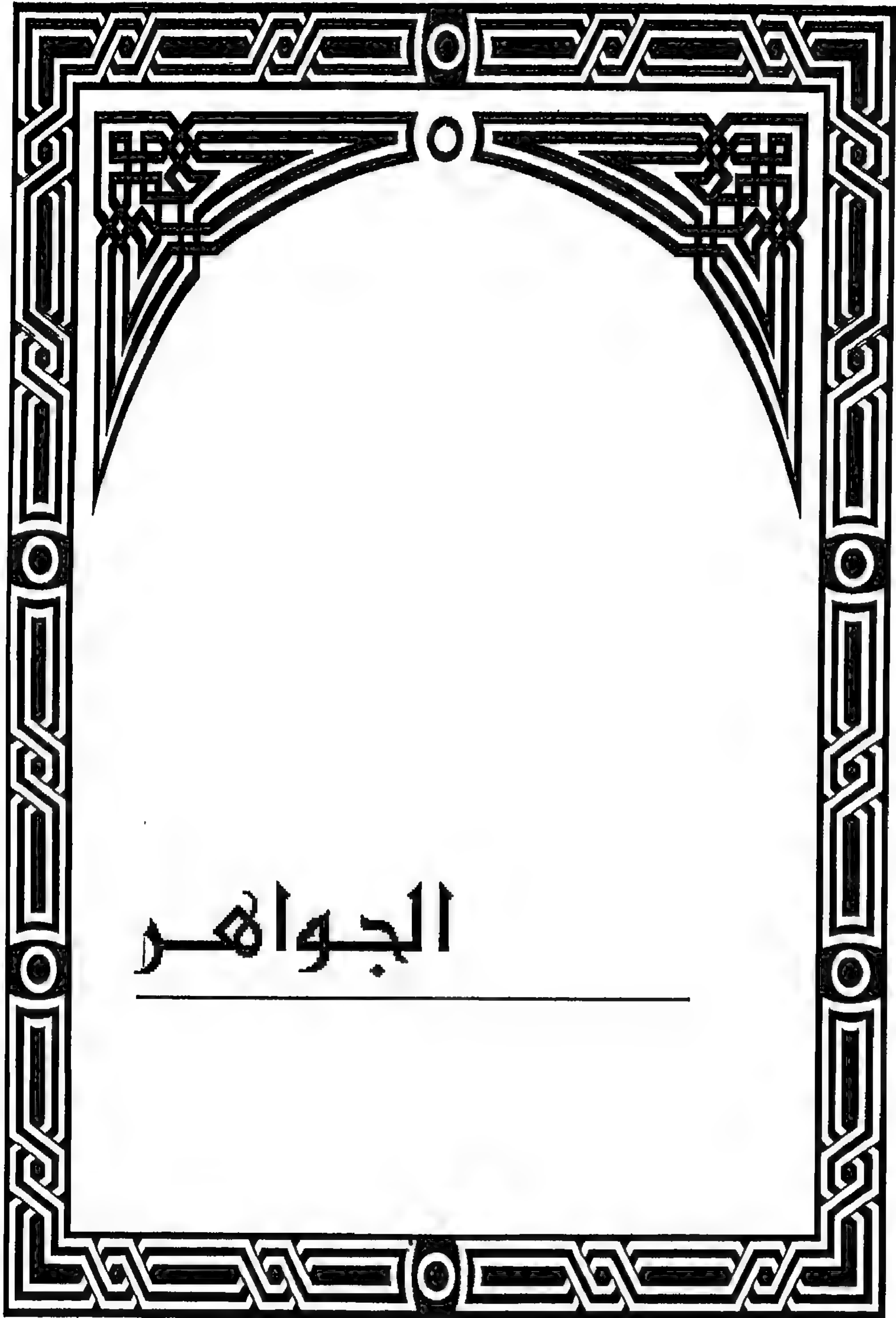
(٣٧١) سورة الزخرف الآية ٧٢.

(٣٧٢) سورة الزخرف الآية ٧٢.

(٣٧٣) سورة الحديد الآية ٤.

(٣٧٤) سورة الأنعام الآية ٧٥.

(٣٧٥) سورة الإسراء الآية ١.



الجواهر

جوهرة فى التوسل

التوسل هو طلب الوسيلة وهو مأمور به ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾[1]، ومدح أناسا فقال ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾[2] والتوسل إما أن يكون بالعمل الصالح، وإما برسول الله ﷺ وإما بالأنبياء، وإما بالصالحين، وإما بآثار الصالحين.

١ - **التوسل بالعمل الصالح**: عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، قال رجل منهم«اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالاً فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالاً، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية

يتضاغون عند قدمىَّ فاستيقظا فشربا غَبُوقهما، اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنًا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه، قالَ الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم فأردتها على نفسها فامتنعت منى، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىَّ وتركت الذهب الذى أعطيتها؛ اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لايستطيعون الخروج منها، وقال الثالث: اللهم إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين، فقال: يا عبدالله أدِّ إلىَّ أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزىء بى، فقلت: لا أستهزئ بك فأخذه فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنًا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»

رواه البخارى ومسلم والنسائى

وأرجى الأعمال الصالحة هى محبة رسول الله ﷺ

٢ ـ التوسل بالنبى ﷺ :

ـ توسل به آدم عليه السلام قبل خلقه.

عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم خطيئته، قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ ادعنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك.

أخرجه الحاكم، وصححه الحافظ والسيوطى فى الخصائص وصححه البيهقى فى دلائل النبوة، والطبرانى فى الأوسط، وصححه القسطلانى، والزرقانى فى المواهب اللدنية، والسبكى فى شفاء السقام- التوسل به فى حياته ﷺ وبعد وفاته.

عن عثمان بن حنيف ﵁ قال: سمّعت رسول الله ﷺ وقد جاءه رجل ضرير البصر فقال: ادع الله أن يعافينى قال: «إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذلك فهو خير» فقال ادعه: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فيجلى لى عن بصرى.

قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل، وكأنه لم يكن به ضر.

رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى، وابن ماجه، وابن خزيمة، والطبرانى، والحاكم وصححه، وأقره الذهبى.

عن مالك الداري قال «أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه وجاء بلال بن الحارث المزني إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه ﷺ في المنام وقال له، إئت عمرفأقرئه مني السلام وأخبرهم أنهم مُسقون، وقل له، عليك بالكيس الكيس.

رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه بسند صحيح

قال ابن حجر في الفتح إسناده صحيح وأخرجه البيهقي بسند صحيح ورواه الحافظ ابن كثير في البداية بسند صحيح.

قال تعالى ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** ﴾[٣]

قال المفسرون: هي عامة في حياته وبعد مماته ﷺ.

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال :«اللهم إنا كنّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا قال: فيسقون».

فهو في الحقيقة توسل بالرسول ﷺ بعد وفاته ولكن الاستسقاء يتعين بإمام حاضر يدعو أو يصلي ويؤمن المسلمون وراءه، فقُدم العباس رضى الله عنه لقرابته من رسول ﷺ.

روى الدارمى يسند صحيح عن أبى الجوزاء، وأوس بن عبدالله قال :قحط أهل المدينة قحطا شديداء فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا إلى قبر النبى ﷺ فاجعلوا منه كوا إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق.

ـ التوسل به ﷺ فى عرصات القيامة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى حديث الشفاعة الطويل: إن الناس يقولون «لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا.....فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه...»

رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود

ـ توسل رسول الله ﷺ بنفسه وبالأنبياء.

عن أنس رضي الله عنه أن فاطمة بنت أسد، أم على بن أبى طالب لما ماتت حفر رسول الله ﷺ لحدها بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه فقال: «الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين».

رواه الحاكم وابن حبان والطبرانى فى الكبير والأوسط بسند صحيح

٣ - التوسل بالصالحين:

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يخرج للصلاة اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولارياء ولاسمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفرلى ذنوبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته»

رواه أحمد وابن خزيمة بسند صحيح

عن أبى الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «أبغونى ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم».

رواه أبو داود والترمذى والنسائى بسند صحيح

٤ - التوسل بآثار الصالحين:

قال تعالى ﴿ **وقال لهم نبيهم إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة**﴾[٤] قال الحافظ ابن كثير فى التاريخ قال ابن جرير عن هذا التابوت: وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم هذا التابوت، فكانوا ينتصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة، قال ابن كثير: والبقية هى آثار آل موسى وآل هارون، قالوا: كانت فيه عصا موسى وعصا هارون ولوحان من التوراة، قال ابن كثير: وقد كانوا ينتصرون على أعدائهم بسببه.

* واعلم أنه بعد انتقال الناس إلى البرزخ بالموت فإنهم يتميزون إلى سبعة أقسام وتحت كل قسم درجاته ودركاته.

١ ـ أرواح الكافرين وتكون فى سجن يسمى سجين ذكره الألوسى وابن كثير والطبرى فى تفسير قوله تعالى ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ** ﴾(٥).

٢ ـ أرواح عامة المسلمين تكون كالنائمة ليس لها صلة بدنيا ولا بأخرى، عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فذكر حديث الإسراء الطويل وفيه «ثم انطلقنا فإذا نحن بموتى أشد شئ انتفاخًا وأنتنه ريحا قلت ما هؤلاء؟ قال هؤلاء موتى الكفار، ثم انطلقنا فإذا نحن نرى دخانا ونسمع عواء قلت: ما هذا؟ قال: هذه جهنم فدعها، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال نيام تحت ظل الشجرة قلت ما هؤلاء؟ قال: موتى المسلمين، ثم انطلقنا فإذا نحن بجوار غلمان يلعبون بين نهرين قلت ما هؤلاء؟ قال: ذرية المؤمنين، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال أحسن شيئا وجها وأحسنه لبوسا وأطيبه ريحا كأن وجوههم القراطيس قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون، ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة نفر يشربون خمرا ويغنون فقلت ما هؤلاء؟ قال: ذاك زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة....»

٣ ـ أرواح أطفال المؤمنين تكون سارحة فى الجنة كما تقدم فى حديث الإسراء يعلمهم إبراهيم عليه السلام القرآن.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أطفال المؤمنين فى جبل فى الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة، حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة».

رواه أحمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح

عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ فى الحديث الطويل «والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولاد الناس - وفى رواية - وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين يا رسول الله فقال وأولاد المشركين».

أما أطفال المشركين الذين ماتوا قبل الحلم فمنهم من سيكون من خدم أهل الجنة فهم فى البرزخ مع أرواح القسم الثانى نائمين، ومنهم من يتعلم القرآن مع أطفال المسلميين إذ أن الله أعلم بما كانوا عاملين.

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة».

رواه الطبرانى فى الأوسط، والبخارى فى تاريخه الأوسط عن سمرة بن جندب بسند حسن .

٤ - أرواح عامة المؤمنين، تكون فى البرزخ على حالة ما كانت عليه فى الدنيا من انشغالها بالله، وليس لها اتصال بالدنيا.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«إن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»

رواه مالك فى الموطأ

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «...... فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشدُّ فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليهم فيسألونه مافعل فلان؟ ما فعلت فلانه:؟ فيقولون: دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال أو ما أتاكم؟ قالوا: ذُهِب به إلى أمه الهاوية»

رواه النسائى بسند حسن

٥ ـ أرواح خاصة المؤمنين، ويكون لها النفع التام لأهلها خاصة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ «إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا».

رواه أحمد بسند حسن

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تُعرض عليهم».

رواه الحاكم على شرطهما بسند صحيح وأقره الذهبى

٦ ـ أرواح الشهداء، وتكون فى حواصل طير خضر فى الجنة ويكون لها التصريف التام فى الدنيا بالنفع. عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ مر على شهداء أحد فقال: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»

رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبى

عن مسروق قال: سئل ابن مسعود عن قوله تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾(٦). فقال: «أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل»

رواه مسلم

عن ابنة ثابت ابن قيس بن شماس أن أباها قتل يوم اليمامة شهيدا فرآه رجل من المسلمين فى منامه فقال: إنىّ لما قتلت بالأمس مربى رجل من المسلمين فانتزع منى درعا نفيسة ومنزله فى أقصى العسكر، وعند منزله فرس يستن فى طوله وقد أكفأ على الدرع برمة وجعل فوق البرمة رجلا فائت خالد بن الوليد فليبعث إلى درعى فليأخذها فإذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ فأعلمه أن على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، قال: فأُتى خالد بن الوليد فوجه إلى الدرع فوجدها كما ذكر

وقدم على أبى بكر فأخبره الخبر فأنفذ أبو بكر رضي الله عنه وصيّته بعد موته، ولا نعلم أحدا أنفذت وصيته بعد موته غيره.

رواه الطبرانى بسند صحيح

٧ ـ أرواح الصديقين والنبيين، ويكون لها النفع التام والتصريف الكامل فى أهل الدنيا وأهل البرزخ بالنفع والضر، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حياتى خير لكم تحدثون وتحدث لكم، ووفاتى خير لكم تعرض علىّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم».

رواه البزار ورجاله رجال الصحيح

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون».

رواه أبو يعلى بسند صحيح

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علىّ إلا ردّ الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام»

رواه أحمد والبيهقى وأبو داود بسند حسن

وأكبر نفع انتفعته أمة رسول الله ﷺ وسلم إنما كان ببركة روح سيدنا موسى عليه السلام، فلولاه لكانت الصلاة خمسين.

عن عمارة بن حزم قال: رآنى رسول الله ﷺ جالسًا على قبر فقال: «يا صاحب القبر انزل من على القبر لا تؤدى صاحب القبر ولا يؤذيك»

رواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن

فدل على أن صاحب هذا القبر حى له تصريف بالضر فيمن يؤذيه.

*واعلم أنه لا يجوز طلب النفع إلا من الأحياء، ولذا فإنه لا يطلب النفع من الصنف الأول ولا الثانى ولا الثالث. بل زيارتهم تكون للإمداد بأن تدعو لهم وتترحم عليهم وتقرأ لهم ما يصلهم من القرآن وغيره، أما الشهداء فقد نهينا بنص القرآن أن نقول عنهم أمواتا ولا أن نحسبهم أمواتا ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات**﴾(٧)، ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا**﴾(٨).

فيجوز طلب النفع منهم إذ أنهم أحياء، أما الصديقون والنبيون فهم أعلى من الشهداء درجة فيجوز كذلك طلب الخير منهم، إذ أن حياتهم كاملة وتصريفهم تام.

وتكون زيارتهم للاستمداد، وكذا يجوز الاستمداد والاستغاثة بالمخلوق.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة فى الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينونى يا عباد الله»

رواه الطبراني بسند صحيح

* واعلم أن النفع إما مطلق. فلا يطلب إلاَّ من الله فهو النافع الضار، وطلب النفع المطلق من غير الله كفر وإما مقيد، بإذن الله

فيكون حتى من الجمادات وآثار الصالحين فكيف بالشهداء والصديقين والنبيين، فيجوز أن تقول خذ هذا الدواء ينفعك الله به، أو تقول نفعتنى هذه القوس أو هذا السيف أما التبرك فيكون بثمانية أشياء.

١ - التبرك بآثار رسول الله ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ دخل على أم سليم وفى البيت قربة معلقة فشرب من فيها وهو قائم، قال: فقطعت أم سليم فم القربة ،فهو عندنا.

رواه أحمد والطبرانى بسند حسن

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبى ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها فربما جاؤوه فى الغداة الباردة فغمس يده فيها»

رواه مسلم وأحمد

وعنه رضي الله عنه قال: «لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة نحر نسكة ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه فأعطاه أبا طلحة ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه فقال «اقسمه بين الناس»

رواه الترمذى وقال حسن

عن عثمان، عن أنس «أن أم سليم كانت تبسط للنبى ﷺ نطعا فيقيل عندها على ذلك النطع فإذا نام النبى ﷺ أخذت من عرقه

وشعره فجمعته فى قارورة ثم جمعته فى سك وهو نائم، قال فلما حضر أنس الوفاة أوصى إلى أن يجعل فى حنوطه من السك».

رواه البخارى

عن سفينه رضي الله عنه قال: «احتجم النبى ﷺ ثم قال خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير والناس فتغيبت فشربته ثم ذكرت ذلك له فضحك»

رواه الطبرانى بسند صحيح

عن أميمة رضى الله عنها قالت كان للنبى ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره فقام فطلبه فلم يجده فسأل فقال أين القدح؟ قالوا: شربته سرة خادمة لأم سلمة التى قدمت معها من أرض الحبشة فقال النبى ﷺ «لقد احتظرت من النار بحظار»

رواه الطبرانى بسند صحيح

روى الشيخ ابن تيمية عن الإمام أحمد، أنه رخص فى التمسح بالمنبر والرمانة، وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك.

٢ ـ أما التبرك بقبر رسول الله ﷺ فقد فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فعن عبدالعزيز بن بابنوس قال «لما حضر عمر بن الخطاب الوفاة أوصى، قال: إذا أنا مت فاحملونى إلى باب بيت عائشة فقولوا

لها: هذا عمر بن الخطاب يقرئك السلام ويقول: أدخل أو أخرج فسكتت ساعة - وفى رواية قالت: كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى - ثم قالت أدخلوه فلما دفن عمر أخذت الجلباب فتجلببت قال: فقيل لها: مالك وللجلباب، قالت: كان هذا زوجى وهذا أبى فلما دفن عمر تجلببت»

رواه البخارى وأحمد وهو صحيح

٣ - **أما التبرك بآثار الصالحين**، فمنها التبرك بالتابوت وقد ذكرناه آنفا.

ومنها الحديث الذى ذكره الإمام مسلم عن نافع أن عبدالله بن عمر أخبرنا أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم النبى ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا للإبل بالعجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت توردها الناقة تبركا بذلك.

٤ - فأما مقامات الأنبياء والصالحين، وهى الأمكنة التى قاموا عليها أو عبدوا الله فيها فهو مستحب لقوله تعالى ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾(٩) وكذا بالأراضى الطيبة.

عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله كيف أُسرى بك؟ قال: « ... حتى انتهينا إلى أرض ذات نخل قال انزل، فنزلت ثم قال: صل، فصليت، ثم ركبنا قال لى: تدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال: صليت بيثرب صليت بطيبة: ثم انطلقنا تضع حافرها حيث

أدرك طرفها: حتى بلغت أرضا بيضاء قال انزل فنزلت ثم قال صل فصليت ثم ركبنا قال تدرى أين صليت؟ قلت الله أعلم قال: صليت بمدين، صليت عند شجرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا تضع حافرها حيث أدرك طرفها ثم ارتفعنا قال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال: تدرى أين صليت؟ قلت الله أعلم: قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى المسيح بن مريم...»

رواه البزاز والطبرانى فى الكبير بسند حسن

وقوله تعالى ﴿ هنالك دعا ذكريا ربه ﴾(١٠) أى المكان الذى تعبدت فيه مريم الصديقة أى دعا الله فى هذا المكان التماس البركة والإجابة.

عن عتبان بن مالك ﵁ قال: ذهب بصرى على عهد رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ذهب بصرى ولا أستطيع الصلاة خلفك فلو بوأت فى دارى مسجدا فصليت فيه فأتخذه مصلى قال نعم»

رواه البخارى ومسلم ومالك وابن ماجة و الطبرانى

وقال تعالى ﴿ لنتخذن عليهم مسجدا ﴾(١١) تبركا بالمكان الذى قام فيه أهل الكهف.

أما التبرك بمس قبره الشريف، فعن أبى داود بن صالح قال: أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال أتدرى ما يصنع ؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب ﵁ فقال نعم جئت رسول الله ﷺ ولم أر الحجر.

رواه أحمد وداود بن أبى صالح بسند حسن

٥ ـ أما التبرك بمس الكعبة والأركان والحجر.

عن جعفر بن عبدالله بن عثمان القرشي قال: «رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه، وقال رأيت خالي ابن عباس قبله، وسجد عليه وقال: رأيت عمر بن الخطاب قبل الحجر وسجد عليه».

رواه الحاكم وقال صحيح وأبو داود الطيالسي بسند حسن

عن ابن عباس رضى الله عنهما «أن النبى ﷺ سجد على الحجر الأسود».

رواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبى

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :قال رسول الله ﷺ: «إن لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق».

رواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبى

عن عبدالرحمن بن صفوان رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ هو وأصحابه واستلموا البيت من الباب إلى الحطيم، وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله ﷺ وسطهم».

رواه أبو داود بسند حسن

عن أبى الطفيل قال: «قبّل معاوية وابن عباس الأركان كلها، فقال معاوية : إنما استلم رسول الله ﷺ الركنين اليمانيين، قال ابن عباس ليس من أركانه شيء مهجور».

رواه أحمد بسند صحيح

عن ابن عمر قال: «رأيت عمر قبَّل الحجر وسجد عليه ثم عاد فقبَّله وسجد عليه ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ»

رواه أبو يعلى والبزار بسند صحيح

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مسح الركن اليمانى والركن الأسود يحط الخطايا حطا»

رواه أحمد والنسائى وابن حبان بسند حسن

قال ابن حجر العسقلانى رحمه الله فى الفتح:

فائدة: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم، ونقل الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل عن تقبيل منبر النبى ﷺ وتقبيل قبره فلم يرَ بِهِ بأسًا، ونُقل عن أبى الصيف اليمانى أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزائه وكتب الحديث وقبور الصالحين.

٦ ـ ثم التبرك بالصلاة عند قبور الصالحين واتخاذ المساجد عليها.

فعن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، قال «رأيت أسامة يصلى عند قبر رسول الله ﷺ فخرج مروان بن الحكم فقال تصلى عند قبره قال: إنى أُحبه»

رواه أبو يعلى والطبرانى ورجاله ثقات

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بمسجد الخيف قُبِر سبعون نبيا» ومعلوم أن القبور كانت قبل بناء المساجد، وذلك كما فى

الآية الكريمة ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾(١٢)
وقد استدل الألوسى فى تفسيره على جواز اتخاذ المساجد على قبور الصالحين مستدلا بهذه الآية الكريمة. إذ أنه تعالى ذكرها ولم يعقب عليها بنهى أو غيره.

عن أبى هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»

رواه مالك فى الموطأ

دل الحديث على أن كل ما يفعل عند قبر رسول الله ﷺ من تقبيل أو مس أو صلاة ليست شركا ولا حراما. إذ أن دعوة رسول الله ﷺ مستجابة إلى يوم القيامة، أما كلمة مساجد فى الحديث فليست هى البناء المعروف. إذ أنه ﷺ يقصد اليهود والنصارى ومعابد اليهود بيع. والنصارى كنائس. فلم يكونوا يعرفون كلمة مساجد بمعناه عندنا ولكن المقصود بمساجد هى أماكن للسجود .فلعن رسول الله ﷺ الذين كانوا يسجدون على قبور الصالحين اعتقادا منهم بأنها تنفع النفع المطلق وعبادة لها والدليل على ذلك ما ذكره الإمام ابن عبدالبر فى التمهيد بأن هذا الحديث منسوخ بحديثين لا يجوز النسخ عليهما.
أولهما: قول رسول الله ﷺ «جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا» وقال: إن تلك فضيلة خُص بها رسول الله ﷺ ولا يجوز على فضائله النسخ ولا الخصوص ولا الاستثناء وذلك جائز فى غير فضائله، والثانى:

قوله ﷺ لأبى ذر رضي الله عنه: «حيثما أدركتك الصلاة فصل، فقد جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا».

قال تعالى ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾(١٣) فهم يعبدونهم لذاتهم حتى بعد أن أخبر تعالى بأنه لا يحب ذلك، أما الحب فهو حبٌ لله فإذا علمنا من الله تعالى حبه للصالحين أحببناهم توسلا بهم إليه فإذا علمنا بغضه لهم أبغضناهم، وهذا هو الفرق بين العبادة والحب، فهم لم يقولوا ما نحبهم ولكن قالوا: ﴿مانعبدهم﴾ فأنكر عليهم تعالى قول مانعبدهم فقط.

عن سعيد بن المسيب «أن النبى ﷺ صلّى على قبر أم سعدبن عبادة بعد شهر»

رواه البيهقى والترمذى وقال صحيح

عن عامر بن ربيعة قال: «مر رسول الله ﷺ بقبر حديث فقال: ما هذا القبر، قالوا: فلانة قال: «فهلا آذنتمونى» قالوا: كنت نائما فكرهنا أن نوقظك قال :«فلا تفعلوا ادعونى لجنائزكم» فصف عليها صفا»

رواه بن ماجة وابن أبى شيبة بإسناد حسن

عن ابن عباس رضى الله عنهما «أن النبى ﷺ رأى قبرا منتبذا فصف أصحابه فصلى عليه»

رواه البخارى والترمذى

عن الحسين رضي الله عنه «أن فاطمة بنت النبى ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى وتبكى»

رواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبى

أما حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى»

رواه البخارى

قال ابن حجر ما معناه : هذا الحديث لم يذكر أى ذكر للقبور فلو شد أحد الرحال لزيارة قبر والده أو قبر صالح فلا بأس بذلك، بل هو داخل الأمر العام بزيارة القبور. فقد روى ابن خزيمة بسند حسن عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى». وإنما ذكر هذا الحديث المساجد إذ أن المستثنى منه محذوف ويكون دائما من جنس المستثنى فيكون التقدير لا تشد الرحال لمسجد.

وقد روى هذا الحديث برواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى «لا ينبغى للمصلى أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام...»

وقال النووى رحمه الله والنهى هنا للكراهة التنزيهية بمعنى لا ينبغى وإلا فقد شد رسول الله ﷺ إلى مسجد قباء وندب أصحابه إلى ذلك.

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال «كان النبى ﷺ يزور قباء راكبا وماشيا فيصلى فيه ركعتين ، وفى رواية كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان عبدالله يفعله.

رواالبخارى ومسلم والنسائى ومالك وأبو داود

عن أسيد بن ظهير رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال «الصلاة فى مسجد قباء كعمرة»

رواه الترمذى وحسنه

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال «لأن أصلى فى مسجد قباء ركعتين أحب إلىّ من أن آتى بيت المقدس مرتين ولو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل»

قال ابن حجر العسقلانى رواه عمر بن شبه فى أخبار المدينة بسند صحيح

٧ - التبرك بتقبيل يد الصالحين.

عن صفوان بن عسال قال: «قال يهودى لصاحبه إذهب بنا إلى هذا النبى ..... إلى أن قال فقبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبى .....»

رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجة والحاكم

عن الزارع العبدى وكان فى وفد عبدالقيس قال «فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبى ﷺ ورجله»

رواه أبو داود بسند صحيح

ومن حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال «قمنا إلى النبى فقبلنا يده»

أخرجه الحافظ أبو بكر بن المقرى بسند جيد

ومن حديث جابر رضي الله عنه «أن عمر قام إلى النبى ﷺ فقبّل يده»

رواه ابن المقرى بسند جيد

وعن ابن عمر رضى الله عنهما «أنهم لما رجعوا من الغزو حيث فروا قالوا :نحن الفرارون فقال «بل أنتم الكرارون. إنا فئة المؤمنين» قال فقبلنا يده»

أخرجه البخارى فى الأدب وأبو داود بسند صحيح

«وقبل أبو لبابة يد رسول الله ﷺ»

أخرجه البيهقى فى الدلائل وابن المقرى بسند حسن

«وقبل كعب بن مالك وصاحباه يد النبى ﷺ حين تاب الله عليهم»

رواه ابن المقرى بسند جيد

ومن حديث بريدة فى قصة الأعرابى والشجرة «فقال: يا رسول الله ائذن لى أن أقبل رأسك ورجليك فأذن له»

رواه ابن المقرى بسند جيد

وأخرج البخارى فى الأدب المفرد والإمام أحمد فى المسند من رواية عبدالرحمن بن رزين قال «أخرج لنا سلمة بن الأكوع كفا له

ضخمة كأنها كف بعير فقال بايعت رسول الله بيدى هذه فقمنا إليها فقبلناها».

«وقَبّل زيد بن ثابت يد ابن عباس حين أخذ ابن عباس بركابه»

أخرجه الطبرانى وابن المقرى بسند جيد

«وقَبّل أبو عبيدة يد عمر حين قدم»

أخرجه سفيان فى جامعه بسند صحيح

وعن ثابت «أنه قبل يد أنس»

أخرجه ابن المقرى بسند جيد وأبو يعلى بسند صحيح

عن أبى مالك الأشجعى قال «قلت لأبى أوفى ناولنى يدك التى بايعت بها الرسول ﷺ فناولنيها فقبلتها»

رواه ابن المقرى بسند جيد

قال النووى رحمه الله تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه أو عمله أو شرفه أو صيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره بل يستحب، فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه فمكروه شديد الكراهية.

٨ ـ التبرك بالمطر.

عن أنس رضي الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر قال: فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه»

رواه مسلم

جوهرة فى السبحة

عن أبى نضرة العبدى قال: «حدثنى شيخ من شيوخ طُفاوة قال تثويت أبا هريرة بالمدينة فلم أر رجلا أشد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه. قال فبينا أنا عنده يوما وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية له سوداء وهو يسبح بها حتى إذا أنفد مافى الكيس ألقاه إليها فأعادته فى الكيس فدفعته إليه»

رواه أحمد وأبو داود بسند حسن

عن صفية قالت: «دخل علىّ رسول الله ﷺ وبين يدى أربعة آلاف نواة أسبح بهما فقال : «لقد سبحت بهذا ألا أعلمك بأكثر مما سبحت» فقالت: علمنى فقال قولى: «سبحان الله عدد خلقه»

رواه الترمذى والطبرانى والحاكم وصححه السيوطى

عن سعد بن أبى وقاص «أنه دخل مع النبى ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح فقال: أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا قولى: سبحان الله عدد ما خلق فى السماء، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض، و سبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ماهو خالق. الله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولاإله إلاّ الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك»

رواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى وابن ماجة وابن حبّان والحاكم وصححه

قال الأحوذى على شرحه للترمذى فى هذه الأحاديث. دليل على جواز عد السبحة بالنوى أو الحصى، وكذا بالسبحة لعدم الفارق لتقريره ﷺ المرأة على ذلك وعدم إنكاره.

وقد ألّف السيوطى رحمه الله كتابا أسماه «المنحة فى فضل السبحة»، وقال فى آخره: ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولايرون ذلك مكروها، وقد اتخذ السبحة سادات يشار إليهم ويؤخذ عنهم ، فقد اتخذها أبو هريرة وأبو الدرداء وخالد بن معدان وأبو مسلم الخولانى وغيرهم ثم قال فلو لم يكن فى اتخاذ السبحة غير موافقة هؤلاء السادة والدخول فى سلكهم والتماس بركتهم لصارت بهذا الاعتبار من أهم الأمور وآكدها فكيف بها وهى مذكرة بالله تعالى لأن الإنسان قلّ أن يراها إلا بذكر الله وهذا من أعظم فوائدها.

وقال الشوكانى فى نيل الأوطار بعد نقله حديث صفية وسعد رضى الله عنهما الحديثان يدلان على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى وكذا بالسبحة.

جوهرة فى أهل الصفة

هم أوتاد مسجد رسول الله ﷺ ، وكان لهم مكان يجلسون تحته مسقوف بعريش النخل، وكانوا هم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ

تركوا الدنيا لأهلها واكتفوا بالله ورسوله ﴿ **سيؤتينا الله من فضله ورسوله** ﴾[١٤] يرزقهم الله بغير سبب كما رزق غيرهم بالأسباب.

وكان منهم على بن أبى طالب، ومصعب بن عُمير وأبو هريرة وغيرهم كثير، بل كان معظم المهاجرين منهم.

كان المسجد بيتهم فيه يعبدون الله، وفيه ينامون، وفيه يأكلون، لا يخرجون منه إلاَّ إذا انتدبهم رسول الله ﷺ لسرية سريعة لا تتحمل التأخير لجمع الناس والفرسان فكانوا هم النجدة السريعة، وكانوا محل نظر رسول الله ﷺ من أصحابه.

فمنهم من زوجه رسول الله ﷺ من ابنته وأمره بالتسبب فتسبب، ومنهم من أصبح قائدا لجيوش المسلمين، ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

غيَّرت الدنيا الناس وما تغيَّروا، إن وجدوا آثروا، وإن فقدوا شكروا ولا يعلم بحالهم وفقرهم وجوعهم وفاقتهم إلا الله ورسوله.

عاتب الله تعالى رسوله فيهم ﴿ **ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** ﴾[١٥]

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: الله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض، من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر فلم يفعل ثم مربى عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر فلم يفعل ثم مربى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآنى

وعرف مافى نفسى، وما فى وجهى ثم قال «يا أبا هريرة قلت: لبيك يا رسول الله قال ألْحق فمضى فتبعته فدخل فاستأذن فأَذِنَ لى فدخلت فوجدت لبنا فى قدح فقال من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه فلان أو فلانة قال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «ألحق إلى أهل الصفة فادعهم لى» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءنى ذلك فقلت: وما هذا اللبن فى أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاءوا أمرنى فأعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدٌ فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «أبا هر» قلت لبيك يا رسول الله قال «خذ فأعطهم» فأخذت القدح، فأخذت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علىّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علىّ القدح حتى انتهيت إلى النبى ﷺ. وقد روى القوم كلهم. فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال: «أبا هر» قلت لبيك يا رسول الله قال «بقيت أنا وأنت» قلت: صدقت يا رسول الله قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت. فقال: اشرب فشربت، فمازال يقول «اشرب» حتى قلت والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكا. قال: فأرنى فأعطيته القدح «فحمد الله وشرب الفضْلَة»

رواه البخارى والترمذى وأحمد

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهم يأتى النبى ﷺ والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبى ﷺ فقال : «لعلك ترزق به».

رواه الترمذى وقال صحيح غريب ورواه الحاكم وصححه

عن فضالة بن عبيد أنّ رسول الله ﷺ إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم فى الصلاة من الخصاصة، وهم أصحاب الصفة حتى تقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال «لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة»

رواه الترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان

جاء فيهم: عن أبى سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنياءهم بخمسمائة عام»

رواه الترمذى وقال حسن غريب

جوهرة في والدي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعمه

قال تعالى: ﴿ وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾(١٦)

أهل الفترة على ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم أدرك التوحيد ببصيرته كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو، ومنهم من دخل فى شريعة كتبّع وقومه.

٢ ـ وقسم بدل وغيّر وأشرك وشرّع لنفسه فحلّل وحرّم، كعمرو بن لحى أول من سنّ للعرب عبادة الأصنام وبحر البحيرة، وسيب السائبة ووصل الوصيلة، وحمى الحام ومنهم من عبَدَ الجن والملائكة وحرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجابا يضاهون بها الكعبة.

٣ ـ القسم الثالث من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة بل بقى عمره كله غافلا عن هذا كله.

فأما القسم الأول . فقد قال رسول الله ﷺ فى كل من قس وزيد إنه يبعث أمة واحدة، وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذى دخلوا فيه مالم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين.

وأما القسم الثانى: فورد تعذيبهم كصاحب المحجن وعمرو ابن لحى حيث رآهم رسول الله ﷺ فى النار.

أما القسم الثالث: فهم أهل فترة حقيقية ومن مات منهم قبل بعثة النبى ﷺ فهو من أهل الجنة قال تعالى: ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون** ﴾(١٧) كوالدى رسول الله ﷺ.

وقد أورد ابن أبى حاتم والزركشى فى تفسيرهما قوله و﴿ **لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾(١٨)

عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ «الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم قرأ ﴿ **ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾(١٩).

حسن الإسناد

وقال تعالى ﴿ **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا** ﴾(٢٠)

سئل القاضى أبو بكر بن العربى عن رجل قال إن أبا النبى ﷺ فى النار، فأجاب. بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى: ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة** ﴾ ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه أنه فى النار، وصح عن رسول الله ﷺ قوله «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات».

قال الباجى فى شرحه على الموطأ: قال بعض العلماء:لا يجوز أن يؤذى النبى ﷺ حتى بفعل مباح، ولذا قال رسول الله ﷺ «إن فاطمة بضعة منى وإنى لا أحرم ما أحل الله، ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا «فشرط على المؤمنين أن يؤذوا فى غير ما اكتسبوا وأطلق الأذى فى خاصة النبى بغير شرط.

وقيل أن والدى رسول الله ﷺ كانوا هم وعبدالمطلب من أصحاب القسم الأول إذ كانوا على دين إبراهيم عليه السلام على التوحيد الخالص.

قال الفخر الرازى فى كتاب أسرار التنزيل ما نصه:

قـيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كـان عـمـه وذلك أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا لقوله تعالى ﴿ **وتقلبك فى الساجدين**﴾(٢٢) معناه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد فالآية دالة على أن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مسلمين، وقد صح أن رسول الله ﷺ قال :«لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات وقال تعالى: ﴿ **إنما المشركون نجس**﴾(٢٣) فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا.

انتهى كلام الإمام فخر الرازى.

أخرج ابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح عن ابن جريح فى قوله ﴿**رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى**﴾(٢٤) قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفترة يعبدون الله.

وأخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن السدى أنه قيل له اسم أبى إبراهيم آزر فقال بل اسمه تارح قال تعالى : ﴿ **قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق**﴾(٢٥) وإسماعيل عم يعقوب وإبراهيم جده عليهم السلام فالشائع استخدام لفظة الأب على العم والجد.

وإبراهيم عليه السلام كان يستغفر لآزر فى بدايته ﴿ **قال سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى**﴾(٢٦) فنهاه الله عن ذلك.

فقد قالت السيدة آمنة قبل موتها

إن صح ما أبصرت في المنام فأنت مبعوث إلي الأنام

تبعث بالتحقيق والإسلام دين أبيك البر إبراهام

فالله أنهاك عن الأصنام ألاّ تواليها مع الأقوام

نقله أبو نعيم فى دلائل النبوة عن الزهرى.

وقال غير واحد من المفسرين: إن عبدالمطلب كان مستجاب الدعوة، وهو الذى استغاث بالله تعالى يوم الفيل، فاستجاب الله دعوته فيهم.

قال العلامة السحيمى فى شرحه على عبدالسلام أنه يجب اعتقاد أن جميع الأنبياء وأمهاتهم وآباءهم مؤمنون وأنهم فى الجنة مخلدون. وهذا هو الذى نعتقده ونلقى اللهإن شاء الله تعالى عليه.

قال ابن حجر العسقلانى فى الإصابة روى الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: قال شاب من الأنصار لم أر رجلا كان أكثر سؤالا لرسول الله ﷺ منه يا رسول الله أرأيت أبواك فى النار فقال ﷺ: «ما سألتهما ربى فيطيعنى فيهما وإنى لقائم يومئذ المقام المحمود»

قال ابن حجر : فهذا الحديث يشعر بأنه يرتجى لهما الخير هم وأهل البيت جميعا.

قال ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾(٢١) قال، من رضا محمد أن لا يدخل أحدا من أهل بيته النار.

ثم إنه قال تعالى ﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴾(٢٧) إلى أن قال ﴿ ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾(٢٨) فاستغفر لوالديه وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة.

فقد أخرج ابن المنذر بسند صحيح عن سليمان بن صرد أن عمه مات أيام إلقائه فى النار فصح أن والديه هنا غير أبيه الذى نهاه الله عن الاستغفار له.

وقال تعالى: ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه ﴾(٢٩) أى: كلمة التوحيد فقد أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال: لا إله إلا الله باقية فى عقب إبراهيم، وكذا روى ابن المنذر عن مجاهد وكذا معمر عن قتادة وقال الزهرى فى الآية العقب ولده الذكور والإناث وأولاد الذكور.

أخرج ابن جرير فى تفسيره قال تعالى: ﴿ واجنبنى وبنىَّ أن نعبد الأصنام ﴾(٣٠) قال مجاهد فاستجاب الله لإبراهيم دعوته فى ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله والمقصود فى الآية إسماعيل عليه السلام وأبناءه دون غيرهم، لأنه دعا لأهل البلد أن لا يعبدوا إذا أسكنهم إياه فقال: ﴿ اجعل هذا البلد آمنا ﴾(٣١) ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال : ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾(٣٢) فيه.

روى الترمذى وصححه عن المطلب بن أبى وداعة رضي الله عنه قال «جاء العباس إلى رسول الله ﷺ وكأنه سمع شيئا فقام النبى ﷺ على المنبر فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله قال أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتا وخيرهم نفسا»

فانتسب إلى أبيه مفتخرا كما انتسب إلى جده يوم حنين مفتخرا فقال: «أنا النبى لاكذب أنا ابن عبدالمطلب» ولأن الأحاديث وردت فى النهى عن الانتساب إلى الآباء الكفار فدل على أن أباه لم يكن كافرا ولاجده.

قال السيوطى رحمه الله أما غالب ما يروى من أن أبوى رسول الله ﷺ فى النار فغالبه ضعيف أو مردود عليه ولم يصح إلا حديثان.

١ ـ «إن أبى وأباك فى النار»

رواه مسلم عن أنس

٢ ـ «استأذن فى الاستغفار لأمه فلم يؤذن له»

رواه أبو داود عن أبى هريرة

أما الأول فإن لفظة «أبى وأباك فى النار»لم يتفق على ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وهى الطريق الذى رواه مسلم منها، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر هذه

اللفظة بل ذكر :«إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار» وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرا أثبت من حماد، فإن حمادا تكلم فى حفظه، ووقع فى أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه دسها فى كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها، فوهم فيها، ومن ثم لم يخرج له البخارى شيئا ولا أخرج له مسلم فى الأصول إلا من روايته عن ثابت.

أما معمر فلم يتكلم فى حفظه وأخرج له الشيخان فكان لفظه أثبت.

ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس وأخرجه ابن ماجة والبزار.

فلفظ «أبى وأباك فى النار» هو تصرف من الراوى رواه بالمعنى على حسب فهمه وقد وقع فى الصحيحين روايات كثيرة من هذا اللفظ تصرف فيها الراوى وغيره أثبت منه.

ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول كان معارضا بما تقدم من الأدلة والأحاديث الصحاح فيجب تأويله وتقديم الأدلة عليه كما هو مقرر فى الأصول وبهذا يجاب عن الحديث الثانى حيث لم يؤذن له فى الاستغفار لأمه ﷺ ، فقد كان فى أول الإسلام ممنوعا ﷺ من الصلاة على من كان عليه دين وهو مسلم، وقد قال الإمام فخر الرازى فى قوله «إن أبى وأباك فى النار» المقصود به أبو طالب حيث أن العرب أطلقت الأب على العم كثيرا، ونقل ذلك الرد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى.

والمسلك الثالث أنه ليس كل حديث فى صحيح مسلم يقال بمقتضاه لوجود المعارض له، وذلك أن مسلما روى عن ابن عباس بسند صحيح أن الطلاق الثلاث كان يجعل واحدة فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وصدرا من إمارة عمر ومع ذلك فالأئمة الأربعة خلاف ذلك.

إنتهى كلام السيوطى رحمه الله.

* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه»

رواه مسلم وأحمد بسند صحيح

فلو كان والديه ﷺ فى النار لكانوا ولاشك أهون من أبى طالب والذى ورد أن أبا طالب أهون أهلها عذابا فتفرع من ذلك عدم وجودهما فى النار.

ثم إن أبا طالب قد اختلفوا فيه، قال ابن حجر العسقلانى فى شرح الأربعين : إن لكل من الأئمة الأربعة قولا بأنه مؤمن عاص لأنه آمن بقلبه بلاشك ولم ينطق بلسانه.

وأخرج الشيخان من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :«ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد- وفى رواية أحاج- لك بها عند الله».

وقد شفع فيه رسول الله ﷺ

فقد روى العباس رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال: «نعم وهو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار»

رواه الشيخان

فدل على أنه نفعه وشفع فيه وذلك دليل على أنه قد قالها.

وفى حديث سعيد بن المسيب السابق «حتى قال آخر ماكلمهم هو على ملة عبدالمطلب»

وعبدالمطلب كان حنيفيا على ملة إبراهيم من التوحيد كما هو معلوم.

وكان مصدق بقلبه مدافعا عن دينه ورسوله كما قال فى شعره .

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتنى وعرفت أنك ناصحى ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

فالإيمان هو التصديق القلبى، والنطق باللسان ليس شرطا إلا لإجراء الأحكام الدنيوية

وأما تعذيبه فى النار فليس دليلا على كفره فكم من مؤمن عاص سيعذب، ولكن عذابه لعدم نطقه بلسانه والقيام بتلك الأحكام.

أما قوله ﴿ ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾(٣٣)

فقد قال ابن حجر فى شرحه على الأربعين : ويجاب عن حديث ابن المسيب الذى رواه فى سبب نزول السورة بأن السورة كلها نزلت فى المدينة آخرا، وأبو طالب مات قبل هذا ببضع عشرة سنة فيكون التحقيق أن الآية نزلت تنهى المؤمنين عن الاستغفار لأقاربهم المشركين فإنه لا ينفعهم، وحديث علىٍّ يدل عليه.

فقد روى الترمذى وأحمد والحاكم بسند صحيح عن على كرم الله وجهه قال: «سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبى ﷺ فنزلت ﴿ **ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾[٣٤] .

جوهرة فى الذكر

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادى؟ قال: فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول: هل رأونى؟

قال: فيقولون: لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأوني؟ قال: يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال فيقول: فما يسألون قال: يقولون: يسألونك الجنة قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يارب ما رأوها يقول: فكيف لو رأوها قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون :يتعوذون من النار فيقول: وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها قال: فيقول:وكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد منها مخافة، قال فيقول: أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»

رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وابن حبان والبزار والطبراني

وكما لايشقى بهم جليسهم لايشقى بهم معتقدهم ولا محبهم.

عن يعلى بن شداد قال حدثني أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت قال: كنّا عند النبيﷺ فقال: «هل فيكم غريب» يعني من أهل كتاب. قلنا: لا يارسول الله فأمر بغلق الباب وقال: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال: الحمد لله الذي بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد «ثم قال» أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم».

رواه أحمد والطبراني والمنذري في الترغيب والترهيب وسنده حسن

عن أنس بن مــالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رســول الله ﷺ قــال «إذا مــررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا وما رياض الجنة قال «حلق الذكر»

رواه أحمد والبيهقى والترمذى وقال حسن غريب

وفى رواية أبى هريرة «قلت وما الرتع يا رسول الله قال «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»هذه الأحاديث فيها دليل على مشروعية الذكر جماعة.

عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله»

رواه الحاكم على شرطهما بسند صحيح

دليل على جواز الذكر باللفظ المفرد ﴿ الله ﴾

وما من آية فى القرآن فيها ذكر إلا لكلمة الله ﴿ **والذاكرين الله** ﴾ ﴿ **واذكرو الله** ﴾ فالذكر بكلمة الله هى الأصل.

عن أبى سعيد الخدرى رضى اللهعنه أن رسول الله ﷺ قال «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»

رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب والحاكم صححه

فى هذا الحديث الحث على الإكثار من الذكر فما من آية فيها ذكر إلا جاء بعدها كلمة كثيرا ﴿ **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات** ﴾(٣٥) و ﴿ **اذكروا الله ذكرا كثيراً** ﴾(٣٦).

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لى : «ياعبدالله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة» فقلت: بلى يا رسول الله قال :«قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى

فيه دليل على أن رسول الله ﷺ قد لقن بعض أصحابه أذكارا بإذن خاص دون الإذن العام الذى لقنه لجميع الأمة.

عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ من سبح مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حج مائة حجة ومن حمد مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حمل على مائة فرس فى سبيل الله أو قال غزا مائة غزوة ومن هلل مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبّر الله مائة بالغداة ومائة بالعشى لم يأت فى ذلك اليوم أحد بأفضل مما جاء به إلاّ من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال»

رواه الترمذى وقال حسن

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبدالبحر»

رواه الترمذى وقال حسن صحيح

عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ «ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»

رواه أحمد والنسائى والحاكم وابن أبى الدنيا والترمذى وقال حسن غريب

كل هذه الأحاديث فيها من الثواب العظيم مالا يقدره ولا يحصيه إلا الله تعالى لفضل الذكر وما يؤدى إليه.

عن حنظلة بن الربيع الأسيدى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات»

رواه مسلم والترمذى

فيه دليل على أن المشاهدة والمكاشفة إنما هى ثمرة من ثمرات مجالسة الصالحين وكثرة الذكر.

عن أبى سعيدالخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ليذكرن الله قوم على الفرش الممهدة يدخلهم الجنات العلى»

رواه أبو يعلى بإسناد حسن

وهم أهل الأذكار والأوراد وهم أيضا أهل الفكرة والنظرة.

عن سعد بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «خير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى»

رواه أحمد وابن حبان والبيهقى فى الشعب بسند حسن

الذكر الخفى الذى يخفى عن الملائكة فلا تكتبه ولكن الله يعلمه وحده.

عن جابر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يلبى لبيك اللهم لبيك لا شريك لك.

لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك. ولبى الناس وراءه يزيدون ذا المعارج ونحوه من الكلام والنبى ﷺ يسمع فلم يقل لهم شيئاً»

رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن حبان بسند صحيح

عن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول «وزدت أنا لبيك لبيك وسعديك والخير فى يديك لبيك والرغباء إليك والعمل»

رواه البخارى ومسلم ومالك وأحمد

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينما نحن نصلى مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فقال رسول الله ﷺ: «من القائل كلمة كذا وكذا»؟ قال. رجل من القوم: أنا يا رسول الله قال: «عجبت لها! فتحت لها أبواب السماء» وفى رواية «لقد رأيت ابتدرها إثنا عشر ملكا» قال ابن عمر فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك»

رواه مسلم والترمذى والنسائى

عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فعطست فقلت الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى، فلما صلى ﷺ انصرف فقال «من المتكلم فى الصلاة»؟ فلم يتكلم أحد ثم قالها الثانية: فلم يتكلم أحد ثم قالها الثالثة؟ فقلت: أنا

يا رسول الله فقال: «كيف قلت» فأعدتها عليه. فقال النبى ﷺ : والذى نفسى بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكا أيهم يصعد: بها» .

رواه البخارى ومالك والنسائى والترمذى وأبو داود

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «يستجاب لأحدكم مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل «قالوا وما الاستعجال يا رسول الله قال «يقول يارب قد دعوتك فلا أراك تستجيب لى»

رواه البخارى ومسلم وابن عبد البر فى التمهيد

هذه الأحاديث تدل على جواز الدعاء بما يلهم به الله عبده، وإن كان هذا الدعاء زائدا عما جاءت به السنة وكذا جواز الذكر بغير الألفاظ التى جاءت بها السنة

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «أحب الأعمال أدومها وإن قل»

رواه الشيخان

دل هذا الحديث على استحباب تحديد العدد فى الذكر إذ أنه لا يداوم إلا على عمل معلوم عدده.

جوهرة فى عظيم فضل الله

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله عز وجل يعطى عبده بالحسنة الواحدة ألفى حسنة ثم تلا

جوهرة في السر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أسرَّ إليَّ رسول الله ﷺ سرا فما أخبرت به أحدا بعده ولقد سألتنى عنه أم سليم فما أخبرتها به»

رواه الشيخان

عن عمار رضي الله عنه قال: أخبرنى حذيفة «أن رسول الله ﷺ أعلمه اثنى عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم»

رواه مسلم

عن أبى عبدالله الجسرى قال : دخلت على عائشة وعندها حفصة بنت عمر رضي الله عنه فقالت لى: إن هذه حفصة زوج النبى ﷺ ثم أقبلت عليها فقالت: أنشدك الله أن تصدقينى بكذب أو تكذيبى بصدق تعلمين أنى كنت أنا وأنت عند رسول الله ﷺ فأغمى عليه فقلت :لك أترينه قبض قلت لا أدرى ثم أفاق. قال: افتحوا له الباب. ثم أغمى عليه فقلت: أترينه قد قبض قلت لا أدرى ثم أفاق قال: افتحوا له الباب فقلت لك أبى أو أبوك قلت لا أدرى ففتحنا له الباب فإذا هو عثمان بن عفان فلما رآه النبى ﷺ قال أدنه منى فأكب عليه فساره بشىء لا أدرى أنا وأنت ماهو، ثم رفع رأسه فقال أفهمت ما قلت لك؟ قال: نعم. قال: أدنه فأكب عليه إكبابا شديدا فسارَّه بشىء، ثم رفع رأسه فقال: أفهمت ما قلت لك قال سمعته ووعاه قلبى فقال له: اخرج قال: فقالت حفصة اللهم نعم»

رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط بسند صحيح

﴿ يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾[٣٧] فقال: قال عز وجل: ﴿ أجرا عظيما ﴾ فمن يقدر قدره».

رواه أحمد بسند جيد

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا فاقترب واستمع وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها أجر قيام سنة وصيامها»

رواه أحمد والترمذى وقال صحيح

عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها»

رواه الحاكم على شرطهما بسند صحيح

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»

رواه الطبرانى، وقال الهيثمى سنده صحيح

عن على كرم الله وجهه قال: «مامن مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن عاده عشية إلاصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف فى الجنة» رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال غريب حسن.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته إليكم، وأما الآخر فلو بثثته إليكم قُطع هذا البلعوم».

رواه البخارى

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان عليٌّ أقرب الناس عهدا برسول الله ﷺ، عدنا رسول الله ﷺ غداة وهو يقول: «جاء على جاء على» مرارا فقالت فاطمة رضي الله عنها: كأنك بعثته فى حاجة! قالت فجاء بعد. قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه رسول الله ﷺ وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك فكان على أقرب الناس عهدا».

رواه الحاكم بسند صحيح على شرطهما وأقره الذهبى

تدل هذه الأحاديث على أنه ﷺ أسرَّ من علمه إلى من شاء من أسرار دون غيرهم وذلك لعظم قدر هؤلاء الناس وشديد تصديقهم له وكل ذلك علوم خاصة وأسرار وأنوار وليست شيئا عاما لكل الأمة.

جوهرة فى العلم

عن عمر بن الخطاب رضى الله قال: «قام فينا رسول الله ﷺ وأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه».

أخرجه البخارى

عن عمرو بن أخطب الأنصاري ﷺ قال: «صلى رسول الله ﷺ يوما الفجر وصعد على المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى، ثم صعد فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة قال: فأعلمنا أحفظنا»

رواه مسلم وأحمد في المسند

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئا يكون من مقامه إلى قيام الساعة إلا حدّثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»

رواه البخاري ومسلم وأبو داود

هذه الأحاديث جميعا تدل على سعة علمه ﷺ وأنه لم يبلغ كل علمه، ولكن بلغ. ما أمر بتبليغه من علمه وإلا فهو البحر المحيط.

قال البوصيري رحمه الله

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

عن وهب بن منبه قال: سألت جابرا عن شأن ثقيف إذ بايعت. قال :اشترطت أن لا صدقة عليها ولا جهاد وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا»

رواه أبو داود بسند حسن

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل «أسلم». قال: أجدنى كارها قال: «أسلم وإن كنت كارها»

رواه أحمد وأبو يعلى والضياء بسند صحيح

عن نصر بن عاصم عن رجل منهم أنه «أتى النبى ﷺ فأسلم على أنه لا يصلى إلا صلاتين فقبل منه ذلك»

رواه أحمد بسند جيد

فيها ما فيها من سعة علمه ﷺ بما سيكون عليه العباد وإن ظهروا فى الوقت بما لا يعلمونه من أنفسهم فهو ﷺ أعلم بأنفسهم منهم.

جوهرة فى أهل البيت

عن أبى ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»

رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى

عن جابر رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: «إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى»

رواه الترمذى وقال حسن غريب

عن يزيد بن أرقم رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهم»

رواه الترمذى وقال حسن غريب

عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال وهو فى مرضه الذى توفى فيه: يا فاطمة ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين»

رواه الحاكم بسند صحيح وأقرّه الذهبى

عن على كرم الله وجهه أن النبى ﷺ أخذ بيد حسن وحسين وقال «من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة»

رواه أحمد والترمذى وقالا حسن غريب

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى على عبادة»

رواه الطبرانى بسند صحيح

إذ أنه وارث لرسول الله ﷺ فمن نظر إليه فكأنما نظر إلى رسول الله ﷺ.

هذه الأحاديث فيها عظيم فضل أهل البيت ومن أحبهم

عن ثوبان رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وأنا معه وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب فقالت: هذه أهداها إليّ أبو حسن، والسلسلة في يدها فقال رسول الله ﷺ «يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس فاطمة بنت محمد وفي يدك سلسلة من نار» ثم خرج رسول الله ﷺ ولم يقعد فعمدت فاطمة إلى السلسلة فاشترت بها غلاما فأعتقته فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال «الحمد لله الذي نجا فاطمة من النار».

رواه الحاكم وصححه على شرطهما وأقره الذهبي

هذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وإلا فالذهب حلال لنساء الأمة، أما فاطمة رضي الله عنها فلمكانتها حرم عليها دون غيرها وكذلك حرمت الصدقة على محمد ﷺ وعلى آله وعندما وجدوا درهمين في خباء أحد أصحاب الصفة بعد وفاته قال لهم رسول الله ﷺ :«كيتان» مع أن غيره يجوز له أن يجمع ما شاء من الدراهم.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله ﷺ «ما انتجيته ولكن الله انتجاه»

رواه الترمذي وقال حسن

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنت جالسا إذ جاء علي والعباس يستأذنان فقالا: يا أسامة استأذن لنا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله علي والعباس يستأذنان. قال: «أتدري ما جاء بهما؟»

قلت: لا .فقال النبى ﷺ : «لكنى أدرى إئذن لهما» فدخلا. فقالا: يا رسول الله جئناك نسألك أى أهلك أحب إليك؟ قال: «فاطمة بنت محمد» قالا: جئناك نسألك عن أهلك قال «أحب أهلى إلىّ من قد أنعم الله عليه وأنعمت عليه أسامة بن زيد» قالا ثم من؟ قال: «على بن أبى طالب» فقال العباس يا رسول الله جعلت عمك آخرهم قال :«إن عليا قد سبقك بالهجرة»

رواه الترمذى وقال حسن

* اعلم أن الحب نوعان: حب طبيعى ذاتى، وحب للأعمال وهو حب إيمانى فرسول الله ﷺ أحب أسامة الحب الطبيعى الذاتى فهنيئا له إذ أنه أحب بغير سبب كحب الأطفال بعضها بعضا، وأحبَّ غيره الحب الآخر إلا أن الحبين قد اجتمعا لعلى كرم الله وجهه.

جوهرة فى أصحابه وإخوانه صلى الله عليه وسلم

عن أسير بن جابر رحمه الله قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر، حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد؟ ثم من

عن رفاعة الجهنى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه، ثم قال «أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله صدقا من قلبه ثم يسدد إلا سلك فى الجنة وقد وعدنى ربى أن يدخل من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وإنى لأرجو أن يدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن الجنة»

رواه أحمد والطبرانى، وابن حبان، والبغوى، والبارودى، وابن قانع وبعضه عن ابن ماجه، وقال الهيثمى رجاله موثقون

الأحاديث التى دلت على تفضيل الصحابة إنما هى فضل عملى إذأن كل عمل صالح نعمله إنما هو فى صحائفهم لأنهم السبب فى وصوله إلينا وكل تفضيل لمن بعدهم عليهم إنما هو فضل ذاتى لادخل لأحد فيه إنما هو اختصاص يختص الله به من يشاء من عباده.

عن عبدالله بن شقيق رحمه الله قال: كنت مع رهط بإلياء فقال عبدالله بن أبى الجدعاء سمعت رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم «قلنا سواك يا رسول الله! قال: «نعم سواى» . فقيل الرجل هو عثمان بن عفان أو أويس القرنى.

رواه الترمذى وقال صحيح غريب وأخرجه الدارمى وابن ماجة

قرن؟ قال: نعم قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال: نعم. قال ألك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وفى رواية - «إن خير التابعين رجل يقال له أويس وكان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر ولو أقسم على الله لأبره. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل «فاستغفرلى، فاستغفر له».

رواه مسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أنى لقيت إخوانى قال فقال أصحاب النبى ﷺ نحن إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابى. ولكن إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى».

رواه أحمد بسند صحيح

عن أبى أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات».

رواه البخارى فى التاريخ وأحمد فى مسنده وابن حبان والحاكم بسند صحيح

عن أبى جمعة رضي الله عنه قال تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا وجاهدنا معك قال «نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى».

رواه أحمد وأبو يعلى بسند جيد

جوهرة في السيد

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال لهم «قوموا إلى سيدكم سعد»

رواه أبو داود بسند صحيح

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»

رواه مسلم وأبو داود بسند صحيح

دلت الأحاديث على جواز إطلاق لفظ السيد على الرسول ﷺ فى الصلاة وغيرها، إذ أنها الأصل الأصيل فى قوله تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾(٢٨) وكذا جواز إطلاق السيد على الصالحين من أمته ﷺ.

أما قوله ﷺ «لا تسيدونى فى الصلاة» فموضوع لا أصل له حتى من وضعه أخطأ فى لغته لأن الصحيح أن تقول. سود أما سيد فلحن.

والله تعالى هو السيد المطلق إذ أن خادم القوم سيدهم، وما رأينا أحداً يخدم عباده ويقوم بحوائجهم وتوصيل الخير بغير علمهم مثل ربهم، فكل من قام بخدمة الناس بغير علمهم فله نصيب من وراثة اسمه السيد جل جلاله.

جوهرة في التمثل

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «هذا جبـريل جاء يعلم الناس دينهم»

رواه البخارى

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صدقك وهو كذوب ذاك شيطان»

وفيـه أن أبا هريرة قـال: وكّلنى رسـول الله ﷺ بحـفظ زكـاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ.

رواه البخارى

عن أبى ثعلبـة الخـشنى رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ :«الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء، وصنف حيات وكلاب،وصنف يحلون ويظعنون»

رواه الحاكم بسند صحيح على شرطهما وأقره الذهبى

فيها جواز تمثل الملائكة والجن على صور الإنس، وفى قوله ﷺ «جاء يعلم الناس» أى: لم يأت ليعلمه هو ﷺ ولكن ليعلم الناس وفيه ما فيه من الإشارات.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه حكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتنى

اعلم أنه ما من نفس إلا وفيه روح خارج منك فما من ذكر تذكره إلا ويخلق الله من هذا الذكر ملك يطير إلى أن يأتى إلى العرش ويظل هذا الطائر يذكر الله تعالى إلى قيام الساعة، وهذا معنى مضاعفة الحسنات والنفث قد يكون بخير فينفعك هذا الروح الخارج منك وقد يكون بشر «ومن شر النفاثات فى العقد» فيؤثر على المسحور فيضره.

جوهرة فى الإقامة

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أنا برىء من كل مسلم أقام مع المشركين»

رواه الطبرانى ورجاله ثقات

عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ قال: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منّا»

رواه البخارى وقال حسن صحيح على شراطهما وأقره الذهبى

جوهرة فى المحدثين

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ قد كان يكون فى الأمم محدّثون فإن يك فى أمتى أحد فعمر بن الخطاب».

رواه الترمذى وقال حسن صحيح

إلى عبد لا يريد الموت فرد الله إليه عينه فقال: أرجع فقل له يضع يده على متن ثوره فله بكل ما غطت يده من شعره سنة قال: أى رب ثم ماذا قال : ثم الموت قال فالآن»

رواه البخارى ومسلم والنسائى

الملائكة لها التمثل فى شكل بنى آدم ومع هذا موجودون بشكلهم الحقيقى فى السماء فى نفس الوقت فجبريل عليه السلام تمثل لمريم الصديقة على شكل بشر، وكان فى نفس الوقت فى السماء له ستمّائه جناح فهذا مثاله لا حقيقته قال القرآن: ﴿ فتمثل لها ﴾[٣٩] فالذى فقأ موسى عينه إنما هو مثال ملك الموت لا حقيقته

جوهرة فى النفس

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ «كان إذا آوى إلى الفراش كل ليلة جمع كفيه فقرأ فيهما: قل هوالله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ من رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات، وكان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»

رواه البخارى

عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «إن لله عباداً يعامل الناس بالتوسم»

رواه البزار الطبراني في الأوسط وإسناده حسن

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾(٤٠) .

رواه الترمذي وأخرجه البخاري في التاريخ وابن أبي حاتم وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب والحكيم الترمذي والطبراني وابن عدي كلهم عن أبي أمامة وهو حديث حسن.

فيه دليل على أهل المكالمة، وأهل التوسم المكاشفون، وأنهم كثير في أمته ﷺ لأنها أشرف الأمم، وليس معنى الحديث قصر ذلك على عمر رضي الله عنه إذ أنهم كثير في الأمم قبلنا فكيف بأفضل أمة.

جوهرة في نجد

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني: مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي فقال له النبي ﷺ «اذهب فاقتله» قال: فذهب إليه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ قال فقال النبي ﷺ لعمر «اذهب فاقتله» فذهب عمر فرآه على

تلك الحالة التى رآه عليها أبو بكر قال فكره أن يقتله قال: فرجع فقال: يا رسول الله رأيته يصلى متخشعا فكرهت أن أقتله قال «يا على اذهب فاقتله قال: فذهب على فلم يره فرجع على فقال يا رسول الله إنه لحم يره فقال النبى ﷺ «إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم فى فوقه فاقتلوهم هم شر البرية»

رواه أحمد ورجاله ثقات

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «غلظ القلوب والجفاء فى المشرق والإيمان فى أهل الحجاز»

رواه مسلم

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بدنانير يقسمها وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود فتعرض لرسول الله ﷺ فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئا، ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئا، فقال: والله يا محمد ما عدلت منذ اليوم فى القسمة فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا ثم قال: «والله لا تجدون بعدى أحدا أعدل عليكم .قالها ثلاثا. ثم قال: يخرج من قبل المشرق رجال كأن هذا منهم هديهم هكذا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجع إليه. سيماهم التحليق لايزالون يخرجون حتى

يخرج آخرهم فإذا رأيتموهم فاقتلوهم قالها ثلاثا شر الخلق والخليقة قالها ثلاثا، وفى رواية «حتى يخرج آخرهم مع الدجال»

رواه أحمد بسند حسن

عن عمر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا فى شامنا، اللهم بارك لنا فى يمننا، قالوا: يا رسول الله وفى نجدنا فقال فى الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»

رواه البخارى ومالك فى الموطأ

فيه دليل على قسوة القلوب فى أهل نجد وخروج الفتن والقلاقل والجهل من هناك وخصوصا فى هذه الأيام فتجد هناك أطفال العلماء الذين يظنون أنفسهم أعلم خلق الله وهم أجهله فينتقدون على أهل الله، ويحاربون أولياء الله بما يصدرونه من كتيبات صغيرة وتكفيهم هذه الأحاديث.

جوهرة فى الحال

عن أنس بن مالك ﵁ قال. قال: رسول الله ﷺ. «الله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده

فأخذ بخطامها ثم قال: من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»

رواه الشيخان

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيرا قط إلا التوحيد فلما احتضر قال لأهله انظروا إذا أنا مت أن احرقوه حتى تدعوه حمما ثم اصحنوه ثم أذروه فى يوم راح فلما مات فعلوا به ذلك فإذا هو فى قبضة الله. فقال الله عز وجل: يا بن آدم ما حملك على ما فعلت قال: أى رب مخافتك. قال: فغفر له بها ولم يعمل خيرا قط إلا التوحيد».

رواه أحمد بسند صحيح ورواه البخارى بلفظ آخر عن حذيفة

دل الحديثان على أن أصحاب الأحوال محكومون بأحوالهم فمن كان فى سكره أو فنائه أو فرحه بالله فقال ما قال فإنه غير مؤاخذ من قبله تعالى وذلك كمن قال: أنا الله أو ما فى الجبة غير الله فهذه ألفاظ أخف بكثير ممن قال أنت عبدى وأنا ربك.

جوهرة في رؤية رسول الله صلي الله عليه وسلم

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى»

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى

فيه دليل على وقوع رؤيته ﷺ يقظة لبعض أكابر العارفين وقد ذكر ابن حجر العسقلانى رحمه الله أن ابن عباس رضى الله عنهما رأى النبى ﷺ فى النوم فبقى بعد أن استيقظ متفكرا فى هذا الحديث فدخل على بعض أمهات المؤمنين ولعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرآة التى كانت للنبى ﷺ فنظر فيها فرأى صورة النبى ﷺ ولم ير صورة نفسه وهى رؤية برزخية لا تصرف للمادة فيها.

وقال ابن حجر رحمه الله وقد نقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبى ﷺ فى المنام ثم رأوه بعد ذلك فى اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا متخوفين منها فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك.

عن قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآنى فقد رأى الحق»

رواه البخارى ومسلم وأبو داود

وذلك أن رسول الله ﷺ هو الحجاب والبرزخ الأعظم فلا يعرف أحد الله إلا عن طريق برزخيته ﷺ ومن وراء حجابه ﷺ فرسول الله ﷺ هو أكمل مخلوق تحمل جميع كمالات الأسماء والصفات الإلهية فمن رآه فكأنما رأى الله تعالى إذ أن الذات لا تدرك.

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال: سمعت النبى ﷺ يقول «لا تمس النار مسلما رآنى أو رأى من رآنى»

قال طلحة بن خِرَاش فقد رأيت جابر بن عبدالله

رواه الترمذى وقال حسن غريب

فيه أن من رأى رسول الله ﷺ من أمته رؤية تعظيم وإجلال نوما أو يقظة فإن الحديث عام أصابته هذه البشرى العظيمة وكذا من رأى من رآه ﷺ.

وقد ورد بأسانيد صحيحة أن الرؤيا جزء من ستة وأربعين، وخمسة وأربعين، وأربعة وأربعين، جزءا من النبوة، وذلك حسب من يراها من صدق الحديث وأداء الأمانة، فمن كان أصدق كان إلى النبوة أقرب وقد تكون الرؤيا الصادقة من الكافر، ومن الفاسق كرؤيا الملك والفتيين فى السجن ورؤيا كسرى وعاتكة عمة رسول الله ﷺ فى ظهور النبى ﷺ.

عن أبى رزين العقيلى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا جزء من أربعين جزءاً من النبوة والرؤيا معلقة برجل طائر مالم يحدث بها صاحبها فإذا حدث بها وقعت فلا تحدثوا بها إلا عاقلا أو محبا أو ناصحا».

رواه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح

قيل لمالك رحمه الله أيعبر الرؤيا كل أحد فقال أبا لنبوة يلعب، وقال مالك رحمه الله: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها. فإن رأى خيرا أخبر به وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت، ولا يعبرها على الخير وهى عنده على المكروه.

جوهرة في النسب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾(٤١)

رواه الشيخان

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي أبي، وخليل ربي إبراهيم ثم قرأ: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾(٤٢)

رواه الترمذي والطبري بسند صحيح والحاكم وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: «إن آل أبي ليسوا بأوليائي وإنما وليي الله وصالح المؤمنين»

رواه الشيخان

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»

رواه أحمد بسند صحيح

هذه الأحاديث جميعا تدل على أن النسب الديني أولى من النسب الطيني، وأن الأنساب الإيمانية هي المعتبرة عند الله تعالى

دون غيرها والموافقة والمتابعة توجب الاتصال كما أن المخالفة توجب الانفصال.

جوهرة فى القرآن

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو جعل القرآن فى إهاب ثم ألقى فى النار ما احترق».

رواه الدرامى وأحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير بسند حسن

أى ما احترق كلام الله المنزل القديم أما ما فى الورق من حروف فهو حادث والورق نفسه حادث، ونطقنا بالحروف حادث ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ فالذى فى المصحف هو الدال على مدلولات كلام الله القديم وإلا فكلام الله لا ينطق بلسان ولا يسمع بآذان وليس بحرف ولا نفس.

جوهرة في أصحاب المراتب

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن للمساجد أوتادا الملائكة جلساؤهم إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا فى حاجة أعانوهم».

رواه الحاكم وأحمد بسند صحيح

عن على كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ :«إنه لم يكن قبلى نبى إلا قد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وإنى أعطيت أربعة عشرة حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وأبو بكر وعمر والمقداد وعبدالله بن مسعود وأبو ذر وحذيفة وسلمان وعمار وبلال» «رضى الله عنهم جميعا».

رواه أحمد والترمذى بسند حسن

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الأبدال فى أمتى ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون»

رواه الطبرانى بسند صحيح

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل اللهمكانه رجلا»

رواه أحمد ورجاله ثقات

فيها ذكر النجباء والأوتاد والأبدال

جوهرة فى الساعة

عن جابر رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة»

رواه أبو داود والنسائى وأحمد والحاكم وصححه

ورواية الحاكم فيها زيادة «ولا يوجد عبد مسلم يسأل الله شيئا الا آتاه الله إياه فالتمسوها آخر الساعة بعد العصر».

فيه أنهم كانوا يعرفون تقسيم اليوم إلى ساعات وفيها تحديد ساعة الإجابة من اليوم.

جوهرة في العمر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث جرى عليه القلم وأمر الملكان اللذان معه أن يحفظا وأن يشددا فإذا بلغ أربعين سنة فى الإسلام آمنه الله من البلايا الثلاثة الجنون والجذام والبرص، وإذا بلغ الخمسين لين الله عز وجل عليه حسابه، وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبيه عليها، وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته ومحا عنه سيئاته، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله فى الأرض وشفع فى أهله».

رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال أحد إسنادى البزار ثقات

فيه مزية عظيمة لمن طال عمره وحسن عمله.

جوهرة فى ليلة القدر

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها حتى تصبح، أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستويه ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل لشيطان أن يخرج معها يومئذ»

رواه أحمد ورجاله ثقات

فيه علامات ساطعة لمن تحرى عن ليلة القدر ومن المعلوم أنها متنقلة فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان، جمعا بين الأحاديث الواردة فيها فمرة تأتى ليلة إحدى وعشرين وأخرى ليلة ثلاث وعشرين وهكذا.

جوهرة فى الكسوة

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها».

رواه الحاكم وقال على شرطها

دليل على أن الله تعالى يحشر بعض الصالحين وقد كساهم فليس كل الناس يكونون عرايا فى المحشر ومن غير المعقول أن يشرف الله أناسا فيحشرهم تحت ظل عرشه ثم لا يكسوهم.

جوهرة في الإمامة

عن أم ورقة بنت عبد الله الأنصارى وكانت قد جمعت القرآن «وكان النبى ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن وكانت تؤم أهل دارها».

رواه أحمد و أبو داود والبيهقى والدار قطنى وابن خزيمة وصححه

دليل على جواز إمامة المرأة للرجال المحارم، ذهب إلى ذلك داود وأبو ثور والمزنى والطبرانى أخذا بظاهر الحديث، وإلى عدم صحة إمامتها ذهب الجمهور لحديث «لاتؤمنّ امرأة رجلا» وجمع سيدى محيى الدين من عربى بين الحديثين فأجاز إمامتها إن كانت جامعة للقرآن فاضلة عالمة وإلى عدم جواز ذلك إن كانت غير ذلك.

جوهرة في التربية

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان يخرج على أصحابه المهاجرين والأنصار فلايرفع طرفه أولا إلا إلى أبى بكر وعمر، كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما خاصة وإلى سائر أصحابه عامة»

رواه الترمذى بسند حسن

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يأتى عليكم أويس...» مر ذكره

فيه التربية بالنظرة وفيه التربية الأويسية ، وهو أن يربى الشيخ مريده ولم يتلاقيا فهذا أويس رحمه الله رباه رسول الله ﷺ ولم يلتقيا.

جوهرة في المولد

روى البخارى فى صحيحه عن عروة بن الزبير «أن العباس بن عبد المطلب رأى أبا لهب فى النوم بعد وفاته فسأله عن حاله فقال لم ألق خيرا بعد كم غير أنى سقيت فى هذا بعتاقتى ثويبة وإنه ليخفف علىَّ فى كل يوم اثنين»

وذلك أن أبا لهب أعتق ثويبة جاريته لما بشرته بولادة رسول الله ﷺ وكان ذلك يوم الاثنين.

ورواها عبد الرزاق فى المصنف ورواها ابن كثير فى البداية والنهاية ورواها الحافظ البغوى فى شرح السنة، والسهيلى فى الروض الأنف .

عن ابن عباس عنهما قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح نجى الله

فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه وقال أنا أحق بموسى منكم فصامه ﷺ وأمر بصيامه»

رواه البخارى وأبو داود

عن أبى قتادة أن عمر سأل النبى ﷺ عن صوم يوم الاثنين قال: «هذا يوم ولدت فيه ويوم أنزلت علىَّ فيه النبوة»

رواه مسلم بسند صحيح

دلت هذه الأحاديث على استحباب الاحتفال بالمناسبات العظيمة والأيام المشهودة فى الإسلام.

الهوامش

(١) سورة المائدة الآية ٣٥.

(٢) سورة الإسراء الآية ٥٧.

(٣) سورة النساء الآية ٦٤.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٨.

(٥) سورة المطففين الآية ٧.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

(٧) سورة البقرة الآية ١٥٤.

(٨) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

(٩) سورة البقرة الآية ١٢٥.

(١٠) سورة آل عمران الآية ٣٨.

(١١) سورة الكهف الآية ٢١.

(١٢) سورة الكهف الآية ٢١.

(١٣) سورة الزمر الآية ٣.

(١٤) سورة التوبة الآية ٥٩.

(١٥) سورة الأنعام الآية ٥٢.

(١٦) سورة الإسراء الآية ١٥.

(١٧) سورة الأنعام الآية ١٣١.

(١٨، ١٩) سورة القصص الآية ٤٧.

(٢٠) سورة القصص الآية ٥٩.

(٢١) سورة الضحى الآية ٥

(٢٢) سورة الشعراء الآية ٢١٩

(٢٣) سورة التوبة الآية ٢٨.

(٢٤) سورة إبراهيم الآية ٤٠.

(٢٥) سورة البقرة الآية ١٣٣.

(٢٦) سورة مريم الآيتان ٤٧، ٤٨.

(٢٧) سورة إبراهيم الآية ٣٧.

(٢٨) سورة إبراهيم الآية ٤١.

(٢٩) سورة الزخرف الآية ٢٨.

(٣٠) سورة إبراهيم الآية ٣٥.

(٣١) سورة إبراهيم الآية ٣٥.

(٣٢) سورة إبراهيم الآية ٣٥.

(٣٣،٣٤) سورة التوبة الآية ١١٣.

(٣٥) سورة الأحزاب الآية ٣٥

(٣٦) سورة الأحزاب الآية ٤١.

(٣٧) سورة النساء الآية ٤٠.

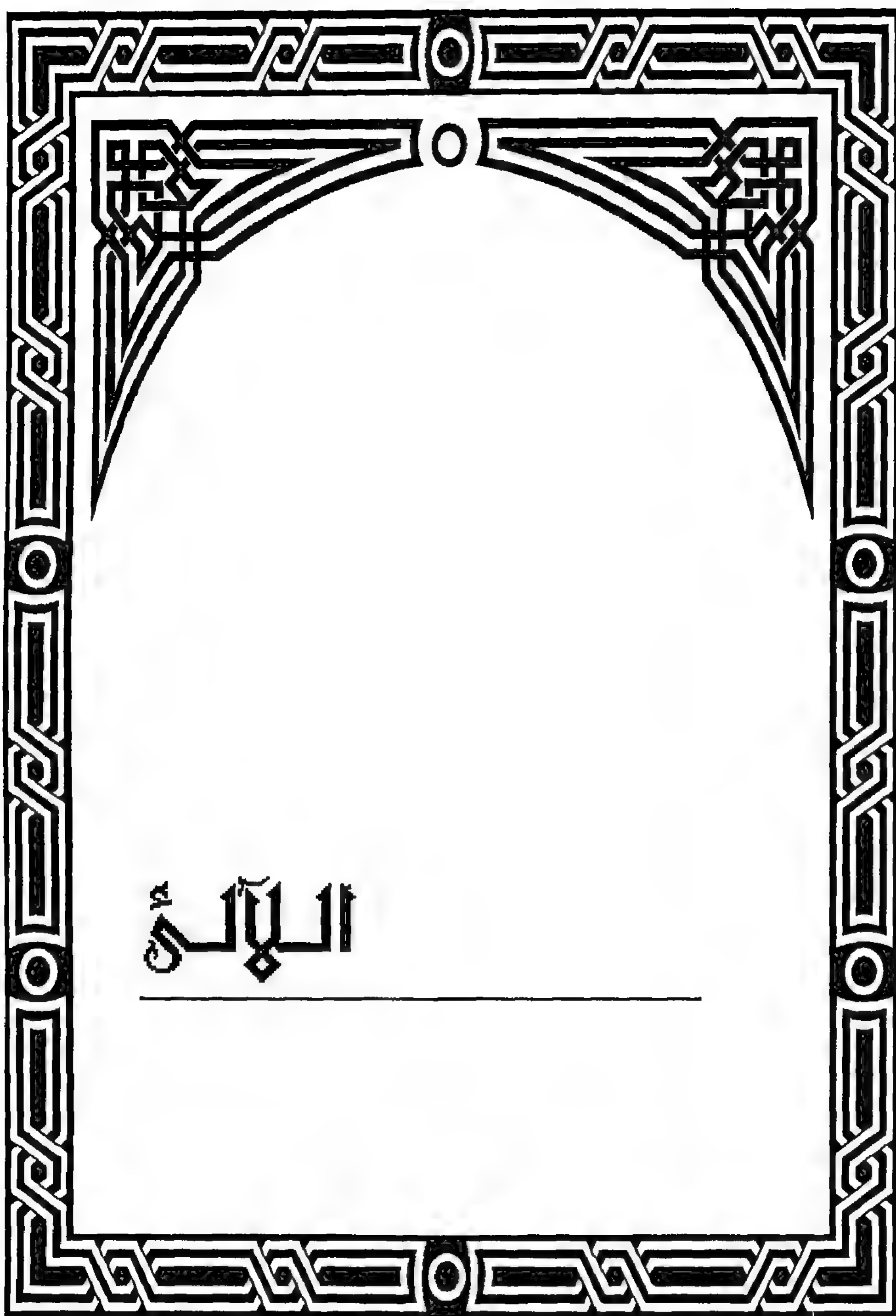
(٣٨) سورة النور الآية ٦٣.

(٣٩) سورة مريم الآية ١٧.

(٤٠) سورة الحجر الآية ٧٥ .

(٤١) سورة الأحزاب الآية ٦.

(٤٢) سورة آل عمران الآية ٦٨.



اللآلئ

لؤلؤة فى لا إله إلا الله

فمن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم معاداة أهل لا إله إلا الله، فإن لهم من الله الولاية فهم أولياء الله، وإن أخطاؤا وجاءوا بقراب الأرض خطايا ولا يشركون بالله شيئا لقيهم الله بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته. ومن حارب لله فقد ذكر جزاءه فى الدنيا والآخرة، وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدوا وأقل أحوالك إذا جهلت: أن تهمل أمره فإذا تحققت أنه عدو لله ـ وليس إلا المشرك ـ فتبرأ منه كما فعل الخليل إبراهيم عليه السلام (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان).

فالذى ينبغى لك مع أهل التوحيد أن تكره فعله إذا أتى بالمعصية ولا تكره عينه.

عن أبى أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «وعدنى ربى أن يدخل من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولاعذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى».

رواه أحمد وابن ماجه والترمذى بسند حسن

عن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف صنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة، وصنف يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوبا فيسأل الله عنهم وهو أعلم بهم فيقول: ماهؤلاء فيقولون: هؤلاء عبيد من عبادك فيقول حطوها عنهم واجعلوها على اليهود والنصارى وأدخلوهم برحمتى الجنة»

رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبى

عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه عنه قال قال رسول الله ﷺ «إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغارها فيقال له: عملت يوم كذا، كذا وكذا وعملت يوم كذا، كذا وكذا فيقول: نعم لايستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لاأراها هاهنا، قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه».

رواه مسلم والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقى بسند صحيح

أمـا عدو الله فـتكره عـينه، فـإن المؤمن العـاصى منور القلب، والكافر المحسن إنما هو مظلم الباطن منور الظاهر فقط.

قال رسول الله ﷺ «أفضل ماقلتـه أنا والنبيون من قـبلى لا إله إلا الله».

فـهذه الكلمـة تزن السموات والأرض، ومن يعمـرها غيـر الله بل تزيد، فـهى كلمـة التوحـيـد، والتوحـيـد لايماثله شئ إذ لو مـاثله شئ ماكان واحدا ولكان إثنين فصاعدا فما ثم مايزنه إلا المعادل والمماثل وماثم مماثل ولا معادل، ولايزن التوحيد إلا الإشراك ولايجتمعان فى ميزان.

يقول تعالى فى الحديث القدسى «لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع وعامرهن غيرى فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله»

وحديث البطاقة معلوم مشهور، فأهل لا إله إلا الله لاينصب لهم ميزان يوم القيامة إذ أن وزنهم معلوم وميزانهم ثقيل بلا إله إلا الله.

عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتى أمـة مرحومـة ليس عليها فى الآخرة حساب ولا عذاب إنما عذابها فى القتل والزلازل والفتن».

رواه الحاكم على شرطهما بسند صحيح وأقره الذهبى

عن أنس بن مالك قال: شق على الأنصار النواضح فاجتمعوا عند النبى ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ : مرحبا بالأنصار لاتسألونى اليوم شيئا إلا أعطيتكموه ولا أسأل الله لكم شيئاً إلا أعطانيه، فقال بعضهم لبعض: إغتنموها، وسلوه المغفرة قالوا: يارسول الله ادع لنا بالمغفرة فقال: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء لأنصار» وفى رواية ولأزواج الأنصار»

رواه أحمد والبزار بسند صحيح

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات».

رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط بسند حسن

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات» قالوا: بم يارسول الله؟ قال «الذين بدّل الله سيئاتهم حسنات».

رواه الحاكم بسند صحيح على شرطهما وأقره الذهبى

عن ابن الحنظلية رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لأنس بن مرثد الغنوى، وقد كان حرس لهم الشعب يوم حنين إلى الصباح «قد أوجبت فلا عليك أن تعمل بعدها»

رواه الحاكم بسند صحيح على شرطهما وأقره الذهبى

عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ماعلى عثمان ماعمل بعد هذه، ماعلى عثمان ماعمل بعد هذه» وفى رواية عن عبد الرحمن بن سمرة، ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم مرتين».

أخرجه أحمد والترمذى بسند حسن

فيها أن من أمة رسول الله من هو يعلم أنه مغفور له حتى قبل أن يولد فيولد محفوظا فيتعجب ربنا منه ليست له ذلك، ومنهم من يبدل الله سيئاتهم حسنات، ومنهم من قال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم. عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم».

رواه أحمد وأبو داود والحاكم بسند صحيح

وعلى الجملة فأمة رسول الله ﷺ جميعها مغفور لهم فعلوا مافعلوا، فعن ابن عباس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأجابه الله إنى قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضا، فأما ذنوبهم بينى وبينهم فقد غفرتها لهم، فقال أى رب إنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيرا من ظلمته وتغفر لهذا الظالم فأجابه الله إنى قد فعلت، ثم إلتفت إلينا رسول الله ﷺ مبتسما فقلنا يانبى الله ما أضحكك قال: إن إبليس عدو الله لما علم أن الله عز وجل قد شفعنى فى أمتى أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه»

رواها بن عبد البر فى التمهيد

لؤلؤة فى السماع

من أخلاقهم رضى الله عنهم حضور مجالس السماع المقرب إلى حضرة الحق تعالى وتواجدهم فيه عن غلبة حال.

إعلم أن للعبد حواسا خمسا ظاهرة وهى السمع والبصر واللمس والشم والذوق، ومثلها باطنة فإذا طهر حواسه الظاهرة كان من أهل الكشف، إذ تصرفت جميع حواسه الباطنة وأصبحت كل جوارحه فعالة ونابت كل جارحة عن غيرها فيسمع بعينه وينظر بأذنيه ويتكلم بعينيه وأذنيه، فأهل الله لايختص سماعهم بشئ فى الوجود دون شئ لأنه لكل كلمة فى الوجود أو حركة من الحركات معنى لطيف وسر رائق حتى أنهم يستمعون من هبوب الرياح وتمايل الأشجار وخرير الماء، وطنين الذباب، وصرير الأبواب، ونغمات الأطيار والأوتار، وصفير المزمار، وأنين المريض، وصوت الحزين، وصياح الصائح ونوح النائح مايحرك هممهم من غير تفاوت هذه الأمور بعضها على بعض من حيث موافقة الطباع فقط.

وصنف الإمام الحافظ أبو فضل محمد بن طاهر بن على المقدسى فى السماع كتابا ونقض أقوال من قال بالتحريم وجرح النقلة للحديث الذى أوهم التحريم وذكر من جرحهم من الحفاظ واستدل على إباحة السماع واليراع والدف والأوتار بالأحاديث الصحيحة وجعل الدف سنة، قال الشيخ عبد الغفار القوصى رضي الله عنه ، وقد قرأت ذلك على الحافظ شرف الدين الدمياطى وأجازنى به جماعة من

الحفاظ كأبى طاهر السلفى الأصبهانى بسماعه من المصنف، وقال: لافرق بين سماع الأوتار وسماع صوت الهزاز والبلبل وكل طير حسن الصوت فكما أن صوت الطير مباح سماعه فكذلك الأوتار، وسئل الشريف أبو محمد الهاشمى عن السماع فقال: ماأدرى ما أقول فيه ولكن حضرت فى دار شيخنا أبى الحسن التميمى سنة سبعين وثلاثمائة، وقد عمل دعوة دعا فيها أبا بكر الأبهرى شيخ المالكية، وأبا القاسم الداركى شيخ الشافعية،وطاهر بن الحسين شيخ الحديث، وأبا الحسن بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد، وابن مجاهد شيخ المتكلمين وأبا بكر الباقلانى، وأبا الحسن شيخ الحنابلة فقالوا لشخص حسن الصوت: أسمعنا شيئا فأنشد لهم شعرا من جملة:

خطت أناملها فى بطن قرطاس — رسالة بعبير لا بأنفاس
أن زر فديتك لى من غير محتشم — فإن حبك لى قد شاع فى الناس
فكان قولى لمن أدى رسالتها — قف لى لأسعى على العينين والراس

قال الشريف الهاشمى رضي الله عنه فبعد أن رأيت هؤلاء الأشياخ يسمعون لايمكننى أن أفتى بمنع السماع. فإن هؤلاء مشايخ العراق حتى لو سقط السقف عليهم لم يبق فى العراق من يفتى فى حادثة، وقد كان الشيخ عبد الرحيم القناوى، والشيخ أبو الحجاج الأقصرى وغيرهما من الرجال يستمعون ويهيجون كهيجان الجمال. ويصير أحدهم يقول ياحبيبى ياحبيبى وهو دائر لايشعر بأحد من الخلق. وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام إذا سمع شيئا من أشعار القوم

يهتز ويتواجد أشد مايكون التواجد ومرة تواجد فألقى جبة كان يلبسها على القوال فلما انتهى السماع قام القوال ليرد عليه جبته فقال الشيخ من قتل قتيلا فله سلبه.

وهذا كله في سماع القوم الذي يقرب إلى حضرة الحق تعالى أما السماع المعروف في هذه الأيام فكله لايسلم من الآفات وهو أقرب مايكون إلى الحرام.

لؤلؤة في الظلم

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم عدم رضائهم بالظلم. فالراضي بالفساد حكمه حكم المفسدين. بل ويأخذون للمظلومين حقهم من الظالمين إن استطاعوا وإلا دعوا على الظالمين حتى يؤذيهم الله تعالى فيسبب لهم من يؤدبهم ويأخذ حق المظلومين منهم.

وقد خاطب الله اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ بقوله: ﴿ **قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين** ﴾[1] وهؤلاء لم يقتلوا الأنبياء السابقين إنما قتلهم أجدادهم وأسلافهم. فلما رضوا بفعل أسلافهم فكأنهم قتلوهم بأيديهم فاستحقوا الخطاب والتوبيخ، وكذلك إخبار الله عن المنافقين قولهم ﴿ **لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾[2] وإنما وقع ذلك من عبد

الله بن أبى بن سلول. فلما رضى المنافقون من أصحابه بقوله أخبر الله عنهم بالقول: وقال الإمام مالك رضي الله عنه لما أرسل إلى أبو جعفر المنصور دخلت عليه فرأيت النطع بين يديه والسيوف مسلولة وهو يعاتب ابن طاوس على أمور، ثم قال له ناولنى الدواة فأبى فقال: مامنعك فقال خشيت أن أكون شريكا لك فيما تكتب، قال الإمام فضممت ثيابى مخافة أن يصيبنى من دمه، ثم قال اذهب إلى حال سبيلك فلم أزل أعرف ذلك لابن طاووس.

ولم يرضوا بظلم حتى البهائم والجمادات، فكان سيدى عبد العزيز الدرينى لايحمل سوطا قط إذا ركب دابته ويصير يردها بكم قميصه ويقول إن عبد العزيز هيهات أن يقدر على ضربه بكم القميص فإن من ضرب دابته أو نخسها فلابد أن يقتص منه لها، وقال الإمام الجنيد رحمه الله وضعت مرة كوزا على الأرض فسمعته يقول آه فمن يومها لم أظلم جمادا بل أعامله معاملة من به حياة إذ أنه شئ وقد قال تعالى ﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده﴾(٣).

لؤلؤة فى الغيبة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم التوبة فورا إذا جرى على قلوبهم غيبة أحد فإن الغيبة كما تحرم باللسان كذلك تحرم بالقلب وفى

الحديث «إن الله حرم من المسلم دمه وماله، وأن يظن به ظن السوء» وهى أن تذكر أخاك بما يكرهه فى غيبته وإن كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا فى عقله أو فى نفسه أو فى فعله أو فى نسبه أو فى داره أو فى دابته أو فى ولده أو شئ مما يتعلق به، حتى قولك فلان يغتاب الناس أو كبير العمامة أو يحب من يعظمه، وقد دخل مرة طبيبان كافران على سفيان الثورى رضي الله عنه فلما خرجا من عنده قال لولا أن تكون غيبة لقلت أن أحدهما أطب من الآخر، وهى باللسان أو بالقلب أو بالإشارة أو التعريض أو المحاكاة.

أما حديث رسول الله ﷺ : «لاغيبة فى فاسق» فقد قال العلماء: أن لا هنا معناها عدم جواز الغيبة حتى لو كان فاسقا.

ومذهب عائشة رضى الله عنها وجوب الوضوء من الغيبة وكانت تقول يتوضأ أحدهم من أكل طعام حلال ولايتوضأ من الغيبة.

لؤلؤة فى الصدقة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم شهودهم فضل من قبل منهم صدقة أو زكاة أو هدية حتى أنهم لو قبلوا نعله ماوفوا حقه لأنه كان سببا للخير الذى حصل لهم سواء كان دنيويا بإطلاق ألسنة الناس

بالمدح والدعاء لهم أو أخرويا برضاء الله عليهم، فإذا تصدقوا على أحد وجدوا أنه المحسن عليهم لأنه لما قبل منهم صدقتهم كان سببا لطهارتهم من ذنوبهم وإلا لبقيت عليهم ذنوبهم، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تطيب صدقتها قبل إعطائها للفقير وتقول: إنها تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يده. قال تعالى ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات**﴾(٤) ومنهم من كان يجعل يده تحت يد الفقير وهو يعطيه الصدقة ويقول اليد العليا هى يد الآخذ واليد السفلى هى يد المعطى.

لؤلؤة فى النظر

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم غض الطرف عن رؤية النساء ومايلحق بهن أدبا مع الله تعالى من حيث كونهم فى داره وتحت أمانته لالعلّة أخرى من خوف عقاب أو فوت ثواب فضلا عن وقوع محرم وتشتت القلب برؤيتهم، ومن تأمل بعين الإيمان الحقيقى وجد الدنيا كلها دار الحق جل جلاله وجميع مافيها من الحريم إماؤه وعبيده فمن نظر إلى واحدة منهن بغير حق فقد خان ربه وعصاه فى حضرته.

ومن اعتنى الله تعالى به أدبه عن النظر على الفور، ومن لم يحصل له التأديب على ذلك فليس هو عند الله بمكان، وإذا وجدوا فى صدورهم ضيقًا فتشوا فى أنفسهم فربما وقعوا فى ذنب، ولم يحفلوا به فنبههم الله بذلك الضيق ليتوبوا ويتذكروا.

لؤلؤة فى السمع والبصر واللسان

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم غيرتهم على سمعهم أن يسمعوا به كذبا أو غيبة أو نميمة أو باطلا لكونهم يسمعون بها كلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ وكلام الأئمة رضي الله عنهم عنهم، وكذايغارون على بصرهم أن ينظر إلى محرم بعد النظر فى كتابه تعالى وفى سنة رسوله ﷺ، وكذا يغارون على ألسنتهم أن تتكلم بالكذب والزور والبهتان واللغو بعدما قرأت كلامه تعالى وتفوهت بكلام رسوله ﷺ.

فإن استعمال العضو فى الأشياء الشريفة وهو نجس قذر فى غاية سوء الأدب، ولذا شرع الوضوء قبل الصلاة لينقى السمع والبصر واللسان من الذنوب والمعاصى قبل الدخول فى حضرة الله تعالى.

واعلم أنهم لم يختلفوا فى كفر من وضع شيئا من كلام الله أو كلام رسوله ﷺ فى القاذورات ومن تأمل وجد القذر المعنوى

كالقذر الحسى أو أشد، فكانوا لايذكرون الله تعالى بلسان عصوا الله به إلا بعد التوبه الشرعية، وكذا لايجيبون مؤذنا ولا يقرأون حديثا إلا بعد حصول التوبة.

لؤلؤة فى المنازل العالية

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم سؤالهم المنازل العالية فى الجنة إلاّ إذا وطنوا أنفسهم على الصبر على البلاء فإن البلاء، مقرون بذلك.

ولا يسألونه القرب منه إلا بعد إتقانهم الشرع الشريف قولا وعملا وظاهرا وباطنا، فإن من يسأل الله تعالى الدرجات العلى والقرب منه تعالى وأن يجعله من أهل حضرته بغير اشتغال منه بما كلفه به من الأمور الشرعيه من قيام ليل وصيام نهار وكف جوارح عن المعاصى، مثل رجل فلاح حاف جاء مكشوف العورة يتمنى على السلطان أن يزوجه بنته أو يجعله وزيرا وذلك أبعد مايكون، أين المقام من المقام؟ بخلاف مالو كان مثل الوزير الأعظم فقد يجاب إلى ذلك لكونه أصلا من أهل حضرة السلطان.

والذين سألوه تعالى فقالوا ﴿ **واجعلنا للمتقين إماما** ﴾(٥) ماسألوا ذلك إلا بعد أن أتقنوا مقام التقوى أما من لم يتقن هذا المقام فغايته أن يسأله سبحانه وتعالى أن يجعله من المتقين لا إماما لهم.

لؤلؤة في الخبز

ومن أخلاقهم رضى اللهعنهم إعطاؤهم الخبز حقه من الإكرام والتعظيم والتقبيل ووضعه على العين حتى تدوم نعمه عليهم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ مرة فرأى كسرة يابسة في جدار البيت وقد علاها الغبار فأخذها وقبلها ووضعها على عينيه وقال «ياعائشة أحسني مجاورة نعم الله عز وجل فإن النعمة قلما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم »وكان سيدى عليا الخواص يقول: إياكم أن تضعوا الخبز على الأرض من غير حائل فإن فيه احتقاراً لنعمة الله عز وجل فإن تعظيم نعمة الله من تعظيم الله تعالى.

لؤلؤة في النجاة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم ظنهم النجاة في طاعة من الطاعات بعد أن سمعوا قوله تعالى ﴿ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ﴾[٦] إذ لو تأمل العبد لوجد نفسه جاهلا بما يؤل أمره إليه من سعادة أو شقاوة لكثرة مزلات الأقدام التى يؤاخذ بها العارفون لاسيما من سلك الطريق على غير نور الشرع، ومن هنا

قالوا لابد للسالك من نورين يمشى بهما فى الطريق وهما نور الشرع ونور البصيرة.

قال الله تعالى ﴿نور على نور﴾ ولو كان مع العبد نور واحد منهما لما سعد إذ لاسعادة إلا بإجتماعهما، أما حفظ الشرع بغير خلق البصيرة أى الملكة التى يكون معها التوفيق فلا شرف فى ذلك، وقد رأى شخص مالك بن دنيار رضي الله عنه وهو يتبختر فى الجنة فجاء إلى مالك ليبشره فقال له: أما وجد إبليس أحدا أحقر فى عينه منى ومنك ليسخر به.

لؤلؤة فى التواضع

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم تصويبهم لمن زهد فى صحبتهم وفارقهم، فيقولون: فلان قد أصاب فى مفارقة أمثالنا خوفا من أن ينظر منهم فعلا فيتبعهم عليه، وهم يعلمون قطعاً أنهم غير معصومين من الزيغ، وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول: من كمال الفقير أن يطالب نفسه بحقوق الناس ولايطالب الناس بحقه هو، فلا ينبغى لفقير أن يطالب أحدا قط بالتردد إليه احتقارا لنفسه وتعظيما لإخوانه.

وكان سيدى على الخواص رحمه الله من أشد الناس نفرة ممن يقبل يده ويقول: تقبيل اليد إنما يكون لمن كان على قدم الاستقامة

مع الله تعالى ليلا ونهارا، وكان إذا قبل أحد يده كاد أن يذوب من الخجل وهذا مادرج عليه السلف الصالح وقد رأينا من يمد يده للناس ليقبلوها وذلك من السذاجة أو التكبر إذ مالت نفسه إليه ويتكدر أحدهم من عدم تقبيل الناس يده على عادتهم، بل شهدوا أنفسهم دون كل جليس مسلم جالسهم كشفا وذوقا،لاتواضعا منهم، فإن لفظ التواضع يدل على أن صاحبه أثبت لنفسه مقاما عاليا ثم تنازل منه إلى جليسه، فإنهم كلما ارتفعوا فى المقام ظهر لهم حقارة نفوسهم وكمال غيرهم حتى يرونها فى أسفل سافلين فلو أقام أحدلهم الأدلة على أنهم أعلى مقاما ماصدقوه وما أخرجهم ذلك عن شهودهم لحقارة نفوسهم فمن جلس مجلسا ظن نفسه أعلى من جلسائه أو حتى مساولهم فذلك أكبر من مثقال ذرة من كبر التى ذكرها رسول الله ﷺ وأقسم «أن لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»، بل كانوا رضى اللهعنهم يشهدون أنفسهم دون من أرشدوه من المريدين فى المقام، لأن المريدين مشايخ مشايخهم بالحال والمشايخ مشايخ بالقال، والحال أقوى من المقال وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول: من شرط الشيخ أن لايرى بيده ضرا ولانفعا دون الله تعالى فيسلك بالناس ويرشدهم ولا يشهد له مدخلا فى هدايتهم إلا بمعنى الدلالة فقط على وجه الشكر لله تعالى ﴿**إنك لاتهدى من أحببت**﴾ بل كانوا يخدمون المريدين بأنفسهم ويقومون على حوائجهم ومصالحهم، بل كانوا رضى اللهعنهم يعدون أنفسهم من جملة العصاة على الدوام ولايتكدرون بمن ينفى كونهم من الصوفية لعلمهم وشهودهم بعدهم

عـمـا كـان عليـه السلف الصـالح رضى الله عنهم من الزهد والورع والخوف وكان الحسن البصرى رضي الله عنه إذا قيل له ماتقول فى كذا يافقيه يقول: والله إن زمانـا صار مثلى ينادى فيه بالفقيه لزمان سوء، وسئل الجنيد مرة عن مسألة فى التصوف فقال: هذا علم قد طوى بساطه منذ ثلاثين سنة، وقال سيدى على الخواص رضي الله عنه: إياك أن تعتقد ياأخى إذا طالعت كتب القوم وعرفت مصطلحهم فى ألفاظهم أنك صرت صوفيا إنما التصوف التخلق.

لؤلؤة فى التعظيم

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم تعظيمهم الناس بحسب دينهم وماهم عليه من ذل النفس لابحسب ثيابهم وأشكالهم، فإن المتكبرين أسفل من الناس درجة وقد قام سفيان رضي الله عنه مرة لإنسان يعرفه وكان عنده شخص فقام لذلك الإنسان، فقال له سفيان لم قمت لهذا الرجل هل تعلم حاله فقال إنما قمت تبعا لك فقال: لاتفعل ذلك بعد اليوم، وقد قال الشيخ محيى الدين بن عربى رضي الله عنه: إنما تعرف مراتب الناس عند الله تعالى بطريقين أحدهما الكشف، والثانية بكثرة طاعاته، وكانوا رضى الله عنهم يعظمون الفقير الخامل الذكر مع الاستقامة أكثر من الفقير المشهور بالكرامات وذلك لأن الدنيا ليست بدار نتائج ولكنها دار تكليف.

لؤلؤة فى التعوذ

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم شهودهم عجزهم عن رد كيد إبليس عن أنفسهم فضلا عن رد كيده عن مريديهم، إذ لا يرد كيده عند سماع اسمه إلا من كان عمرى المقام وذلك عزيز، وقد علموا أن الحق تعالى لولا أنه علم قوة تسليط إبليس على الإنس ماخوفنا منه ولا أمرنا أن نستعيذ بالله منه ولو أن أحدا من الخلق كان يكفى أن نستعيذ به منه لأمرنا تعالى أن نستعيذ برسول الله ﷺ أو بجبريل أو غيرهما من الأكابر ولكن علم تعالى عجز الخلق عن رد كيده إلا مع استعاذتهم بالله عز وجل، قال تعالى لسيد الأولين والآخرين ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[٧] وفى البخارى أن رسول الله ﷺ أخبرهم بعد صلاة صلاها أن الشيطان عرض له فقال «فأمكننى الله منه» فانظر إلى أدبه ﷺ إذ لم يقل فتمكنت منه» أو «فأمسكته».

لؤلؤة فى المحبة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم محبتهم لكل من انتسب إلى هذه الطائفة الصوفية فلا يكرهون أحدا منهم وهذا الخلق قليل فى فقراء هذا الزمان فترى أحدهم يكره من يراه من جماعة أحد من الأشياخ

غير شيخه وينظر أحدهم إلى أخيه شزرا واحتقارا كأنه فى دين غير دينه ويود أن لايظهر لغير شيخه اسم فى البلد، وذلك كله من رعونات النفوس ودليل على عدم ذوق أحد منهم رائحة أدب أهل الطريق، وكذلك محبتهم لمن هو أكثر طاعة منهم أكثر من محبتهم لأنفسهم لأنهم علموا أن كل من كان أكثر طاعة فهو أحب إلى ربهم منهم، ومن أدب كل عبد أن يحب من يحبه سيده، وكذا تنشرح صدورهم إذا سمعوا الناس يقولون عن تلامذة أحد من أقرانهم أنهم على قدم عظيم وأن شيخهم الوارث دونهم، وقال الشيخ أفضل الدين رحمه الله: من علامة المرائى أن لاينشرح لكثرة المتقين إلا إن كانوا تلامذة له.

لؤلؤة فى الزهد

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم وقوفهم عند الحكام لفض المنازعات لأن الدنيا أهون عندهم من أن يقفوا لأجلها على حاكم أو قاضى بل ويستحى أحدهم أن يكذب مسلما فيما ادعى لنفسه من حقوقهم وهم لايرون لهم ملكا أصلا فلو أن الدنيا بحذافيرها كانت فى يديهم وأخذها منهم أحد لم يتغير منهم شعرة ولم يتبعوها نفوسهم وكأنما أخذ منهم حصاة من الأرض، وهذا خلق من أخلاقه تعالى.

إذ لو أن الدنيا تساوى عنده جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء، فإذا وزع جناح البعوضة على أهل الدنيا فانظر حقارة نصيب كل واحد منهم، فهم يرجون محبته تعالى لما تركوا ماهو أقل من جناح بعوضة وزهدوا فيه لقوله ﷺ : «ازهد فى الدنيا يحبك الله» ولايتحقق من هذا المقام حتى لايرى أنه زهد فى شئ يدركه العقل من قلته، وأما من حيث كون ذلك نعمة من الله تعالى فيرى الذرة من الرزق كالجبل العظيم، وليعلم من زهد أنه مازهد فيما هو رزق له فلو كان الذى زهد فيه رزق له لوصل إليه، فهو إنما زهد فيما لم يقسم له فالزهاد لايرون أنفسهم زهدوا فى شئ ، بل يرون أن الله تعالى زوى عنهم الدنيا إعتناءا بهم حتى لايشتغلوا عنه بشئ . وهناك فرق بين من يزهد فى الدنيا من المحجوبين ليحصل لهم الثواب ومن يزهد فيها ليجالس رب الأرباب.

وقد قال سيدى إبراهيم المتبولى: من زهد فى الدنيا ليوسع على إخوانه فيها فقد وقع فى مزاحمتهم فى الآخرة من حيث كثرة الثواب. فالذى فرمنه فى دار الفناء وقع فيه فى دار البقاء ولكن الشأن هو الزهد فى الدنيا والآخرة تجرداً لله تعالى.

والزهد فى الشئ هو الزهد فى الميل إليه بالمحبة بغير إذن من الله تعالى لا الزهد فى إمساكه، وفى الحديث. «ليس الزهد بتحريم الحلال ولكن الزهد أن تثق بما فى يد الله أوثق مما فى يدك» ثم بعد ذلك فإن الزهاد يمسكون الدنيا على وجه الأدب مع الله تعالى للحكمة

التى جعلها فى إمساكها «الاقتصاد نصف المعيشة» لاحبا فى ذاتها، ثم بعد أن يمسكوا الدنيا عن إذن الله تعالى فهم ﴿ **رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**﴾ (٨).

لؤلؤة فى البلاء

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم كثرة تحملهم للبلايا والمحن، وكذا تحملهم حسد الحاسدين وحقد الحاقدين، لعلمهم أنهم ماحسدوهم إلالعلمهم بأنهم أرفع منهم درجة وهذا الخلق إنما هو وراثة إلهية حيث صبر الله تعالى على أذى خلقه لما نسبوا له الزوجة والولد وحتى قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء.

وقد ناظر بعض العباد إبليس فقال إبليس أنا أعلى مقاما منكم فكل الوجود يلعننى ويحقرنى ويسبنى وأنا صابر على حكم الله تعالى لم تتغير منى شعرة، وأحدكم إذا قام عليه أهل مدينته ورموه بالعظائم تنغصت معيشته وسارع إلى طلب براءته مما نسب إليه ولم يكتف بعلم الله فيه.

ثم هم يشكرون الله تعالى على ماصبرهم على تحمل أذى الخلق ولايشتغلون قط بمقابلتهم بل يعذرونهم فإنهم ماآذوهم إلا وهم فى

غفلة عن كونهم عبيد الله وفى حضرة الله وعن كون الحق تعالى نهى عن ذلك فلو أنه تعالى من على مثل هؤلاء بأخلاق الصالحين لكانوا على العكس من ذلك (وقال سيدى على الخواص رضي الله عنه: من علامة القطب فى كل زمان تحمله للبلايا والإنكار عليه فإن جميع بلاء الأرض ينزل عليه أولا، ثم يتفرع منه إلى الإمامين، ثم إلى الأوتاد الأربعة، ثم إلى الأبدال السبعة، وهكذا إلى آخر الدائرة فإذا فاض عنهم شئ وزعوه على المؤمنين بحسب مقامهم قال تعالى ﴿**وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا**﴾ (٩) فما بلغوا مقام الإمامة إلا بعد مبالغتهم فى الصبر وتحمل الأذى).

وقد مات رسول الله ﷺ مسموما، وكذا أبو بكر رضي الله عنه. ومات سيدنا عمر رضي الله عنه مقتولا، وكذا سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وكذا سيدنا على كرم الله وجهه، ومات سيدنا الحسن رضي الله عنه مسموما، ومات سيدنا الحسين مقتولا، وكذا سيدنا عبد الله بن الزبير، وكذا الإمام زين العابدين، ومات سيدنا عمر بن عبد العزيز مسموما، وآلاف الأنبياء قد قتلوا فى بنى إسرائيل، ونشر زكريا عليه السلام بالمنشار.

(وقد قال سيدى أبو المحاسن الشاذلى رضي الله عنه : لايكمل عالم فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع، شماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء، فإن صبر على ذلك جعله الله تعالى إماما يقتدى به، واعلم أنه لولا الكلام فى عرض خواص هذه الأمة من العلماء والصالحين لعبدوا من دون الله لكثرة أنوارهم ومايظهر

عليهم من الخوارق والكرامات، وحتى يأتى العلماء موفوروا الأجر فى الآخرة لم يأخذوا منها شيئا فى الدنيا، فإن غالب من يعتقده الناس ويعظمونه بتقبيل الأيدى والأرجل حكمه حكم من نصب منجنيقا ورمى حسناته شرقا وغربا ولذلك كان سيدى أبو يزيد رضي الله عنه لايقيم إلا فى موضع الإنكار عليه وكل مكان اعتقدوه فيه تحول منه).

(وهم رضى الله عنهم لايشتغلون بمقابلة من آذاهم ولاتنقيص من نقصهم إنما يرجعون إلى تفتيش أنفسهم ويكثرون من الاستغفار ويشهدون أنفسهم جالسين بين يديه تعالى، وهو يرى صنيع عبيده فيهم إذ فى تسليط الخلق على العبد رحمة فى صورة نقمة، وأنه ماسلطهم عليه إلا ليرجع العبد لله تعالى ويلتجئ إليه، وهم لاينتصرون لأنفسهم ولايؤاخذون من آذاهم بل ينتصر الله لهم بغير تعمد منهم ولادعاء منهم عليه، بل ويبعث بالهدية لمن آذاه ويقول له: هدية بهدية، أهديت لنا حسناتك يوم القيامة فما أقل مانهديك اليوم من متاع الدنيا، بل إن الواحد منهم يحب من آذاه أكثر من حبه لمن يعتقده لأن من آذاه أكثر نفعا فى الآخرة فكان الواحد منهم يجهده أن يكره أحدا ممن يؤذيه، فلا يستطيع وأقل درجة من هذا المشهد مشهد من كان عنده المدح والذم سواء، ومن قال له قبحك الله كمن قال له جزاك الله خيرا، وذلك لشهودهم أن كل ذلك من الله تجل عليهم، وكانوا رحمهم الله يشفقون على من يؤذيهم خوفا على دينه أن ينقص بسببهم فيقابلونه باللفظ دون القلب فيزجرونه حتى ينتهى وقلوبهم فارغة من التشفى منه بل قلوبهم تدعوا له بالهداية

والصلاح، وهم وإن كانوا لاينتصرون لأنفسهم فهم ينتصرون لله غيرة للحق تعالى من حيث تعدى من يؤذيه حدود الله تعالى فيصيب كل من آذاه أو آذى من ينتسب إليه بالعطب وذلك بنية كف أذاه عن الناس ورحمة به فيعاقبه الله بما آذى به أولياءه فى الدنيا فيخفف عنه فى الآخرة وذلك كدعاء الرسول ﷺ على رعل وذكوان.)

(أما الضعفاء فقد نفس الله عليهم حين قال ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ (١٠) انظر إلى قوله سيئة مثلها أى كونك تقتص هى أيضا سيئة ثم ختم الآية بقوله ﴿**فمن عفا وأصلح فأجره على الله**﴾(١١) ولما علم الكاملون أن نشأتهم فى هذه الدار مجموعة من أضداد وأنه لم يرمهم قط أحد بشئ إلا وهو فيهم من أصل تلك النشأة لم يتكدروا ممن رماهم لأنه مارماهم إلا بما هو فيهم ظهورا أو كمونا) .

وهم رضى الله عنهم قد تصدقوا بأعراضهم على الناس وسامحوهم وعفوا عنهم إكراما لله عز وجل من حيث كونهم عبيده، ثم إكراما لنبيه ﷺ من حيث كونهم من أمته لالعلة أخرى، وهذا فى حقوقهم أما حقوق الله فلايتسامحون فيها فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ومحمد بن سيرين رضي الله عنه أنهما كانا لايسامحان من اغتابهما ويقولان إن الله تعالى قد حرم أعراض المؤمنين فلانبيحها، ولكن غفر الله لك ياأخى، وذلك أن المعصية فيها حقان حق للخلق وحق للخالق، وإعلم أن التنقيص والحسد وغير ذلك لايأتى من أهل المحبة وإنما يأتى من المعتقدين والأعداء، والفرق بين المحب والمعتقد أن المحب يحبك على كل حال، أما المعتقد فهو اعتقدك مادمت على

الصراط المستقيم فإذا رأى منك خللا فى دينك أو انقطعت عنه كرامتك نفر عنك وصار يتكلم عليك.

وأعجب من ذلك سماحة نفوسهم بمقاسمة أعدائهم حسناتهم فى الآخرة وأموالهم فى الدنيا فضلا عن أحبابهم، بل بأن يأخذ هؤلاء الأعداء حسناتهم كلها، وأن يلقوا الله تعالى صفر اليدين ماعدا الشهادتين معتمدين على فضل الله ورحمته فكما أهدى من انتقصهم فى الدنيا حسناته لهم فى الآخرة، فهم أيضا يهدون له حسناتهم فهو أحسن إليهم كرها وهم أحسنوا إليه طوعا بطيبة نفس، وصاحب هذا المشهد يرى أن من أساء إليه أحق بحسناته ممن أحسن إليه لأن من أحسن إليه قد يبخل عليك بحسناته يوم القيامة بعكس من أساء إليك، وكان أحدهم يقول لو قاسمت أعدائى فى حسناتى لا أرى بذلك فضلا عليهم إنما أرى الفضل لهم إذا أنهم هم الذين بدأوا بالفضل ومن أولياء الله تعالى من يجرى الله تعالى له أجر إيذاء الخلق بعد موته فيتوارث بغضه خلف عن سلف فترى أحدهم يسبه ويلعنه تبعا لوالده ولايكون هو ولا والده قد رآه أصلا).

لؤلؤة فى المكر

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم أمنهم من مكر الله تعالى فى ساعة من ليل أو نهار، فإنه تعالى لايدخل تحت التحجير وله حضرة

تسمى حضرة الإطلاق يفعل فيها مايشاء كما أن له حضرة تسمى حضرة التقييد لايخلف فيها الميعاد.

لؤلؤة فى النوم

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم شدة كراهيتهم للنوم على حدث أكبر أو أصغر على الجسد أو باطن من حقد وحسد وغل وسوء ظن، كل ذلك مراعاة للأدب مع الحضرة التى تنتقل إليها الروح بعد النوم فإياك أن تنام على حدث ظاهر أو باطن من محبة الدنيا وشهواتها فربما أخذ الله تعالى بروحك تلك الليلة فتلقى الله تعالى وهو عليك غضبان بحسب قبح ذلك الذنب الذى نمت عليه.

وكانوا رضى الله عنهم يكرهون النوم فى الثلث الأخير من الليل أشد من كراهيتهم للمعاصى الظاهرة لما ورد من نزول الله تبارك وتعالى فيه، وذلك أن الموكب الإلهى ينصب تارة من نصف الليل وتارة من الثلث الأخير إلا ليلة الجمعة فإنه ينصب من غروب الشمس إلى خروج الإمام من صلاة الصبح ويرون ذلك من أكثر النعم ويقولون ومن أين لمثلنا أن يوقفه الله تعالى بين يديه فى الظلام مع أوليائه وأصفيائه، وإن لم نلحق بهم فإن صفوف المواكب الإلهية

على هيئة صفوف فى تلك الساعة فيقف الأكبر فى حضرة الشهود الكبرى ثم الذين يلونهم إلى آخر من يحضر.

لؤلؤة فى التحمل والسلب

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم كثرة تحملهم للمصائب التى تنزل بإخوانهم رحمة بهم وشفقة عليهم فيقولون يارب مانزل بفلان من مصيبة فارفعه عنه أو فأنزله بى أنا أو يكثرون من الاستغفار أو يدعون له باللطف فيما نزل به وللمتحمل شروط يجب أن يراعيها أثناء تحمله:

١ - التخلق بوصف الذل والانكسار فلا يرى نفسه فوق أحد.

٢ - كثرة ملازمة الوقوف فى المواكب الإلهية ليلا ونهارا وذلك بين الآذان والإقامة وحين يدخل نصف الليل الاخر.

٣ - صدق الالتجاء إلى الله تعالى وعدم مشاركة أحد من الفقراء معه فى ذلك التحمل.

٤ - أن يأمر المتحمل صاحب المصيبة بكثرة الاستغفار حتى تخف المصيبة.

٥ - أن يصدق صاحب المصيبة فى توجهه إلى ذلك الفقير ويثق بمكانته عند الله تعالى وأن المصيبة أو الحاجة ستقضى على يديه.

٦ ـ أن لايقبل الحامل هدية ولايأكل عند المحمول طعاما.

٧ ـ كف جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل محرم ومكروه وخلاف الأولى أثناء التحمل.

٨ ـ عدم تناول شئ من شهوات النفس المباحة فضلا عن المكروه أيام التحمل.

٩ ـ أن يكون صائما مدة التحمل.

١٠ ـ أن يكون المتحمل ممن لم يخرق بصره إلى الدار الآخرة فإن من خرق بصره إلى الدار الآخرة واطلع على مافى ذلك البلاء من الأجر والثواب لصاحبه لصار يطلب دوام ذلك البلاء عليه فتصير همته فاترة فى طلب رفع ذلك عنه.

١١ ـ أن لايرى لنفسه فضلا على من تحمل عنه ذلك البلاء بل يرى أن الفضل كله للمحمّل عنه.

وممن روينا عنه أنه كان إذا نزل بالمسلمين هم أو بلاء يمرض له أياما السيد عمر بن خطاب والسيد عمر بن عبد العزيز والشعبى رضي الله عنه عنهم أجمعين.

والأصل فيه قوله ﷺ «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم وقوله ﷺ: مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وكان سيدى على الخواص رضي الله عنه يقول من ضحك وجامع زوجته

أو لبس ثوبا مبخرا أو ذهب إلى مواضع التنزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء.

وهم يتوجهون فى قضاء الحوائج إلى أصحاب التصريف أولا فإن قضوها وإلاّ توجههوا فى قضائها إلى رسول الله ﷺ فإن لم تقض توجهوا بها إلى الله تعالى ،فإن لم تقض أكثروا من الاستغفار وعلموا أن المحل ماهو قابل، أو أن من سألهم قضاء حاجة لايستحق قضاء تلك الحاجة.

ومع تحملهم رضى الله عنهم فهم أصحاب تصريف وسلب لكل من أساء الأدب، والسلب هو سلب الإيمان والعلم وغيره من الطاعات جميعها أو سلب شئ واحد من ذلك أو سلب الصحة أو سلب الحياة وذلك على قدر سوء الأدب الذى ارتكبه المسلوب، ولايقدر على السلب إلا أصحاب التصريف من الأولياء رضى الله عنهم، قال رسول الله ﷺ «إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم» وأصحاب التصريف غالبا هم أصحاب ستر وتخف لايعلمهم أحد لضعفهم الظاهر بين الناس فهم أصحاب ضعف وذل ومسكنة وإذا اشتغلوا فإنهم يشتغلون بحرف قد يحتقرها كثير من الناس سترا على حالهم، وغالبا يكون سلبهم للعلماء والأولياء لا للعامة، وسبب السلب إما سوء أدب إذا رأى نفسه فوق أحد من عباد الله، أو دخل بلد بغير استئذان أصحاب التصريف فيها أو فعل فعلا مما فيه غفلة كجماع ودخول خلاء وغيره من غير استئذان منهم.

وهناك من أهل التصريف من له غيرة شديدة على المكان الذى يتصرف فيه بحيث لايترك أحدا يمر فيه على غفلة عن ذكر الله إلا سلبه، وهم إذا أرادوا سلب أحد ممن أساء إليهم الأدب بأى من هذه

الأفعال فهم لايستطيعون سلبه مادام ذاكراً الله تعالى، ولكنهم ينتظرون منه غفلة عن الذكر ويسلبونه حاله كله.

مر سيدنا محمد بن هارون على صبى قراد وكان هذا الصبى مادا رجله، فقال الشيخ فى نفسه: إن هذا الصبى لقليل الأدب يمر عليه مثلى ولم يضم رجله، فسلب لوقته حتى صار لايعرف الفاتحة، ثم طلب الصبى حتى وجده يلعب بالقرد والحمار فلما انتهى سلم عليه فقال له الصبى مثلك فى العلم والصلاح يخطر على باله أنه خير من أحد المسلمين؟! فقال: التوبة، فتاب الشيخ محمد فقال له الصبى لقد وضعت علمك وحالك فى قلب سحلية فى المكان الفلانى فاذهب إليها وقل لها إن فلان صبى القراد يقول لك ردى على الوديعة التى عندك فخرجت السحلية من حجرها ونفخت فى وجه الشيخ فرد الله عليه حاله وعلمه، وقال فى نفسه كيف تفتخر على الناس بشئ حملته السحلية فى قلبها فمن ذلك اليوم مارأى نفسه على أحد حتى مات.

وأصحاب التصريف غالبا هم أصحاب تحمل للبلايا والمصائب وهم المكلفون بحفظ سائر أقطار الأرض من برارى وقفار ومدائن وبحار وقرى وجبال، فالناس ينامون وهم ساهرون قائمون على حفظ أماكنهم ورفع غضب الله عنها بكثرة ذكرهم ودعائهم فهم قائمون مقام الملائكة ﴿**ويستغفرون لمن فى الأرض**﴾ (١٣) وهم أهل أدب ومعرفة يحبون أهل الأدب معهم أشد الحب أما من أساء الأدب سلبوه وقتلوه بهمتهم وحالهم، ومن قتلوه فلادية له.

لؤلؤة في حسن الظن

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم كثرة توجيههم لكلام الأئمة المجتهدين ومشايخ الصوفية وحمل كلامهم على أحسن الوجوه وكذلك كلام أتباعهم فينتحلون الأجوبة الحسنة وإن كانت بعيدة فهى أخلص للدين وأسلم.

وكان الشيخ زكريا الأنصارى رحمة الله عليه إذا رُفع عليه سؤال عن أحد من علماء العصر، يقول: لا أكتب عليه إلا إن اجتمعت به سألته عن مراده، وكان سيدى على الخواص يقول: أقل درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم إذا علمت ذلك، فما نقل عن الشيخ أبى يزيد قوله: طاعتك لى يارب أعظم من طاعتى لك، يقصد إجابتك لى يارب دعائى أعظم من إجابتى بالامتثال لك، وقوله بطشى أشد لما سمع قارئا يقول ﴿إن بطش ربك لشديد﴾[13] ومراده أن بطش الله تعالى لا يكون دوما إلا مخلوطا برحمة وشفقة لأن رحمته بعبده غلبت، أما انتقام العبد بأخيه فهو انتقام محض لارحمة فيه فكان بطشة بأخيه أشد من بطش الله تعالى، وقوله أيضا لأحد مريديه لأن ترانى مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة، ومراده أن المريد ليس له قدم فى معرفة الله جل وعلا إذا رآه فإنه يراه ولا يعلم أنه هو فلا يعرف يأخذ عنه علما ولا أدبا، بخلاف رؤيته لأبى يزيد فإنه ينتفع به ويعلمه الأدب مع الله تبارك وتعالى حتى يرقيه إلى معرفة ربه

معرفة على قدر أدب أبي يزيد لا على قدر المريد، ومنها قوله: سافرت من الله إلى الله ،ومقصوده أن ابتداء سفره إلى انتهائه بحول الله وقوته، وقوله: حدثني قلبي عن ربي قصده الإلهام الجائز للعارفين ، وقوله

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

مراده أنه أصبح يستلذ عذاب حبيبه، لأنه نظر إلى المعذب فغاب عن العذاب كمن يشاهد العافية في شرب الدواء الكريه فيلتذ بطعمه ناسيا مرارته، وقوله: أنا الله، وقوله: سبحاني،وقوله: أنا من أهوى ومن أهوى أنا فالمحب يقول عن نفسه أنه عين محبوبه لا ستهلاكه فيه فلا يراه غيرا قد قالها في حال السكر والفناء لافي في حال الصحو والبقاء فكان مغلوبا، أو هو يقصد قوله تعالى في الحديث القدسي «كنت سمعه وبصره ويده ورجله»

وقوله لو علم الناس منك ما أعلم ما عبدوك، ومراده لو علم الناس سعة رحمتك وحبك لهم ما تكلفوا عبادتك. وأما قول الحلاج ما في الجبة غير الله، فقصده ما في الوجود إلا الله كما لو قلت ما في المرآة إلا من تجلى لها لصدقت مع علمك أنه ما في المرآة شئ أصلا ولا في الناظر في المرآة شئ وقد قالها في حال السكر والفناء وأهل الأحوال المغلوبون قد عذرهم الله ألم تر إلى فرح الله بتوبة عبده ممن وجد دابته فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، وقال رسول الله ﷺ

«أخطأ من شدة الفرح» وهؤلاء قالوا ما قالوا من شدة فرحهم بالله تعالى.

وهذا حديث صحيح رواه البخارى

وقول الشبلى لما سئل متى تستريح؟ فقال: إذا لم أر الله ذاكرا، وقصده إذا لم ير لله ذاكرا بنفسه، فالناس إما يذكر الله بنفسه وإما يذكره بربه، فالذاكر بنفسه يرى نفسه، وأنه هو الذاكر فتدخله الآفات أما من يذكر الله بالله فهو ذاكر مذكور.

أما قول أبى طالب المكى: لا يرى من ليس كمثله شئ إلا من ليس كمثله شئ، فقصده لا يرى من ليس كمثله شئ فى الربوبية إلا من ليس كمثله شئ فى العبودية، أى: من تحقق بعبوديته تحققا كاملا لاربوبية فيها.

أما قول بعض العارفين أن الفقر من ليست له إلى الله حاجة، أى حاجة معينة بل رد أمره كله إلى الله، وهو الفقير المحقق فلا تقوم به حاجة معينة فتملكه لعلمه بأنه عين الحاجة فلا تقيده حاجة إلى الله مطلقة بغير تقييد.

أما قول أحدهم من وحد فقد ألحد، مراده أن الله واحد بغير توحيدنا فمن اعتقد أنه وحد ربه وأنه قبل توحيده ما كان واحدا وصار واحدا بتوحيده فقد كفر، فهو واحد لا بتوحيد موحد ولا بتوحيد لنفسه لأنه واحد لنفسه فما أحديته مجعولة، فعلمك أنه واحد ليس هو إثبات أحديته فالواحد لا يوحد.

أما قول الشيخ الأكبر رضي الله عنه:

العبد رب والرب عبد ياليت شعرى من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب أنى يكلف

بعد البحث وجدنا أن هذه الأبيات فيها تصحيف، وأن الأبيات التى فى جميع كتب الشيخ الأكبر وعلى رأسها الفتوحات هى كالآتى:

الرب حق والعبد حق ياليت شعرى من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

وأما قول الشيخ الأكبر: إن قلب العارف أوسع من رحمة الله، فمعناه أن رحمة الله لا تنال الله ولا تسعه فلا يقال أن الله مرحوم، وقلب العبد قد وسع الله تعالى بالمعرفة «ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن»، وأما قول الشيخ الأكبر: إن الحق تعالى قال لى: أنت الأصل وأنا الفرع، فمراده أن علمنا به فرع من علمنا بنا إذ نحن عين الدليل للقول القائل: من عرف نفسه فقد عرف ربه، كما أن وجودنا فرع عنه ووجوده أصل فهو أصل فى وجودنا فرع فى علمنا به. والكثير مثل ذلك

نُقل عن الأكابر ورد العلماء عليه ردودا طيبة، ناهيك عن الحسدة والحقدة والجهلة ممن يدعى العلم.

لؤلؤة في المعصية

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم رضاهم عن الله إذا قدر عليهم معصية كرضاهم عنه تعالى إذا قدر عليهم الطاعة، لكن من حيث التقدير لا من حيث الكسب، لأن المعاصى بريد الكفر ومقدمته وهذا هو معنى قول أهل السنة والجماعة يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى، ومعنى قولهم أيضا: نؤمن بالقدر ولا نحتج به فليعلم العبد أن سيده فعال لما يريد لا يتوقف على غرض عبيده فله أن يستعمله تارة فى تقليب المسك وتارة فى تقليب الزبل، فالمسك مثال الطاعات والزبل مثال المعاصى، وميزان الشرع فى يد العبد لا يضعها من يده لحظة، فما كان من طاعة قال: الحمد لله، وما كان من معصية، قال: أستغفر الله، قال تبارك وتعالى ﴿ **وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**﴾ فالحق تعالى لم يقدم على العبد معصية إلا لحكمة إما اختباراً له، وإما لوقوعه فى عجب بأعماله أو تكبره بها على أحد من المسلمين فالعبد مادام مستقيما فى أحواله كلها فهو محفوظ من الوقوع فى المعاصى جملة كالأنبياء وكمل الأولياء، فكراهية العبد للوقوع فى المعاصى لا تقدح فى رضاه عن الله تبارك وتعالى وتسليمه لأقداره بل هو مطلوب شرعا.

لؤلؤة في مكة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم المجاورة بمكة المشرفة وذلك لعجزهم عن القيام بآداب المجاورة والإقامة بها فإنها حضرة الله تبارك

وتعالى الخاصة فى الأرض وهذا الأمر قل من يقوم بآدابه فمن جالس الملوك بلا أدب جره ذلك إلى العطب، فمن آداب المجاور أن لا يخطر بباله معصية قط أثناء مجاورته فى مكة ولا تشتهى نفسه معصية قط قال تعالى ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ فالإرادة فيه محاسب عليها، ولو لم يعمل بخلاف غيرها من الأماكن، وكره الإمام مالك والشعبى رحمهما الله المجاورة فى مكة وقالا مالنا لبلد تضاعف فيها السيئات كما تضاعف فيها الحسنات ويؤاخذ الإنسان فيها بالخاطر، ،ومن الظلم سوء الظن بأخيك المسلم أو بغضك له بغير حق، ومنها أن لا يبيت على دينار ولادرهم ولا طعام وهو يعلم أن أحدا فى مكة محتاجا إلى ذلك، ومنها أن لا يسأله أحد فى الحرم شيئا ويمنعه إلا إن كان هو أحوج من السائل لقوله صلى الله عليه وسلم «إبدأ بنفسك» وقوله ﷺ الأقربون أولى بالمعروف، ومنها: أنه لا يحن إلى وطنه وأصحابه وأولاده، ومنها: أن لا يبول ولايتغوط فى الحرم كما كان أبو عثمان المغربى والفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينه رضى الله عنهم إذا أرادو أن يتغوطوا أو يتبولوا خرجوا إلى الحل.

لؤلؤة فى الرحمة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم شدة شفقتهم ورحمتهم على الحيوانات والحشرات وغيرها ممالا تستطيع النطق والإفصاح عن

مطلوبها فلطالما أعطى أحدهم إلى القطة دجاجة كاملة بين يديه يأكلها إذا رآها فى حاجة إلى ذلك من الجوع ورآها تتوقع منه الإحسان، وإذا خطفت القطة مثلا من أمام أحدهم الدجاجة المحمرة فلا يجرى وراءها، ولا يمكن أحد من الجرى وراءها،ويرون أن إرعابها وإزعاجها يذهب بالأجر، واعلم ياأخى أن الهرة ما خطفت ما خطفت من بين أيدينا إلا بعد أن جربتنا فى البخل والشح عليها فما خطفت حتى أيست من إحساننا لها مع أنها ما أقامت عندنا إلا لظنها فينا الخير والكرم والبر وأننا نرمى لها شيئا تأكله إذا وقفت بين أيدينا فإنها تفهم الأمور ولكنها عاجزة عن النطق بما تفهمه والبهائم ما سميت بهائم إلا لإبهام أمرها علينا لالإبهام الأمور عليها، وتأمل هدهد سليمان عليه السلام والنمل الذى قال ﴿ **لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** ﴾(١٤) والذئب الذى كلم الراعى حتى أسلم أيام رسول الله ﷺ والذئب الذى أتى إلى الرسول الله ﷺ والناقة التى اشتكت له ﷺ، ثم تأمل صناعة نحو العنكبوت والنحل والنمل وتأمل مغفرة الله تعالى لمن سقى الكلب. وكان سيدى على الخواص رضي الله عنه يوصى أولاده على القطيطة لا سيما فى نهار رمضان، ويقول إن الناس لا يأكلون نهارا فلا تجد القطة ما تأكله فتضيع مصالحها وكان رضي الله عنه كثيرا ما يضع للنمل الدقيق أو الفتات على باب جحرها ويقول حتى نغنى النملة عن الخروج للسعى فلربما خرجت فداسها أحد فماتت أو انكسرت رجلها.

لؤلؤة فى المسجد

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم كراهيتهم للجلوس فى المسجد على حدث فى ليل أو نهار ومن كان مشهده أن الأرض كلها مسجد فلا فرق عنده بين الأماكن إلا ماخصه الشارع صلى الله عليه وسلم منها فهذا فى مسجد دائما فالمساجد هى حضرة الله تعالى الخاصة فإذا كان هذا فى الحدث الأصغر فكيف بمن يعصى الله تبارك وتعالى فى المسجد بغيبة أو نميمة، وكان الشيخ أفضل الدين رحمه الله لا يقدر على الجلوس فى المسجد ولو طاهرا ويقول والله إنى لأتعجب من هؤلاء المجاورين فى قدرتهم على إطالة الجلوس فى المسجد لا سيماوهم محدثون وعلى العاقل أن يستحى منه تعالى إذا جلس فى بيته ولو على طاعة فكيف إذا كان فى معصيته فربما مقت الله ذلك العاصى فى حضرته، وكانوا يكرهون إخراج الريح فى المسجد تعظيما لجناب الله تعالى لأنه معدود من الرجس، وحياء من الملائكة الكرام التى تملأ المساجد وقد قال لنا رسول الله ﷺ فى حقهم «فاستحيوهم وأكرموهم».

لؤلؤة فى الجماع

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم حضورهم مع الحق تبارك وتعالى فى حال جماعهم كحضورهم معه فى الصلاة على حد سواء فى

أصل الحضور وإن تفاوت الحضور بجامع أن كلاً منهما عبادة مأمور بها «وفى بضع أحدكم صدقة» وما شرع الحق تبارك وتعالى جميع المأمورات الشرعية إلا ليحضر العبد مع ربه فيها حال فعلها وإنما لم يصرح الشارع لنا بالأمر بالحضور فى الجماع اكتفاء بما أمرنا به من التسمية عنده فإن ذكر اسم الله تعالى وسيلة للحضور معه تعالى، وفى الحديث «فقام غسله من الجنابة فأدخله الجنة» ومن كثرة شفقتهم على ذريتهم من قبل أن تحمل بهم أمهم أنهم رضى الله عنهم لا يجامعون زوجاتهم وهم غافلون عن الله تعالى فلربما دخل الشيطان فأفسد الولد، ولاوهم مقبلون على الدنيا ولا وهم على معصية ككبر وسوء ظن بالمسلمين أو غضب بل ولا يجامعون إلا وهم على التوبة الخالصة لله تعالى.



الفهرس

٦ ـ ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾[٣] فكل شىء مكتوب عليه الهلاك فى أعين أهل الفناء إلا وجه الله تعالى فهم يعبدون الله على التجريد «كان الله ولا شىء معه».

٧ ـ من وقف مع جسمانيته ﷺ فهو من أهل ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم** ﴾[٤] ولم يشموا رائحة روحانيته ﴿ **يوحى إلىّ** ﴾[٥] ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[٦] فنظروا إلى قوله ﴿ **ما على الرسول إلا البلاغ** ﴾[٧] وقد بلغ ولم يطلعوا على ما منحه الحق وكرمه فى قوله تعالى ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾[٨] فلهؤلاء الجنة الحسية التى قال فيها تعالى ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين** ﴾[٩] فهم مع نفوسهم فى الدنيا والآخرة، لهم قوله ﷺ «فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت» وليس لهم «ولا خطر على قلب بشر» فإن القلب محل العلم قال تعالى ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** ﴾[١٠] وهى محل الفقه ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها** ﴾[١١].

٨ ـ ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾[١٢] فإذا نسيت نفسك ذكرت ربك فسبب التعب هو ذكر النفس والاعتناء بشؤنها وهذا حال أهل الحجاب أهل قوله تعالى ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى كبد** ﴾[١٣].

٩ ـ الفناء على ثلاثة مراتب: فناء فى الأفعال، وفناء فى الصفات وفناء فى الذات، أو فناء فى الاسم وفناء فى الذات، وفناء فى الفناء، وهو مقام البقاء، وكل مقام ينادى على ما قبله «يا أهل يثرب لا مقام لكم»

١٠ ـ حسن الظن بالله على مرتبتين: فالخواص حسن ظنهم ناشىء عن شهود جماله ورؤية كماله فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله أو بجلاله، والعوام ناشىء عن شهود إحسانه وحسن معاملته وامتنانه.

١١ ـ الهجرة إلى الله على ثلاثة أنواع: هجرة من وطن المعصية إلى وطن الطاعة، وهجرة من وطن الغفلة إلى وطن اليقظة، وهجرة من وطن الأشباح إلى وطن الأرواح، وغير ذلك إنما هاجر من نفسه إلى نفسه بنفسه وهو قوله ﷺ من كانت هجرته لدنيا يصيبها.

١٢ ـ سبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم.

١٣ ـ أخاطر فى محبتكم بروحى وأركب بحركم إما وإما
وأسالك كل فج فى هواكم وأشرب كأسكم لو كان سما
ولا أصغى إلى من قد نهانى ولى أذن عن العزّال صما
أخاطر بالخواطر فى هواكم وأترك فى رضاكم أبا وأما

١٤ ـ لو كشفت عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع.

١٥ ـ كل صلاة لا خشوع فيها باطلة عند الصوفية غير مقبولة عند العلماء.

٣١ ـ فى المنازلات «ماظهر منى شىء لشىء» ولا ينبغى أن يظهر لأنها لم تزل معدومة وأنا لم أزل موجودا فما يعرف الحق إلا الحق.

٣٢ ـ أى روح تتجسد يقيدها البصر.

٣٣ ـ إنما طمع الشيطان فى الرحمة أنه شىء والله يقول ﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾[١٥] ولكنه نسى أن الرحمة صفته والتقوى فعله وفعله يقيد صفته.

٣٤ ـ قال أبو يزيد رضى الله عنه: وأنا الآن لاصفة لى فشهد أن صفات العبد كلها معارة من عند الله فهى لله حقيقة ونعتنا بها فقبلناها أدبا مع علمنا بأنها له لالنا.

٣٥ ـ الذل صفة شريفة إذا كانت لله، والخزى صفة ذميمة بكل وجه ومن ذل لله فإنه لا يذل لغير الله أصلا إلا أن يذل لعين الصفة حيث يراها فى مخلوق.

٣٦ ـ كلامى ليس غيرى وهو غيرى ... كما قلنا رميت وما رميتا
فكن حقا ولا تظهر بزور ... وكن عين القرآن إذا تلوتا
لأن الله لم يسمع لعبد ... يناديه بما يتلوه صوتا
لأن الحق ليس يراه حى ... لذا كتبوا على الأحياء موتا

٣٧ ـ ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾[١٦] ولم يقل مما علموا، ولكن معرفتهم ناقصة إذ كان نظرهم إلى ما عند

الله لا إلى الله فلذا أعـقب الآية بقـوله ﴿ **فـأثابهم الله بما قـالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار**﴾[١٧] وقال فى حق من كملت معرفته ﴿ **إلى ربها ناظرة**﴾[١٨].

٣٨ - ﴿ **وأنتم حينئذ تنظرون**﴾[١٩] أى إلى الله تعالى.

٣٩ - قال تعالى ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾[٢٠] لأنـه لا ينطق إلا عن الله بالله لله، ولم يقل ومن يعص الرسول فقد عصى الله لأن طاعـة المخلوق لله، ذاتية وعـصيانه بالواسطة فلو أنزل هنا الرسول كمـا أنـزلـه فى الطـاعـة لم يكن إلهـا وهو إلـه فـلا يعصى إلا بحجاب وليس الحجاب سوى عين الرسول، ونحن اليوم أبعد فى المعصية للرسول من أصحابه فنحن ما عصينا إلا أولى أمرنا فى وقتنا وهم العلماء والصحابة إن عصوا فإنما عصـوا رسول الله ﷺ فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجرا لأن للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة رضوان الله عليهم.

٤٠- ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾[٢١] فيدفعونه كما يفعل الإيمان فوق الزانى كأنه ظلة ليحفظه من سخط الله النازل بتعرضه للمخالفة.

٤١- موت الفجاءة حده أن لا يخرج النفس الداخل ولا يدخل النفس الخارج وهو غير المحتضر، فموت الفجاءة يقبض صاحبه على ما كان عليه من إيمان أو كفر، أما المحتضر فهو صاحب شهود فيفرق بين الكافر المحتضر والكافر الذى مات موت الفجاءة، فالكافر

٥٣ ـ ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ (٣٣) فيأتى ربنا فى اسمه النور فتشرق الأرض بنور ربها، وتعلم كل نفس بذلك النور ما قدمت وأخرت لابها.

٥٤ ـ هو مثل الأشياء وليست الأشياء مثله إذا كان عينها وليست عينه فالله يضرب الأمثال لنفسه ولا تُضرب له الأمثال فيقال الله فى خلقه مثل الملك فى ملكه ولا يقال مثل الملك فى ملكه مثل الله فى خلقه.

٥٥ ـ ﴿ الآمرون بالمعروف ﴾ (٣٤) أى: بالله فهو المعروف الذى لا ينكر حتى عند الكافرين.

٥٦ـ قال أحد العارفين لتلميذه وقد رأى رجلا سأله آخر بالله فأخذ يفتش فى كيس ليعطيه أصغر دنانيره، أتعلم يا بنى علام يفتش قال: لا، قال: فإنه يفتش على قدره عند الله فليكبر أو يصغر أو يعظم أو يحقر.

٥٧ ـ واعتصموا بحبل الله للعابدين السالكين، واعتصموا بالله للعارفين، فالعابد معتصم بالقرآن والعارف معتصم به القرآن.

٥٨ ـ قال الشيخ الأكبر: إن من عباد الله من يقبلهم الحجر وتطوف بهم الكعبة، ولقد رأيت ابن أبلج والكعبة تقبل رأسه ومن الناس من إذا صلى وسلم من صلاته ما تشتهى صلاته مفارقته حتى يرفع بها إلى عليين.

٥٩ ـ الحس يدرك بالحس أى بالعين، والخيال بالخيال أى بالعقل، والغيب بالغيب أى بالقلب.

٦٠ـ الرؤية والكلام لا يجتمعان فإذا أسمعك لم تشهد وإذا أشهدك لم تسمع.

٦١ ـ لا أحد يدخل على الحق ولأحد عليه حق.

٦٢ ـ هو مع الأشياء وليست الأشياء معه.

٦٣ ـ آدم هو مجموع العالم من حيث حقائقه فهو عالم مستقل وما عداه فإنه جزء من العالم.

٦٤ـ قول الإنسان فى التشهد «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» يدل على أن الإنسان ينبغى أن يكون فى صلاته أجنبيا عن نفسه بربه.

٦٥ـ فى أمة المختار من هو أفضل من أبى بكر وعمر مثل عيسى وموسى عليهما السلام فالكليم تمنى أن يكون من أمة رسول الله ﷺ فيضم سواده إلى سواد أمة رسول الله ﷺ فيكون رسول الله ﷺ أعظم تابعا.

٦٦ ـ ﴿ يريد الله بكم اليسر﴾[٣٥] أى: ترك المجاهدة لا ترك العمل، ومن العمال من يكون فى عملهم مشقة وهى المجاهدة ومنهم من لا يجدها فلا يكون صاحب مجاهدة.

٦٧ـ طهـارة القلب مـثل سـجـوده إذا تطهـر وصح تطهـيـره لاتنتقض طهارته أبدا.

٦٨ ـ التجلى الظاهرى يورث الخشوع والخضوع وخمود الجوارح والارتعاش، والتجلى البـاطنى كصـفات العبودية التى لا ينفك عنه باطن المتطهر أبدا.

٦٩ ـ يخرج العارف من كل شىء حتى عن خروجه فإنه شىء ويخرج حتى عن معرفته بربه فإنها حادثة فيتصل الأزل بالأبد ويظهر له الحى القيوم.

٧٠ـ المقام كل صفة يجب الرسوخ فيها ولا يصح التنقل عنها كـالتوبة، والحـال كل صـفة تكون فيـها فى وقت دون وقت كـالسكر والمحو والغيبة والرضى أو يكون وجودها مشروطا بشرط فتنعدم لعدم شرطها كالصبر مع البلاء والشكر مع النعماء.

ومن هذه المقامـات مـا يتـصف به العبـد فى الدنيا والآخـرة كـالمشـاهدة والجلال والجـمـال والأنس والهيـبـة والبسط، ومنهـا مـا يتـصف به العبـد لحين مـوته كـالزهد والورع والتـوبـة والمجـاهدة والرياضة والتخلى والتحلى.

٧١ـ إذا سمع الشيطان الآذان يدبر وله ضراط حـتى لا يشهد للمؤذن إذ أن المؤذن يُلزم كل من سمع صوته من رطب ويابس أن يشهدوا له.

٧٢ـ يستحيل أن يجتمع الخلق والحق من وجهة أبدا من حيث الذات لكن من حيث إن الذات منعوتة.

٧٣ ـ اعلم أن للعقول حدا تقف عنده من حيث ما هى مفكرة لا من حيث ما هى قابلة.

٧٤ ـ الذات يتقدم شهودها على العلم بها فتشهد ولا تعلم، والألوهية تعلم ولا تشهد فكل حكم يثبت فى باب العلم الإلهى إنما هو للألوهية لا للذات، «كان الله ولا شىء معه» فكان نسبة، والمتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى هى الألوهة.

٧٥ ـ الجبر هو حمل الممكن على الفعل مع وجود الإباية من الممكن فالجماد ليس بمجبور لأنه لا يُتصور منه فعل مع ظهور الآثار منه.

٧٦ ـ صفات الله كلها نسب وإضافات له لا أعيان زائدة إذ الكامل بالزائد ناقص.

٧٧ ـ قولهم للألوهية سر لو ظهر وظهر بمعنى زال كما تقول ظهروا عن البلد أى زالوا عنه، أى لو ظهر سر الألوهية التى هى مرتبة الذات وليست الذات لبطلت الألوهية ولم يبطل كمال الذات.

٧٨ ـ رؤية البصيرة علم ورؤية البصر طريق حصول علم.

٧٩ ـ الأشاعرة خرجوا من التشبيه بالأجسام إلى التشبيه بالمعانى ومع ذلك تصوروا أنهم خرجوا من التشبيه.

٨٠ ـ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ولا يريدها ولكن قضاها وقدرها فكونها فاحشة ليس عينها بل هو حكم الله فيها وحكم الله فى الأشياء ليس مخلوقا.

٨١ ـ الحُسْنُ والقبح ذاتى فى الحَسَنِ والقبيح ولكن منه ما يدرك حسنه وقبحه بالنظر ومنه ما لايدرك إلا بالشرع ولا يلزم من الشيء القبيح أن يكون أثره قبيحا كحسن الصدق وأحيانا يكون أثره قبيحا، وسوء الكذب وأحيانا يكون أثره طيبا.

٨٢ ـ العدم هو الشر المحض الذى لا خير فيه، والوجود هو الخير المحض الذى لا شر فيه.

٨٣ ـ يجوز أن يقال الحق يجب له ويستحيل عليه ولا يجوز أن نقول الحق يجوز عليه كذا، ولكن نقول هذا الأمر جائز أن يكون كذا.

٨٤ـ إنما كثرت المناسك رغبة فى التماسك فإن لم تجدنى هنا وجدتنى هنا وإن احتجبت عنك هنا تجليت هناك.

٨٥ ـ يرجع تفاضل المساجد فى وجود القلب لا فى تضاعف الأجر وذلك ليس للتراب ولكن لمجالسة الأتراب أو هممهم، ومن لا يجد الفرق فى وجود قلبه بين السوق والمساجد فهو صاحب حال لا صاحب مقام ولا يشك أحد أنه وإن عمرت الملائكة جميع الأرض مع تفاضلهم فى المعارف والرتب فإن أعلاهم رتبة وأعظمهم علما ومعرفة عمرة المسجد الحرام وقد طاف بهذا البيت مائة ألف وأربعة

وعشرون ألف نبى سوى الأولياء وما من نبى ولا ولى إلا وله همة متعلقة بهذا البيت وهذا البلد الحرام.

فمعرفة الأماكن والإحساس بالزيادة والنقص من تمام تمكن معرفة العارف وعلو مقامه.

٨٦ ـ قال تعالى ﴿ **إنَّا عرضنا الأمانة**﴾ [٣٦] فكان عرضا لا أمرا وإلا أطاعوه.

٨٧ ـ الملائكة أرواح منفوخة فى أنوار، والجان أرواح منفوخة فى رياح، والناس أرواح منفوخة فى أشباح.

٨٨ ـ إبليس لم يكن أول الجن ولكنه كان أول شقى منهم ﴿ **كان من الجن**﴾[٣٧].

٨٩ ـ حياة الأرواح حياة ذاتية.

٩٠ـ لما كان الحق تعالى مجيبا لعبده المضطر إذا دعاه فيما يدعوه به ويسأله منه صار المضطر كالمتصرف.

٩١ـ قال إبراهيم عليه السلام ﴿ **الذى خلقنى فهو يهدين ...**﴾[٣٨] ولم يقل يجوعنى ولم يقل أمرضنى ولكن قال ﴿ **يطعمنى ويسقينى وإذا مرضت**﴾[٣٩] والخضر عليه السلام أضاف خرق السفينة إليه وأضاف قتل الغلام إليه وإلى ربه لما فيه من الرحمة بأبويه وأضاف الجدار إلى ربه لما فيه من الصلاح، وقال أيوب عليه السلام ﴿ **وأنت أرحم الراحمين**﴾ [٤٠] ولم يقل ارحمنى أدبا مع الله،

وقالت الجن ﴿ **وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا**﴾ (٤١) فعند الشر جعلوا الفعل مبنيا للمجهول وعند الخير أسندوه إلى الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ «زويت لى الأرض فأُريت مشارقها ومغاربها» ولم يقل رأيت ولا يجوز الجمع بين الله وبين أحد من خلقه فى ضمير واحد إلا بإذن فلما سمع رسول الله ﷺ خطيبا يقول ومن يعصهما قال «بئس الخطيب أنت» وقد قال رسول الله ﷺ «ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه» ولكنه بإذن وقال تعالى ﴿ **مازاغ البصر وما طغى**﴾(٤٢) أى لم يسبق البصر البصيرة بل استوى الظاهر والباطن والقلب مع القالب وهنا ظهر الفرق بين الحبيب والكليم، الكليم قال ﴿ **أرنى أنظر إليك**﴾(٤٣) والحبيب قال «رأيت ربى» وأدب عيسى عليه السلام قال ﴿ **إن كنت قلته فقد علمته**﴾ وقالوا ترك الأدب مع الوقت من علامة شدة المقت.

٩٢- واعلم أن الأشخاص لم تخلق من عدم ولكن من وجود فخلق آدم من تراب وخلق بنى آدم من نطفة حيث العدم موجود ولكن ليس له عين ظاهرة.

٩٣ - أهل الجنة فى الجنة يقولون للشىء كن فيكون.

٩٤ - من شهد بقلبه، ولم يتلفظ بلسانه فهو منافق فى عالم الشهادة كما أن المنافق فى عالم الظاهر يشهد بلسانه دون قلبه، كمن هو مؤمن بالصلاة ولا يصلى والمنافق فى الظاهر غير مؤمن بالصلاة ويصلى.

٩٥- الصراط الحسى ينقلب معنى فيكون دقيقا فى حق قوم وعريضا فى حق آخرين منيرا فى حق قوم مظلما فى حق آخرين، والكلاليب والخطاطيف والحسك هى من صور أعمال بنى آدم تمسك بهم فلا ينهضون إلى الجنة ولا يقعون فى النار حتى تدركهم الشفاعة.

٩٦ - من تجاوز هنا تجاوز الله عنه هناك، ومن أنظر معسرا أنظره الله هناك، ومن عفا عفا الله عنه، ومن استقصى حقه هنا من العباد استقصى الله حقه منه هناك، ومن شدد هنا شدد الله عليه هناك، وإنما هى أعمالكم ترد عليكم فالتزموا مكارم الأخلاق فإن الله غدا يعاملكم بما عاملتم به عباده.

٩٧ - يُدعى الناس يوم القيامة إلى السجود وهو ما بقى من التكليف فى الأخرة.

٩٨ - ﴿ **ظالم لنفسه** ﴾ (٤٤) ظلم نفسه لنفسه حتى يسعدها فى الأخرة فلم يعطوا نفوسهم حقها فى الدنيا.

﴿ **مقتصد** ﴾ يعطى لنفسه حقها من راحة الدنيا ليستعين بذلك على خدمة الله.

﴿ **سابق بالخيرات** ﴾ (٤٥) المبادر إلى الأمر قبل دخول وقته.

٩٩ - إن من عباد الله من كفاه الله مؤنة المعرفة فكشف له عنه فعرفه، وهو الذى سبق فتحه على سلوكه وهو أشرف السالكين إذ كل سالك غايته المعرفة وهى بداية هذا السالك.

١٠٠ ـ أهل الفناء إن نطق أهلك وإن سكت هلك، ألا ترى القـاتل نفسه فى النار ولا كفارة له والقاتل غيره فى المشيئة وله كفارة.

١٠١ ـ المؤمن من يرى الأشـيـاء بنور الحق والعـارف يراها بالحق.

١٠٢ ـ من تحقق بالحق لا يتصف بصدق ولا إخلاص ولاحال ولا مقام.

١٠٣ ـ ﴿**زين للناس حب الشهوات**﴾[٤٦] إذا تحرك إليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا وذم بها، وإذا تحرك إليها بأمر الله كانت زينة الله تعالى وحمد بها.

١٠٤ ـ ما ظهر إلا بك وأنت أخفيته وإن زلت فلمن يظهر فلابد من فنائك عنك لافناء عينك.

١٠٥ ـ الرجل من يمر على الأوقات ولا تمر الأوقات عليه فيكون حاكما لا محكوما عالما لا معلوما.

فمن خرج من رق الأوقات كُلم من غير ميقات أى خرج من عبوديته للوقت بمراقبة أنفاسه فصارت فيه المراقبة ملكة فالواردات ترد عليه فى أى وقت.

١٠٦ ـ العالم يخشى الله والملك يخاف الرب فبين الإنسان والملك ما بين الخشية والخوف وما بين الألوهية والربوبية.

١٠٧ ـ الذى منع الخلق من رؤية الحق كونهم فى قبضته فهم فى ظلمة القبضة لا يبصرون وإذا بسط يده رأوه.

١٠٨ ـ إن من عباد الله من لا يستره الحجاب ومع ذلك لا يعرف ما فى جيبه.

١٠٩ ـ ما كان مجتمعا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرق فى أمته وراثة له فهو معصوم وكذلك أمته معصومة لاتجتمع على خطأ.

١١٠ ـ اسم الدهر هو الذى نشأ عنه الزمان وليس هو الزمان.

١١١ ـ اعلم أن غالب كلام أهل الله مؤول ولا يقصدون ظاهره.

قال الشيخ الأكبر مرة:

يا من يرانى ولاأراه كم ذا أراه ولا يرانى

فقال له أحد العلماء وكيف ذلك يا سيدى فأنشأ يقول:

يا من يرانى مجرما ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعما ولا يرانى لائذا

١١٢ ـ الله هو المعطى الآخذ فالصدقة تقع بيد الرحمن قبل يد العبد فإنه تعالى يأخذ الصدقات ويد السائل صورة حجابية على يد الرحمن.

١١٣ ـ ﴿**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا**﴾(٤٧) فما رأى من عمِل سوء سوءاً العمل وإنما رأى الزينة التى زين له بها فإذا

كان يوم القيامة ورأى قبح العمل فر منه فيقال هذا الذى كنت تحب وتتعشق به وتهواه فيقول المؤمن: لم يكن حين أحببته بهذه الصورة أين الزينة التى كانت عليه وحببته إلىّ فإنى ما تعلقت إلاّ بالزينة لابه لكن لما كان محلها كان حبى له بحكم التبع فيقول الله لهم صدق عبدى لولا الزينة ما استحسنه فردوا عليه زينته فيبدل الله سوءه حسنا.

١١٤ ـ من أسمائه تعالى:

المُسعر: لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو المسعرّ»

الدهر: لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو الدهر»

الخليفة الصاحب: «أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل»

المستحى: «إن الله ليستحى من ذى الشيبة»

الطيب: «إن الله طيب»

الجامع: «إن الله جامع الناس»

الوتر: «إن الله وتر»

الجميل: «إن الله جميل»

الفرد ـ الشافى ـ الأقرب: ﴿ **ونحن أقرب** ﴾[٤٨]

١١٥ ـ لولا الدعاوى ما خلقت المهاوى.

١١٦ - «أنا جليس من ذكرني» لها لذة عظيمة فإذا خالطتها معرفة ما يستحقه الله من الهيبة والحياء ذهبت اللذة ولذلك تجد المريد في أول طريقه يرى من الأنوار لاستحضاره مستحسنات عمله، أما العالمون العارفون فينامون على رؤية تقصير وتفريط لما يستحقه فلا يرى في النوم إلا كل ما يهمهم من ظلمات ورعد وبرق كل أمر مخوف فيحن لبدايته ليستريح مما هو فيه من علو مقامه.

١١٧ - شرع الله الجهر في الصلاة والسر حتى يتحقق قوله «وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» حتى يجمع المصلي بين الحسنيين.

١١٨ - «الصلاة نور» أي كل عبادة مشروعة مرتبطة باسم إلهي أو حقيقة إلهية، فيناجي الله تعالى من اسمه النور لا من اسم آخر.

١١٩ - النور ما له سوى تنفير الظلمة وبالضياء يقع الكشف فإن الكشف يكون بضياء النور لا بالنور.

١٢٠ - الله تعالى أوسع من أن يتجلى على عبدين بصفة واحدة أو بصفة على عبد مرتين فليس في الوجود شيء مكرر بل شيء له مرتبة مخصوصة به وصفة من صفات الله تعالى يرجع بها إليه واسم حاكم له وعليه.

١٢١ - تسترت عن دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسألوا الأيام ما اسمي ما درت ... وعن موضعي لم تدر أين مكاني

١٢٢ ـ الأسمـاء والصـفات ذا نسبت إلى الله فـهى قـديمة، وإذا نسبت إلينا فهى محدثة.

١٢٣ ـ ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾(٤٩) الكامل يعمل بأمر الله، والعارف يعمل بالله مطلقا، فذلك بسم الله منه بمنزلة: كن من الله فإذا كمل قال كن بلا بسملة.

١٢٤ ـ ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾(٥٠) مـثله استـواء الروح على عرش الجسم.

١٢٥ ـ ﴿ **سخر لكم ما فى السموات والأرض جميعا منه** ﴾(٥١) فالسماوات بما أظلت، والأرض بما أقلت مسخرة لك، لكونك أعز قدرا وأعظم فخرا، ولهذا تفنى السموات والأرض يوم القيامة وأنت باق إلى أبد الآبدين.

١٢٦ ـ إبليس أول من خالف الأمـر، وآدم عليه السلام أول من خالف النهى ولكن إبليس امتثل الأمر فيما يشقيه ﴿ **استفزز من استطعت منهم** ﴾(٥٢).

١٢٧ ـ لقد اختص الله تعالى الإنسان بأن جعله الوحيد الذى يستطيع تلاوة كتابه. أما الجن والملائكة فما ورد عنهم إلا السماع فهم لايستطيعون تلاوته ولكن يحبون سماعه ويفهمونه ﴿ **إنا سمعنا قرآنا عجبا** ﴾(٥٣).

ولذا اختص جبريل عليه السلام وحده من الملائكة بذلك فكان ذلك له شرف عليهم.

١٢٨ ـ البصيرة كالبصر يجب غضها عن مساوئ الناس ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾(٥٤).

١٢٩ ـ الفضل فضلان: فضل عملى وفضل ذاتى، فمن الفضل العملى أن نقول أن أحدا لن يبلغ مرتبة الصحابة رضوان الله عليهم لأن أى عمل نعمله إنما هو فى صحيفتهم إذ أنهم سبب وصوله إلينا، أما الفضل الذاتى فلا حدود له يعطيه الله لمن يشاء وإن تأخر زمانه.

١٣٠ ـ العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه إلى الله.

١٣١ ـ من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض.

١٣٢ ـ ﴿خلق الموت والحياة﴾ (٥٥) أمات نفوس قوم بالمجاهدات وأحيا أرواحا بالمشاهدات.

الهوامش

(١) سورة المعارج الآية ٢٣ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٢٩ .

(٣) سورة القصص الآية ٨٨ .

(٤،٥) سورة الكهف الآية ١١٠ .

(٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٧) سورة المائدة الآية ٩٩ .

(٨) سورة النجم الآية ٩ .

(٩) سورة الزخرف الآية ٧١ .

(١٠) سورة الشعراء الآيتان ١٩٣، ١٩٤ .

(١١) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

(١٢) سورة الكهف الآية ٢٤ .

(١٣) سورة البلد الآية ٤ .

(١٤) سورة الفاتحة الآية ١ .

(١٥) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .

(١٦) سورة المائدة الآية ٨٣ .

(١٧) سورة المائدة الآية ٨٥ .

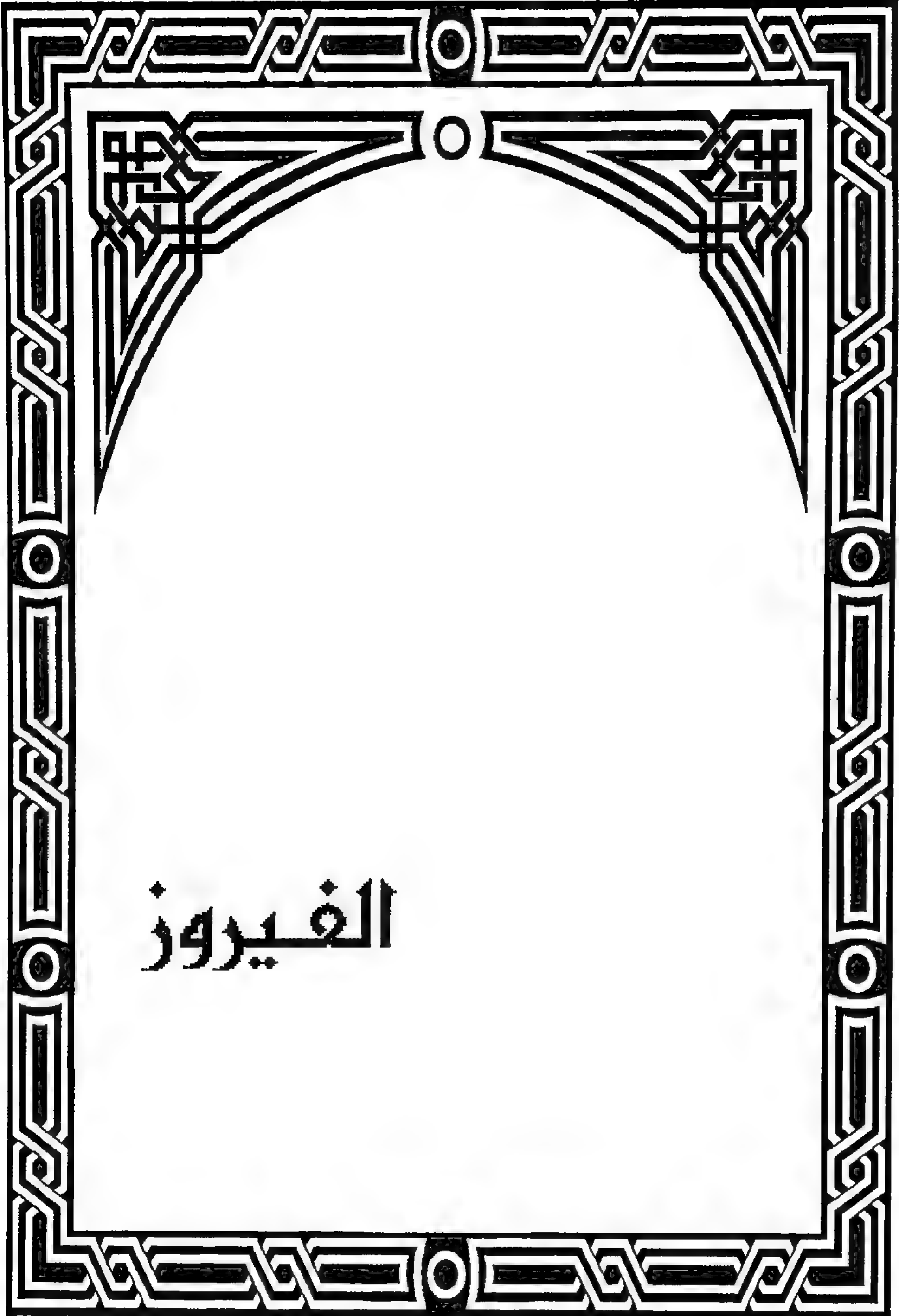
(١٨) سورة القيامة الآية ٢٣ .

(١٩) سورة الواقعة الآية ٨٤ .

(٢٠) سورة النساء الآية ٨٠ .

(٢١) سورة الرعد الآية ١١ .

(٢٢) سورة طه الآية ٤٤ .



الفيروز

(٢٣) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

(٢٤) سورة ق الآية ٢٢ .

(٢٥) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .

(٢٦) سورة النور الآية ٢٤ .

(٢٧) سورة فصلت الآية ٢١ .

(٢٨) سورة النساء الآية ٩٣ .

(٢٩) سورة عبس الآية ٢٢ .

(٣٠) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٣١، ٣٢) سورة طه الآيتان ١١٧ و ١٢٠ .

(٣٣) سورة الزمر الآية ٦٩ .

(٣٤) سورة التوبة الآية ١١٢ .

(٣٥) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(٣٦) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .

(٣٧) سورة الكهف الآية ٥٠ .

(٣٨، ٣٩) سورة الشعراء الآيات ٧٨، ٧٩، ٨٠ .

(٤٠) سورة الأنبياء الآية ٨٣ .

(٤١) سورة الجن الآية ١٠ .

(٤٢) سورة النجم الآية ١٧ .

(٤٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٤٤، ٤٥) سورة فاطر الآية ٣٢ .

(٤٦) سورة آل عمران الآية ١٤ .

(٤٧) سورة فاطر الآية ٨ .

(٤٨) سورة ق الآية ١٦ .

(٤٩) سورة القيامة الآية ١٦ .

(٥٠) سورة طه الآية ٥ .

(٥١) سورة الجاثية الآية ١٣ .

(٥٢) سورة الإسراء الآية ٦٤ .

(٥٣) سورة الجن الآية ١ .

(٥٤) سورة النور الآية ٣٠

(٥٥) سورة الملك الآية ٢ .

١- من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.

فالعمل عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الإحسان، أو عمل العبادة وعمل العبودية وعمل العبودة، أو عمل الشريعة وعمل الطريقة وعمل الحقيقة. فالشريعة: أن تعبده، والطريقة: أن تقصده والحقيقة: أن تشهده. ومن دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على الله فقد نصحك. وقوله تعالى (**ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**) .. شريعة، وقول رسول الله ﷺ (**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**).. حقيقة، ومن بلغ حقيقة الإسلام لم يقدر أن يفتر عن العمل، ومن بلغ حقيقة الإيمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل بسوى الله، ومن بلغ حقيقة الإحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله. فعلامة الاعتماد على الله أن لا ينقص رجاؤه إذا وقع فى العصيان ولا يزيد رجاؤه إذا صدر منه إحسان. فلا يعظم خوفه إذا صدرت منه غفلة كما لا يزيد رجاؤه إذا وقعت منه يقظة فهذا قد استوى خوفه ورجاؤه على الدوام لأن خوفه ناشىء عن شهود الجلال ورجاؤه ناشئ عن شهود الجمال، وجمال الحق وجلاله لا يتغيران بزيادة ولا نقصان.

٢- إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية.

تجريد الظاهر: هو ترك كل مايشغل الجوارح عن طاعة الله

تجريد الباطن: هو ترك كل مايشغل القلب عن الحضور مع الله.

والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو يتولى إخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب. قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت إليه فتركنى السبب فلم أعد إليه.

والتجريد من غير إذن سبب، والسبب مع الإذن تجريد، ولا يتجرد المريد فى حالة القوة، فإنه إن أصابه ضعف رجع عما كان فيه وقد يسئ الظن فيقول كلنا دخلنا البلد وما رأينا شيئا.

وهذا الكلام كله مع السائرين أما الواصلون كأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم متمكنون لا تؤثر فيهم الأسباب، فهم رضى الله عنهم مأخوذون عن أنفسهم يقبضون من الله ويدفعون بالله.

٣- سوابق الهمم لا تخرق أسوار القدر

فالمريد الصادق إذا كان فانيا فى الاسم مهما اهتم بالشئ كان، وإن كان فانيا فى الذات تكون الشئ قبل أن يهتم به.

قال بعض العارفين: نحن إذا قلنا شيئا فخرج فرحنا مرة واحدة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات.

٤- أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك فلا تقم به أنت لنفسك.

التدبير ثلاثة أنواع: مذموم ومطلوب ومباح.

التدبير المذموم: الذى يصحبه الجزم والتصميم سواء أكان دينيا أو دنيويا.

التدبير المطلوب: تدبير ما كلفت به من الواجبات وماندبت إليه من الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر إلى القدرة.

التدبير المباح: تدبير أمر دنيوى مع التفويض والنظر، وعليه يخرج قوله ﷺ «التدبير نصف المعيشة».

فالمذموم ما شغلك عن الله والمحمود ما قربك إلى الله.

قال أحدهم، العلم كلمتان: لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت.

٥- اجتهادك فى ما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك.

فإذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله فى الظاهر بخدمته وفى الباطن بمحبته حتى يسوى نور البصيرة على البصر فيغيب نور البصر فى نور البصيرة فلا يرى إلا ما تراه البصيرة.

وإذا أراد خذلان عبد أشغله فى الظاهر بخدمة الأكوان وفى الباطن بمحبتها حتى ينطمس نور بصيرته.

٦- لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك .

اسمه تعالى القيوم وهو مبالغة فى القيام بأمور خلقه من عرشه إلى فرشه.

يقول أحد العارفين: الناس تقضى حوائجها بالحرص فيها والجرى عليها ونحن نقضى حوائجنا بالزهد فيها والاشتغال بالله عنها.

قال تعالى: ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة** ﴾[1] ما هنا موصولة أى ويختار الذى لهم فيه خيرتهم.

من لم يكن فى دعائه تاركا لاختياره راضيا باختيار الله فهو مستدرج ممن قيل له ﴿ **اقضوا حاجته فإنى أكره أن أسمع صوته** ﴾.

فمن كان مع اختيار الحق له كان مجابا، وإن لم يعط، وإن كان لابد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لا طلبا للحظ، وإذا رفع العبد يديه داعيا قال له الله تعالى لبيك عبدى وكفى بها إجابة.

واعلم أن لذة مناجاة الله أعظم من لذة الإجابة، واعلم أن الدعاء الذى يحبه الله هو مدحه والثناء عليه فهو لب الدعاء وليس طلب الأغراض والأعراض.

٧- لا يشككنك فى الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا فى بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك.

فقد يكون مترتبا على أسباب وشروط غيبية أخفاها الله تعالى عنك فلما أخبر يونس عليه السلام قومه بوقوع العذاب وفر عنهم وكان ذلك متوقفا على عدم إسلامهم، فلما أسلموا تأخر عنهم العذاب.

وقوله تعالى لنوح ﴿ **وأهلك**﴾[٢] فقال نوح عليه السلام ﴿**إن ابنى من أهلى**﴾[٣] ومع ذلك غرق مع من غرق فأخبره تعالى بأنه كان متوقفا على صلاحهم.

ولذلك قال العبد الصالح عليه السلام ﴿ **ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شئ علما**﴾[٤]

ويوم بدر حين دعا النبىﷺ حتى سقط الرداء عن كتفيه لعدم وقوفه مع ظاهر الوعد.

وقد يطلعك الله على القضاء ولا يطلعك على اللطف فيه حتى أنه ينزل قضاء وكأنه لم ينزل.

٨- إذا فُتِحَ لك باب من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك فإنه ما فتحه لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مِهديها إليه وأين ماتهديه إليه مما هو مورده عليك.

إذا طرقت بابى من الدهرفاقة فتحت لها باب المسرة والبشر
وقلت لها أهلا وسهلا مرحبا وقتك عندى أحظى من ليلة القمر

والتعرفات إما جمالية و إما جلالية، فالتعرفات الجمالية أكثر من أن تحصى ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[٥]

أما التعرفات الجلالية فثلاثة أقسام:

قسم عقوبة وطرد: فهو للذى يسئ الأدب فيعاقبه الحق تعالى ويكون صاحبه شخصا قانطا منكرا فيزداد طردا وبعدا.

وقسم تأديب وتنبيه: فهو للذى يسئ الأدب فيؤدبه الحق تعالى فينتبه لسوء أدب وينهض من غفلته فهى فى حقه نعمة فى مظهر نقمة.

وقسم زيادة وترق: فهو للذى تنزل به هذه التعرفات من غير سبب فيعرف فيها مواد الحق ويتأدب معها ويترقى بها.

٩- ادفن وجودك فى أرض الخمول فمانبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه.

كما لا يصح دفن الزرع فى أرض رديئة لا يجوز الخمول بحالة غير مرضية، فالقاتل يقتل نفسه بأدنى شئ من المباح والفقير الكذاب يقع فى المحرم ولا يقتلها.

فليس الخمول هو لزوم البيوت والفرار إلى الجبال فذلك هو عين الظهور، ولكن الخمول هو تحقق النفس بوصفها الأدنى، وهو الذل والفقر والجهل والضعف.

أما الإخلاص فهو على ثلاثة أنواع:

إخلاص العوام: وهو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية.

إخلاص الخواص: إخراج الخلق من معاملة الحق مع إخراج الحظوظ الدنيوية.

ومادام العبد يهاب الناس ويراقبهم فإنه لا يتحقق إخلاصه أبدا، فلا يتحقق الإخلاص حتى يسقط الناس من عينك وتسقط من أعينهم.

ومن أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء عليه أظهره أم خفاه، ولا يتحقق الإخلاص إلا لأهل الحضرة، وآفة الإخلاص الرياء وهو رؤية أن العطاء والمنع والضرر والنفع من الخلق، أو يعمل لله ويرجو على عمله الثواب ورفع العقاب، وهذا النوع جيد من وجه معلول من وجه آخر، وعند العارفين رياء وعند عامة الناس إخلاص.

قال تعالى ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾[٦] هو العمل السالم من الرياء ظاهرا وباطنا بحيث لا يريد عامله حظا دنيويا ولا أخرويا، فالعمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يقبل عليه والقلب المشترك الذى فيه إما حب الدنيا وإما حب الآخرة وإما حب الخصوصية.

والحضرة هى حضور القلب مع الرب وهى ثلاثة مراتب.

حضرة القلوب، للسائرين أهل المراقبة وحضرة الأرواح، للمستشرقين أهل المشاهدة وحضرة الأسرار، للمتمكنين أهل المكالمة .وهى مقدسة لا يدخلها إلا المتطهرين من جنبات الغفلات﴿ **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾ أى بحب الدنيا وشهود السوى.

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر و إلا تيمم بالصعيد وبالصخر

وهو معنى قوله تعالى ﴿ **أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها**﴾(٧) شبه العلم النافع بالمطر.

فإن لم تقدر على الطهارة الباطنية فعليك بطهارة الظاهر، وإن لم تقدر على طهارة المقربين فعليك بطهارة أهل اليمين، وإن لم تقدر على طهارة أهل المحبة فعليك بطهارة أهل الخدمة، فطهارة أهل المحبة الفكرة والنظرة، وطهارة أهل الخدمة بالمجاهدة والمكابدة.

وقدم إماما كنت أنت إمامه وصل صلاة الظهر فى أول العصر

أى قدم الشرع والعمل به بعد ما كنت تقدم هواك ومعناه علامة النهاية والرجوع إلى البداية أى تطهروا الطهارة الأصلية التى صاحبتكم فى بداية ظهوركم إلى الوجود وصلوا الصلاة الدائمة التى كنتم تصلونها فى بداية ظهور أحدكم فى العصر الأول.

فتلك صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

أي: فانضح بر شريعتك ببحر حقيقتك حتى تصير الشريعة هى عين الحقيقة والحقيقة هى عين الشريعة.

١٠- الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه ومما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه، فالحق ليس بمحجوب عنك إنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شئ لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهوله قاهر ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾[٨].

فمن مظاهر قهره احتجابه فى ظهوره، وظهوره فى بطونه، وبطونه فى ظهوره، فاحتجب بلا حجاب واقترب بلا اقتراب، بعيد فى قربه قريب فى بعده، احتجب عنهم بالوهم والوهم أمر عدمى مفقود، فما حجبه إلا شدة ظهوره، فانفرد الحق بالوجود الذاتى وليس مع الله موجود ﴿**كل شئ هالك إلا وجهه**﴾[٩] ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾[١٠] ﴿**وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس**﴾[١١] ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾[١٢] ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾[١٣].

«مرضت فلم تعدنى..» «وأنا الدهر..».

أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شئ ما خلا الله باطل .

فكل هذا أدل دليل على أن هذه الهياكل والأشخاص خيالات لا حقيقة لها فهى أشبه الظلال.

قال تعـالى ﴿ **وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخـرجنى مخرج صدق** ﴾[14] أى: تدخل فيه بالله وتخرج منه بالله.

فإذا كان أعزب لايتمنى الزواج وإذا كان متزوجاً لا يتمنى الفراق وإذا كان غنيا لا يتمنى الفقر ﴿ **وربـك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة** ﴾[15].

١٤- طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك منه.

وفى الحـديث «من شغله ذكرى عن مـسألتى أعطيتـه أفضل ما أعطى السائلين».

١٥- ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه.

١٦- ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك.

فالعمل بالله يوجب القربة والعمل › يوجب المثوبة، والعمل لله من أهل قول ﴿ **إياك نعبد** ﴾[16].

والعمل بالله من أهل قول ﴿ **وإياك نستعين** ﴾[17].

١٧- تشـوفك إلى مـابطن فيك من العـيـوب خـيـر من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب .

والعيوب إما عيوب النفس، وهو تعلقها بالشهوات الجسمانية، وإما عيوب القلب، وهو تعلقه بالشهوات القلبية، وإما عيوب الروح، وهو تعلقها بالحظوظ الباطنية طلبا للكرامات.

١١- يا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم! أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم!

قال رجل بين يدى الجنيد الحمد لله ولم يقل رب العالمين، فقال له الجنيد كمّله يا أخى فقال الرجل: وأي قدر للعالمين حتى يذكروا معه فقال الجنيد قله يا أخى فإن الحادث إذا قرن بالقديم تلاشى الحادث وبقى وصف القدم فالاتحاد محال.

فالناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وكلهم فى البحر ولا يشعرون وإنما حجبك عنه توهم موجود معه.

١٢- ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يظهر فى الوقت غير ما أظهره الله فيه.

عن عبد الله بن عباس عنهما قال «لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشئ كان ليته لم يكن أو لشئ لم يكن ليته كان.

وكان النبى ﷺ يقر الناس على ما أقامهم الله فيه فى الوقت ويرغبهم فيه فإذا نظرت إلى أحاديث الذكر قلت لا أفضل منه وإذا نظرت إلى أحاديث العلم قلت لا أفضل منه وإذا نظرت إلى أحاديث الكسب والسعى على العيال قلت لا أفضل منه، فإنها لا أفضل منها فى حق أهلها.

١٣- لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج.

١٨ـ لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله.

شرط الشيخ أربعة: علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية.

١٩ـ ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب.

قال بعضهم: أفضل العبادة ترك الدنيا لأهلها.

٢٠ـ ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع.

فليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مداومتة على ورده إنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه.

وصاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى أن حروفه كلها مجوفة، والقلب السليم هو الذى لا تعلق له بشئ دون الله .

قال تعالى: ﴿**ألم يجدك يتيما فآوى**﴾[١٨] فلا يأويك إليه إلا إذا صح يتمك مما سواه، وفى الحديث: «إن الله وتر يحب الوتر» أى القلب لا يشفع بشئ من الأغيار.

٢١ـ ما قادك شئ مثل الوهم.

وهم العوام حيث قادهم إلى التعلق بالخلق، ووهم الخواص حيث قادهم إلى ثبوت الآثار والوقوف مع الأنوار، أما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شئ حتى قال قائلهم: لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى أشهده معه.

٢٢- من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان.

فالناس ثلاثة، اما أهل الشمال فلا كلام عليهم واما أهل اليمين فلهم إقبال بوجه ما. لكن لا خصوصية لهم لأنهم قنعوا بظاهر الشريعة ولم يلتفتوا إلى سلوك طريقة ولا حقيقة ووقفوا مع الدليل والبرهان ولم ينهضوا إلى مقام الشهود والعيان، وأما السابقون فقد أقبلوا على الله متوجهين إليه طالبين الوصول إلى معرفته وهم فى ذلك قسمين، إما أصحاب بلاء وامتحان وإما أصحاب لطف وإحسان.

وقد مدح الله الغنى الشاكر فقال: ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب**﴾[١٩] ومدح الفقير الصابر فقال: ﴿ **إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾[٢٠] فمدحها بمدح واحد فعلم أن الفقير الصابر هو الغنى الشاكر لأن الغنى والفقر هو غنى القلب وفقره ولا عبرة بما فى اليد.

خرج الحسن بن على يوما فى أبهى زينة فقابله يهودى رث الهيئة عليه أثر الفقر فقال له أما يقول جدك: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». قال: نعم قال: فمالى أراك وأنت تزعم أنك مؤمن فى هذه الحال وأنا بهذا الحال فقال له الحسن رضي الله عنه لو رأيت ما أعد الله لنا فى الآخرة من الخير والكرامة لعلمت أننا اليوم فى سجن ولو قارنت ما أعد الله لك من العذاب لعلمت أن ما أنت فيه اليوم بالنسبة له إنما هو جنة.

فإنما يقال للمريد وما تلك بيمينك أيها المريد فيقول دنياى أعتمد عليها فيقال: ألقها من يدك فإذا هى حية كانت تلدغه وهو لا يشعر فإذا آيس منها واستأنس بالله قيل له خذها ولا تخف لأنك تأخذها بالله.

قالوا: من لم يعرف قدر النعم بوجودها عرفها بفقدانها.

٢٣- إذا رأيت عبدا أقامه الله بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا تستحقرن مامنحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ماكان ورد .

أى: إذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى فى الصلاة والصيام والذكر وأدامه عليها مع تقويته فى الباطن وصرف الشواغل فى الظاهر لكنه لم يفتح عليه فى علم الأذواق والقلوب فلا تستحقرن حاله.

٢٤- قلما تأتى الواردات الإلهية إلا بغتة صيانة لها لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد.

٢٥- الرجاء ما قارنه العمل وإلا فهو أمنية.

٢٦- لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله.

٢٧- بسطك كى لايبقيك مع القبض وقبضك كى لا يتركك مع البسط وأخرجك منهما كى لا تكون لشئ دونه.

٢٨- ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك.

فربما أعطاك ما تشتهيه النفوس فمنعك حضرة القدوس، وربما أعطاك متعة الدنيا وزهرتها فمنعك جمال الحضرة وبهجتها، وربما

أعطاك قوت الأشباح فمنعك قوت الأرواح، وربما أعطاك القطبانية فمنعك التمتع بشهود الفردانية، ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾[٢١]

٢٩ـ متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع وهو عين العطاء.

٣٠ـ إذا أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعزيفنى .

٣١ـ العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله إحسان.

قال سيدى عبد السلام بن مشيش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اهرب من خيرهم أكثر من أن تهرب من شرهم فإن خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ولعدو تصل به إلى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك، ولذلك قال رسول الله ﷺ «إذا أسدى إليكم أحد معروفا فكافئوه» أى لتسقطوا منه عليكم

٣٢ـ كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا.

٣٣ـ ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح عليك القبول وربما قضى عليك الذنب فكان سبب الوصول.

٣٤ـ متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك.

قال رسول الله ﷺ «من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة».

٣٥ـ ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه وتعالى هو المبتلى لك فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار.

قال سرى رضي الله عنه خاطبنى ربى فقال يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين معى لا الدنيا أردتم ولا الآخرة أخذتم فماذا تريدون؟ قالوا إنك تعلم ما نريد فقلت إنى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم مالا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون قالوا: إن كنت أنت المبتلى فافعل ما شئت، هؤلاء عبادى حقا.

٣٦ـ من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره.

٣٧ـ سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى إظهار العبودية

قال أبو العباس المرسى رضي الله عنه لو كشف عن نور الولى لعبد من دون الله، فالحلاج لما تجلى له هذا النور قال سبحانك سبحانى فقتل فمن لطفه تعالى أن ستر هذا النور.

٣٨ـ لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب بتأخر أدبك.

٣٩ـ ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه.

أى ليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات كمل تخليصه من العوائد والشهوات وإنما تأتيه الكرامة إنهاضا له على العمل أو اختبارا له يقف معها، أو زيادة له فى يقينه أو يقين الغير، والقاعدة تقول المزية لا تقتضى الأفضلية.

٤٠ـ لا يستحقر الورد إلا جهول، يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار، الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه؟.

٤١ـ ورود الإمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار.

٤٢ـ الغافل إذا أصبح نظر ماذا يفعل والعاقل ماذا يفعل الله به.

٤٣ـ إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شئ لغيبتهم عن الله فى كل شئ فلو شهدوه فى كل شئ لم يستوحشوا من شئ.

٤٤ـ لما علم أنك لا تصبر عنه أشهدك ما برز منه، لكن لابد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب.

٤٥ـ متى طلبت عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه.

قال تعالى:﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا**﴾[٢٢] ولم يقل منهم فعن تفيد التجاوز كأنه قال أولئك الذين نتجاوز عنهم فى أحسن ما عملوا فنتقبلها منهم.

٤٦ـ إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك.

فإذا قلت يارب بفضلك استعملت وأنت أعنت وسهلت شكر الله وقال يا عبدى بل أنت أطعمت وأنت تقربت وسأدخلك الجنة.

أما إذا قلت أنا عملت و أنا عبدت قال لك بل أنا يسرت وأنا سهلت وأنا أعنت وسأدخلك النار.

وإذا فعلت المعصية فقلت أنا عملت وأنا أجرمت وأنا أسأت قال تعالى بل أنا قضيت وقدرت وسأغفرها لك.

أما إذا قلت أنت قضيت وقدرت قال لك بل أنت عملت وأنت أسأت وسأدخلك النار.

٤٧ـ كن بأوصاف ربوبيتك متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا.

أوصاف الربوبية: العز والكبرياء والعظمة والغنى والقدرة والعلم وعكسها أوصاف العبودية. فكل الأسماء والصفات تصلح للتعلق فتكون فى باطنك عزيزا قويا بالله عظيما كبيرا عنده قويا فى دينه ومعرفته عالما به وبأحكامه، وحاصلها استعمال الحرية فى الباطن والعبودية فى الظاهر.

تتحقق بوجود أوصاف العبودية فى الظاهر حتى يكون ذلك شرفا عندك وتستحيله وتغتبط به.

فأهل الظاهر ينافسون فى العلو أيهما أعلى من الآخر، وأهل الباطن يتنافسون فى الحنو أيهما أحنى من الآخر.

٤٨- منعك أن تدعى ما ليس لك مما هو للمخلوقين، أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين.

من غيرته تعالى أن اختص بأوصاف الربوبية ونهانا عن إظهارها والتحلى بها فى الظاهر أو ادعاء ذلك فى الباطن.

٤٩- ليس الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسب الأدب.

فالعارف المحقق لم يبق له شئ يطلبه لأنه قد حصل على الغنى الأكبر بمولاه.

والآداب إما آداب فى الظاهر بإقامة الحقوق، وإما آداب فى الباطن بالإعراض عن كل مخلوق، وإما آداب فيهما وذلك بالانحياش للحق والدوام بين يديه على بساط الصدق.

فإذا أردت العطايا فلابد من المسكنة ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** ﴾[٢٣] وإن أردت الإجابة فعليك بالإضطرار ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾[٢٤] وإن أردت النصر فعليك بالذلة ﴿ **ولقد نصركم ببدر وأنتم أذلة** ﴾[٢٥]

٥٠- لو كنت لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته، فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه

فالله تعالى إذا أراد أن يطوى عن عبده مسافة البعد أظهر له من أنوار قدسه نعوت وصفه ما يغيب به العبد عن شهود نفسه فحينئذ تفنى المساوى وتنمحق الدعاوى بما من الله إلى العبد من سابق العناية والوداد لا بما من العبد إلى الله من الكد والإجتهاد.

٥١- أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إليه إذا عصيته.

وفى الحديث «انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى» ومن كان الله عنده فهو أعظم من ألف مطيع توجب له طاعته طرده وبعده.

الستر فى المعصية طلب العامة حتى لا يسقطوا من نظر الخلق، والستر عن المعصية طلب الخاصة.

أما خاصة الخاصة فلا يطلبون شيئا ولا يخافون من شيئ، وأما أناس نظروا فرأو الله فى أعين الناس فاستحيوا من الناس حياء من الله وهو معنى قوله ﷺ «من لم يستح من الناس لم يستح من الله».

٥٢- من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك.

قال تعالى ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا**﴾(٢٦) .

٥٣ـ ما حـجبك عن الله وجود موجـود معـه إذ لا شئ معـه ولك حجبك عنه توهم موجود معه.

الحق تعالى منزه عن الأين والكيف والجهة والمادة والصورة ومع ذلك لا يخلو من أين ولا مكان ولاكم ولاكـيف ولاجـسم ولاجـوهو ولاغـرض لأنه للطفه سارفى كل شئ ولنوريتـه ظاهر فى كل شئ ولإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بذلك.

ومانصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها ﴿ **قل انظروا ماذا فى السموات**﴾[٢٧] فلم يأمرك بالنظر إلى جرم السماء ولكن إلى ما فى السموات من سر الذات.

وأعلم أن التجلى ذاتى أو صفاتى، فالذاتى كله جلال والصفاتى كله جمال، والحق تعالى لما ندب عباده إلى معرفته درجهم شيئا فشيئا فدلهم أولا على توحيد الأفعال فقال ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾[٢٨].

﴿ **إن ربك فعال لما يريد**﴾[٢٩] ﴿ **ما يمسكهن إلا الرحمن**﴾[٣٠] ﴿ **وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها**﴾[٣١].

ثم دلهم على توحيد الصفات ﴿ **إنه هو السميع البصير**﴾[٣٢] ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾[٣٣].

ثم على توحيد الذات ﴿ **هو الله فى السموات وفى الأرض**﴾[٣٤] ﴿ **الله نور السموات والأرض**﴾[٣٥].

﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[٣٦] ﴿وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾[٣٧]﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾[٣٨].

٥٤ـ الناس يمدحونك لما يظنون فيك، فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها.

قال المحاسبى رضي الله عنه مثل الذى يفرح بمدح الباطل كمن يقال له العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة المسك، وهو يفرح لذلك ويرضى بالسخرية به.

فالعوام يفرحون بالمدح ويكرهون الذم، والعباد والزهاد وأهل السلوك والرياضة يكرهون المدح ويحبون الذم والعارفون يفرحون بالمدح لشهوده من مولاهم وينقبضون من الذم لشهودهم جلال من تولاهم.

٥٥ـ إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون آخر ذنب قدر عليك

مثل الفارس على فرسه إن زل أو كبا إستوى على جواده واستمر فى سيره فإذا سقط وجعل يتمرغ فى سقطته انقطع وتأمل ما وقع لكثير من الأكابر كانوا لصوصا فصاروا خصوصا.

فالمؤمن لا يقف مع معصية ولا يركن إلى طاعة ولا يغلب عليه خوف ولا رجاء.

خصلتان ليس فوقهما شئ من الخير ، حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس، وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بالناس.

٥٦- ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار.

قال الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه لسيدى أبى الحسن رحمه الله أشكوا إلى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار، خاف أن يحجب بحلاوة الرضى عن شهود الذات.

٥٧- سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصلهم إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه.

وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به، وصولك إليه وصولك إلى عارف به، فلا طريق إلى معرفة الله إلا من طريق معرفتهم.

قال الشيخ أبو العباس المرسى معرفة الولى أصعب من معرفة الله، فإن الله معروف بكماله وجلاله ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب.

٥٨- ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد.

٥٩- لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك.

الأخذ من غير سؤال له شرطان:

١- لا يأخذ ممن كسبه حرام أو فيه شبهه.

٢- لا يقبض حتى يرى أنما يقبض من الله.

الأخذ بسؤال: السؤال أصله الجواز ﴿ **وأما السائل فلا تنهر**﴾(٣٩) ثم تعتريه الأحكام الخمسة:-

١- **واجب**: وهو ما يكون لسد الرمق فأوجبه الشرع خوفا من فوات الحياة البشرية وأوجبته الصوفية لمن خاف فوات الحياة الروحانية، فقد نقل القسطلانى فى شرحه على البخارى عن ابن عربى المعافرى أنه قال هو واجب على المريد فى البداية.

٢- **مندوب**: فهو أن يسأل لغيره إن كان غيره يستحى، وقد سأل النبى ﷺ لأصحابه حين أتوه عراة.

٣- **مكروه**: فهو أن يسأل لقوت البشرية مع القدرة على الاستغناء وهذا مالم ينقطع للعبادة ويتجرد للذكر.

٤- **مباح**: أن يسأل الحاجة الغير ضرورية كسؤاله لقضاء دينه أو مايزيد على ستر عورته وسد رمقه.

٥- **محرم**: أن يسأل تكثرا و زيادة على ما يكفيه.

فمشروعيته لقتل النفوس لا لقبض الفلوس، أما ما يأخذه من السؤال فإن كان فقيرا إليه أخذه، وإن كان غنيا عنه تصدق به خفية بالليل.

٦٠- حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها.

فالواجبات من صلاة وصيام إذا فاتتك أمكنك قضاؤها أما حق الوقت إذا فات فلا تستطيع قضاءه، وذلك أن كل لحظة تمر بك لها عندك حق أكيد من شكر أو استغفار فإذا مرت بغير إعطائها حقها دخلت لحظة أخرى لها حق آخر من الشكر والاستغفار فلم تستطع قضاء حق لحظة من الزمان فى لحظة أخرى إذ أن لها حقا آخر.

٦١- ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه.

٦٢- متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا يقنعك علمه وفيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم، إنما أجرى الأذى عليهم كى لا تكون ساكنا إليهم.

فَهِمَ قوم أن الشيطان لهم عدو فاشتغلوا بمحاربته ففاتهم محبة الحبيب، وفهم قوم أن الشيطان لهم عدو وأن الله لهم حبيب فاشتغلوا بمحبة الحبيب فكفاهم عداوة العدو.

وجعل الله بحكمته الشيطان والنفس والناس حراسا للحضرة فلا يدخل الحضرة إلا من غلبهم، ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**﴾(٤٠) فإن كان هو يرانا من حيث لا نراه فالله يراه من حيث لا يرى الله، فالنفس والشيطان

نقمتان فى الظاهر لمن توقف معهما وحجب بهما، وجزاهما الله عن الأولياء خيرا ما عليهم إلا فضل الله وفضلها وهم لا ينسون جميلهما إذ لولا حركهما الله عليك لما دام إقبالك عليه.

٦٣ـ ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع.

قال أبو يزيدرضي الله عنه ما دام العبد يرى فى الخلق أشر منه فهو تكبر.

تواضع أهل اليمين عن مجاهدة وتصنع، وتواضع العارفين نتيجة لشهود عظمة المعبود، فلا يخرجك من شهود أوصافك اللئيمة إلا شهود صفاته القديمة، ولا يخرجك من شهود فعلك إلا شهود فعله، وعن شهود ذاتك بشهود ذاته.

٦٤ـ أنت مع الأكوان ما لم تشهد الكون فإذا شهدته كانت الأكوان معك.

فالكون كله يهابه ويعشقه وفى الحديث «اشتاقت الجنة إلى على وصهيب وبلال» والنار تهابه فقد ورد فى الحديث أن النار تقول «جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى».

٦٥ـ لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية .

فلا يلزم من رفع الهمة عن الأكوان استغناؤه عما تحتاج إليه البشرية ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق**﴾[٤١]. ﴿ **ولقد أرسلنا رسلا من**

قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾[٤٢] إلا أن أهل الخصوصية انقلبت حظوظهم حقوقا، فالخصوصية محلها الباطن والبشرية محلها الظاهر.

٦٦- قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم.

فالذين تسبق أنوارهم هم الواصلون فهذا ذاكرا استنار قلبه فذكر، والذين تسبق أذكارهم أنوارهم هم السائرون فهذا ذاكرا ذكر ليستنير قلبه.

فالذاكر قد أكرمه الله تعالى كرامات ثلاث: جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك، وجعلك مذكورا فقال ﴿**اذكرونى أذكركم**﴾[٤٣] «ذكره فى نفسه» ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾[٤٤] فحقق نسبته اليك، وجعلك مذكورا عنده «ذكرته فى ملأ خير منهم» فتم نعمته عليك.

٦٧- إن قرة العين بالشهود على قدرة المعرفة بالمشهود.

قال رسول الله ﷺ «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» فلم يقل بالصلاة ولكن قال فى الصلاة أى قرة عينه ﷺ بشهوده › فى الصلاة، ومحال أن يراه ويشهد معه سواه.

قال ﷺ «أعبد الله كأنك تراه» فلو قال لأنك تراه لكان إفشاء لسر الربوبية.

وقال تعالى ﴿ **فبذلك فليفرحوا**﴾(٤٥) ولم يقل فبذلك فافرح يا محمد لأن فرحهم بالفضل وفرحك بالمتفضل.

٦٨ـ الناس في ورود المنن عليهم على ثلاثة أقسام، قسم فرح بالمنن لا من حيث مبدئها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين، وقسم فرح بها من حيث إنه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها فيصدق عليه قوله تعالى ﴿ **فبذلك فليفرحوا**﴾(٤٦) وقسم فرح بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر إلى الله عما سواه.

٦٩ـ رب عمر اتسعت آماده، وقلت أمداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده.

فنفس واحد من نفس المخلصين خير من ملء الأرض من عباده المتعبدين.

٧٠ـ وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك.

ومن هنا قال عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه والعرش والكرسي في طي قبضتي.

٧١ـ من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها .

قال الجنيد: الشكر أن لا يعصى الله بنعمة.

الشكرعلى ثلاثة أقسام: شكر اللسان وهو التحدث بنعم الله ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾[٤٧] وشكر الأركان العمل بالطاعة لله تعالى قال تعالى ﴿ اعملوا آل داود شكرا ﴾[٤٨] .

وشكر الجنان بالاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هى من الله تعالى ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾[٤٩] ومن القسم الأول قول رسول الله ﷺ «التحدث بالنعم شكر»، ومن القسم الثانى أنه ﷺ قام حتى تورمت قدماه فلما سئل قال «أفلا أكون عبدا شكورا» .

شكر العوام على النعم فقط، وشكر الخواص على النعم والنقم وشكر خواص الخواص الغيبة فى المنعم عن شهود النعم والنقم.

الهوامش

(١) سورة القصص الآية ٦٨

(٢) سورة هود الآية ٤٠

(٣) سورة هود الآية ٤٥

(٤) سورة الأنعام الآية ٨٠

(٥)سورة إبراهيم الآية ٣٤ وسورة النحل الآية ١٨

(٦) سورة فاطر الآية ١٠

(٧) سورة الرعد الآية ١٧

(٨) سورة الأنعام الآية ١٨

(٩) سورة القصص الآية ٨٨

(١٠) سورة البقرة الآية ١١٥

(١١) سورة الإسراء الآية ٦٠

(١٢) سورة الأنفال الآية ١٧

(١٣) سورة الفتح الآية ١٠

(١٤) سورة الإسراء الآية ٨٠

(١٥) سورة القصص الآية ٦٨

(١٦) سورة الفاتحة الآية ٥

(١٧) سورة الفاتحة الآية ٥

(١٨) سورة الضحى الآية ٦

(١٩) سورة ص الآية ٣٠

(٢٠) سورة ص الآية ٤٤

(٢١) سورة البقرة الآية ٢١٦

(٢٢) سورة الأحقاف الآية ١٦

(٢٣) سورة التوبة الآية ٦٠

(٢٤) سورة النمل الآية ٦٢

(٢٥) سورة آل عمران الآية ١٢٣

(٢٦) سورة النور الآية ٢١

(٢٧) سورة يونس الآية ١٠١

(٢٨) سورة القصص الآية ٦٨

(٢٩) سورة هود الآية ١٠٧

(٣٠) سورة الملك الآية ١٩

(٣١) سورة هود الآية ٥٦

(٣٢) سورة الإسراء الآية ١

(٣٣) سورة الحديد الآية ٣

(٣٤) سورة الأنعام الآية ٣

(٣٥) سورة النور الآية ٣٥

(٣٦) سورة البقرة الآية ١١٥

(٣٧) سورة الإسراء الآية ٦٠

(٣٨) سورة الفتح الآية ١٠

(٣٩) سورة الضحى الآية ١٠

(٤٠) سورة النحل الآية ٩٩

(٤١) سورة الفرقان الآية ٢٠

(٤٢) سورة الرعد الآية ٣٨

(٤٣) سورة البقرة الآية ١٥٢

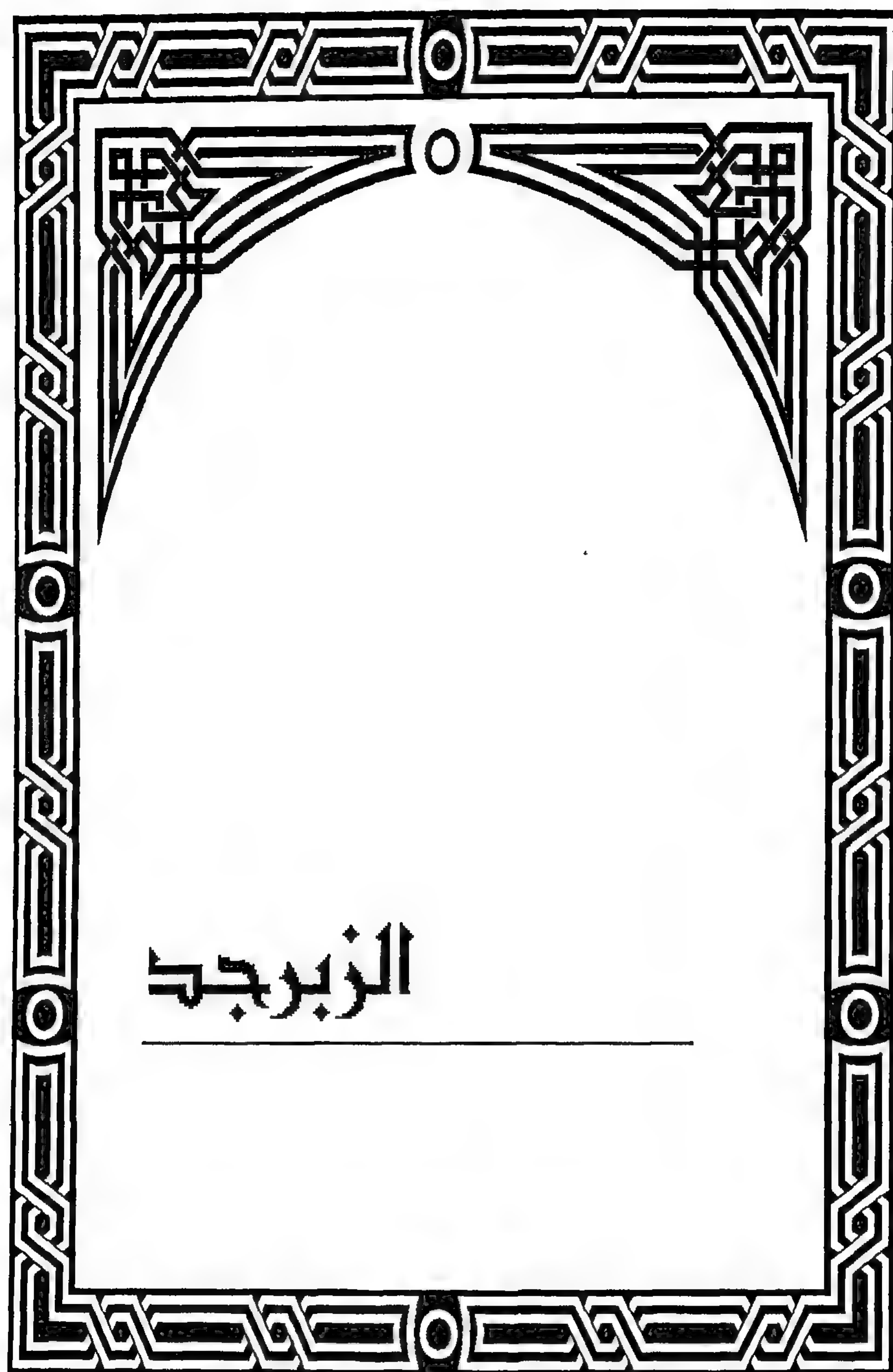
(٤٤) سورة العنكبوت الآية ٤٥

(٤٥، ٤٦) سورة يونس الآية ٥٨

(٤٧) سورة الضحى الآية ١١

(٤٨) سورة سبأ الآية ١٣

(٤٩) سورة النحل الآية ٥٣.



الزبرجد

١ ـ يا عبد كلما عملت بعلم أسفر لك عن صفة من صفاته.

٢ ـ يا عبد إذا استقررت فى المعرفة كشفت لك عين اليقين بى فشهدتنى فغابت المعرفة، وغبت عنك وعن حكم المعرفة لا غيبة ذهاب عن معارف بل غيبة ذهاب عن حكم معرفة وغيبة ذهاب عن حكم عارف، فإذا استقررت فلا تحكم عليك المعرفة. إنما أنا أحكم فإذا لم تحكم عليك المعرفة ولم تكن بحكمها أدركت مبلغ العلم وإذا أدركت مبلغ العلم قمت بحجتى فى كل شئ وعلى كل شئ ووجب عليك النطق به فانتظر إذنى لك به تنطق عنى فتخبر عنى فتكون من سفرائى، فإن لم تنتظر إذنى نطقت عن العلم فأخبرت عن العلم فكنت سفيرا للعلم، ومن علامة إذنى لك النطق أن تشهد غضبى إن صمت وتشهد زوال غضبى إن نطقت .

٣ ـ يا عبد من لم يرنى فلا عمله نفع ولا جهله ارتفع.

٤ ـ ياعبد ما حجبك شئ ولا أوصلك شئ أنا الحاجب وأنا الموصل.

٥ ـ يا عبد إذا رأيتنى أصرفك عن السوى ولا أصرفه عنك ففر إلىّ من فتنتى، واستعذ بى من مكرى، وسل عنى العالم والجاهل واسلك إلى الأمن والخطر.

٦ ـ يا عبد من عرفنى بى عرفنى معرفة لا ينكرنى بعدها أبدا.

٧ ـ يا عبد ذكرى لك هو تعرفى إليك.

٨ ـ يا عـبـد من لم أتعرف إليـه لا يعـرفنى ومن لم يعـرفنى لم أسمع منه.

٩ ـ يا عبد ما أقبض إلا بما أبسط ولا أبسط إلا بما أقبض.

١٠ ـ يا عبد أنا القريب فلا تعرف قربى معارف العارفين وأنا البعيد فما تدرك بعدى علوم العالمين وأنا الدائم فلا تخبر عنى الآباد وأنا الواحد فلا تشبهنى الأعداد.

أنا الظاهر فلا ترانى العيون وأنا البـاطن فلا تطيف بـى الظنون وأنا الودود فلا ينصرف وجهى ما انصرفت وأنا الوهّاب فلا أسلب ما وهبت وأنا المنيل فلا أسترد ما أنلت.

١١ ـ يا عبد قد رأيتنى فى كل قلب فدلّ كل قلب علىّ لا على ذكرى لأخاطبه أنا فيهتدى ولا تدله إلا على فإنك إن لم تدله على دللته على التيه فتاه عنى وطالبتك به.

١٢ ـ يا عبد انظر إلى عفوى كيف يتلقى الذنوب كلها ولا يدعها تصعد إلى.

١٣ ـ يا عبـد لا تدعنى وأنت وراء الحـجاب إلا بكشف الحـجاب فهذا فرضك ونفلك.

١٤ ـ يا عبد تريد قيام الليل وتريد توفير أجزاء القرآن هنالك لاتقوم إنما يقوم الليل من قام إلى لا إلى ورد معلوم ولا إلى جزء مفهوم، هنالك أتلقاه بوجهى فيقف بقيوميتى لا يريد لى ولا يريد منى فإن شئت أن أحادثة حادثته وإن شئت أن أفهمه أفهمته، انصرف أهل الورد حين بلغوه وانصرف أهل الجزء من القرآن حين قرأوه ولم ينصرف أهلى فكيف ينصرفون.

١٥ ـ يا عبد إذا لم ترنى فأنت من العموم ولو جمعت لك أعمال العاملين.

١٦ـ يا عبد جالس العلماء تنفع وتنتفع، وإن رأيتنى فما أحد منك ولا أنت منه، إن رأيتنى فالعلماء عليك حرام والعلم بك إضرار، وإذا لم ترنى فجالس العلماء واستضئ بنور العلم، نور العلم يضئ لك عنه لا عنى، العلماء يدلونك على طاعتى لا على رؤيتى.

١٧ ـ يا عبد معصيتى وأنت ترانى محاربتى، معصيتى وأنت لا ترانى معصيتى، أعددت لك عذرا فى معصيتى أعددت لك حربا وسلبا فى محاربتى، وحربى لك تخليتى بينى وبين ما حاربتنى عليه.

١٨ ـ يا عبد لو عقلت عنى لاستعذت بى من شر حاجتك.

١٩ ـ يا عبد ليس الأمين على العلم من عمل به، إنما الأمين من رده إلى عالمه.

٢٠ ـ يا عـبـد أعطيتك بالعطاء والمنع ومنعتك بالعطاء والمنع فذممتنى على العطاء بالمنع وشكرتنى على المنع بالعطاء.

٢١ ـ يا عبد استعذ بى مما تعلم تستعذ بى منك، واستعذ بى مما لا تعلم تستعذ بى منى.

٢٢ ـ يا عبد كيف لا تطلب منى وقد أحوجتك، أم كيف تطلب منى وقد بدأتك.

٢٣ـ يا عبد اصحبنى إلىّ تصل إلىّ

٢٤ ـ يا عبد الحاجة لسانى عندك فخاطبنى به أسمع وأجب.

٢٥ ـ يا عبد عكوفك على الدنيا أحسن من عبادتك للآخرة.

٢٦ ـ يا عبد ترانى يوم القيامة كما ترانى يوم فرحك وحزنك.

٢٧ ـ يا عـبد إن لم تنظر إلىّ فى الشئ نظرت إليه، فإذا نظرت إليه فجأة وهو أن تراه ولا ترانى قبل رؤيتك له تداركتك وإن نظرت إليه بعد رؤيتك إليه إياى فيه نظرت متعمدا فسلطته عليك.

٢٨ ـ يا عبد الكشف جنة الجنة والحجاب نار النار.

٢٩ ـ يا عبد ابن لقلبك بيتا جدرانه مواقع نظرى فى كل مشهود وسقفه قيوميتى بكل موجود وبابه وجهى الذى لا يغيب.

٣٠ ـ يا عبد اهدم ما بنيته بيدك قبل أن أهدمه بيدى.

٣١ ـ يا عبد لم أرضك إلا لرؤيتى فلا ترضك لغيبتى.

٣٢ ـ يا عبد قلبٌ أنظر فيه لا يعقد على حسنة ولا يصر على سيئة.

٣٣ ـ يا عبد من لم يرنى فى الدنيا لا يرانى فى الآخرة.

٣٤ ـ يا عبد علامة مغفرتى فى البلاء أن أجعله سببا لعلم.

٣٥ ـ يا عبد طلبك منى أن أعلمك ما جهلت كطلبك أن أجهلك ما علمت فلا تطلب منى أكفك البتة.

٣٦ ـ يا عبد صنعت لك كل شئ فكيف أرضاك لشئ.

٣٧ ـ يا عبد لا تعتذر فمخالفتى أعظم من العذر وإن تعتذر فكرمى أعظم من الذنب.

٣٨ ـ يا عبد أخلصتك لنفسى فإن أردت أن يعلم بك سواى فقد أشركت بى، وإذا سمعت من سواى فقد أشركت بى.

٣٩ ـ يا عبد اقشعرار الجلود من آثار نظرى عن حكم إقبالى عليك وذكرى لا عن حكم إقبالك علىّ وذكرك لى تقشعر جلودهم من ذكر الله، أى من ذكرى إياهم.

٤٠ ـ يا عبد إن لم يصعد عملك من الباب الذى نزل منه علمك لم يصل إلىّ.

٤١ ـ يا عبد أعلن توبتك لكل شئ يستغفر لك كل شئ.

٤٢ ـ يا عبد أظهرنى على لسانك كما ظهرت على قلبك وإلا احتجبت عنك بك.

٤٣ ـ يا عبد إن لم تأكل من يدى وتشرب من يدى لم تستو على طاعتى.

٤٤ ـ يا عبد اطرح ذنبك تطرح جهلك، إن ذكرت ذنبك لم تذكر ربك.

٤٥ ـ يا عبد النعيم كله لا يعرفنى ولو عرفنى لانقطع بمعرفتى عن التنعيم ، والعذاب كله لا يعرفنى ولو عرفنى لانقطع بمعرفتى عن التعذيب.

٤٦ ـ يا عبد الطبقة الأولى يعذبون بالسطوة، والثانية بالعزة، والثالثة بالجبروت، والرابعة بالكبرياء، والخامسة بالسلطان، والسادسة بالعظمة، والسابعة بالذات الطبقة الأولى يتنعمون بالتنعيم، والثانية بالكرم، والثالثة بالعطف، والرابعة بالود، والخامسة بالحب، والسادسة بالرضا، والسابعة بالاصطفاء ، والثامنة بالنظر. ﴿ **إليه يرجع الأمر كله** ﴾[1]. فقف عندى تقف من وراء كل وصف.

٤٧ ـ يا عبد القرآن يبنى والأذكار تغرس.

٤٨ ـ يا عبد إذا قلت لك قف فقف لى لا لك ولا لأخاطبك ولا لآمرك ولا لتسمع منى ولا لما تعرف منى بل لتنظر إلىَّ وأنظر إليك، فإذا عرفت كيف تقول إذا قلت لك قف لى فقد فتحت لك الباب

(١) سورة هود الآية ١٢٣.

إلىّ ، فلا أغلقه دونك أبدا، وأذنت لك أن تدخله إلىّ فلا أمنعك أبدا، لك أن تدخل متى شئت وليس لك أن تخرج إذا شئت.

٤٩ ـ يا عبد العبدانية أن تكون عبدا بلا نعت، فإذا كنت بنعت اتصلت عبدانيتك بنعتك لابى. عبد خائف استمدت عبدانيته من خوفه. عبد راج استمدت عبدانيته من رجائه. عبد محب استمدت عبدانيته من محبته. عبد مخلص استمدت عبدانيته من إخلاصه. قل لسريرتك تقف بين يدى لا بشئ ولا لشئ واجعل الملكوت الأكبر من ورائك واجعل الملك الأعظم تحت رجليك. فحينئذ تلجأ إليك الخليقة فى شدائد الدنيا والآخرة وإليك يلجأ من رآنى ومن لم يرنى، من عرفنى ومن لم يعرفنى.

سأرسلهم إليك ابتلاء وأنا مؤذنك بأنى أرسلتهم إليك اجتباء وأنا معلمك كيف تعمل إذا ما أتوك اصطفاء.

٥٠ ـ يا عبد أقرر عينا بما أشهدتك من النار أشهدتكها تسبحنى وأشهدتكها تذكرنى وأشهدتكها تعرفنى وتفزع منى. وما أشهدتك ذاك منها حتى أشهدتها ذاك منك فأشهدتك منها مواقع ذكرى وأشهدتها منك مواقع نظرى ما كنت لأجمع بين ذكرى ونظرى فى انتقامى.

٥١ ـ يا عبد يتعلق العارف بالمعرفة ويدعى أنه تعلق بى ولو تعلق بى هرب من المعرفة كما يهرب من النكرة.

٥٢ ـ يا عبد إنما تأخذ أجرك ممن أصبحت له أجيرا فأنت أجير من تعمل من أجله. إن كنت أجيراً للعلم أعطاك العلم الثواب، وإن

كنت أجيراً للمعرفة أعطتك المعرفة، فكن أجيرى أرفعك فوق العلم والمعرفة فترى أين يبلغ العلم؟ وترى أين ترسخ المعرفة؟ فلا تسعك المعرفة ولا يستطيعك الرسوخ.

٥٣ ـ يا عبد لابد من أن أتعرف إليك وتعرفنى إليك بلاء أحببت فيك البلاء، معرفتك بالبلاء بلاء إنكارك للبلاء بلاء.

٥٤ ـ يا عبد رأونى وحجبتهم برؤيتهم إياى عنى.

٥٥ ـ يا عبد ما سمعوا منى قط ولو سمعوا ما قالوا لا.

٥٦ ـ يا عبد تموت ولا يموت ذكرى لك.

٥٧ ـ يا عبد كلك يعرفنى وليس كلك يجحدنى.

٥٨ ـ يا عبد عرفنى إلى من يعرفنى يرانى عندك فيسمع منى، ولا تعرفنى إلى من لا يعرفنى يراك ولا يرانى فلا يسمع منى وينكرنى.

٥٩ ـ يا عبد إن عرفتنى بمعرفة أنكرتنى من حيث عرفتنى

٦٠ ـ يا عبد من سألك عنى فسله عن نفسه، فإن عرفها فعرفنى إليه، وإن لم يعرفها فلا تعرفنى إليه فقد غلقت بابى دونه.

٦١ ـ يا عبد من أحببته أشهدته فلما شهد أحب.

٦٢ ـ يا عبد الليل لى لا للقرآن يتلى، الليلى لى لا للمحامد والثناء.

٦٣ ـ يا عبد لا ترجع إلى ذكر الذنب فتذنب بذكر الرجوع.

٦٤ ـ يا عبد انظر بعين قلبك إلى قلبك وانظر بقلبك كله إلى.

٦٥ ـ يا عبدإذا رأيتنى استوى الكشف والحجاب.

٦٦ ـ يا عبد ما صرفت عنك من الحجاب بالآخرة أكثر وأعظم مما صرفته عنك من الحجاب بالدنيا.

٦٧ ـ يا عبد فرق بين من غبت عنه ليعتذر ومن غبت عنه لينتظر، فارقت المنتظر وطالعت المعتذر.

٦٨ ـ يا عبد أسرع شئ عقوبة القلوب. فالقلب الذى لا يرانى هو محل البلاء.

٦٩ ـ يا عبد العلم على من رآنى أضر من الجهل.

٧٠ ـ يا عبد الحسنة عشرة لمن لم يرنى، والحسنة سيئة لمن رآنى.

٧١ ـ يا عبد إذا رأيتنى كانت سلامتك فى الفترة أكثر منها فى العبادة، وإذا لم ترنى كانت سلامتك فى العمل أكثر منها فى الفترة.

٧٢ ـ يا عبد شاور من لم يرنى فى دنياك وآخرتك، واتبع من رآنى ولا تشاوره.

٧٣ ـ يا عبد إذا رأيتنى فانظر إلى أكن بينك وبين الأشياء وإذا لم ترنى فنادنى لا لأظهر ولا لترانى لكن لأنى أحب نداء أحبائى لى.

٧٤ - يا عبد العلم بابى والمعرفة بوابى وهما غيرى.

٧٥ - يا عبد أن أردت لى كل شيء علمتك علما لا يستطيعه الكون، وتعرفت إليك معرفة لا يستطيعها الكون.

٧٦ - يا عبد إن ذهب قلبك عنى لم أنظر إلى عملك.

٧٧ - يا عبد إذا أمرتك فامضى لما أمرتك ولا تنتظر به من علمك إنك إن تنتظر بأمرى علم أمرى تعص أمرى.

٧٨ - يا عبد اجمع أول نهارك وإلا لهوته كله، واجمع أول ليلك وإلا ضيعته كله فإنك إذا جمعت أوله جمعت لك آخره.

٧٩ - يا عبد أنا الله لا يدخل إلى بالأجسام ولا تدرك معرفتى بالأوهام.

٨٠ - يا عبد كما تدخل إلىّ فى الصلاة تدخل إلىّ فى قبرك.

٨١ - يا عبد آليت لابد أن تمشى مع كل واحد أعماله فإن فارقها فى حياته دخل إلىّ وحده فلم يضق به قبره وإن لم يفارقها فى حياته دخلت معه فى قبره فضاق به لأن أعماله لا تدخل معه علوما إنما تتمثل له شخصا فيدخل معه.

٨٢ - يا عبد قف بين يدى لأنى ربك ولا تقف بين يدى لأنك عبدى.

٨٣ - يا عبد عهد عهدته إليك أن تعرفنى، لا يطالب بفراق سنتى لكن يطالب بسنة دون سنة وبعزيمة دون عزيمة فإن كنت

ممن قد رآنى فاتبعنى واعمل ما أشاء بالآلة التى أشاء لا بالآلة التى تشاء فالآلة هى سنتى فاعمل منها بما أشاء فيك لابما تشاء لى وتشاء منى فإن عجزت فى آلة دون آلة فعذرى لا يكتبك غادرا وإن ضعفت فى عزيمة دون عزيمة فرخصتى لا تكتبك عاثرا إنما أنظر إلى أقصى علمك إن كان عندى فأنا عندك.

٨٤ ـ يا عبد طلبك منى وأنت لا ترانى عبادة وطلبك منى وأنت ترانى استهزاء.

٨٥ ـ يا عبد آليت لا أقبلك وأنت ذو سبب أو نسب.

٨٦ ـ يا عبد إن لم تظفر بى أليس يظفر بك سواى.

٨٧ ـ يا عبد كل واقف عارف، وما كل عارف واقف، فالواقفون أهلى، والعارفون أهل معرفتى.

٨٨ ـ يا عبد اطلب كل شئ عند الواقف تجده واطلب الواقف عند كل شئ لاتجده، فإذا نزل البلاء تخطى الواقف وانزل على معرفة العارف وعلم العالم ولا يقدر العارف قدر الواقف.

٨٩ ـ يا عبد الوقفة عمود المعرفة والمعرفة عمود العلم فالعالم فى الرق والعارف مكاتب والواقف حر.

٩٠ ـ يا عبد العارف يعرف ويُعرَف والواقف يعرف ولا يعرف.

٩١ ـ يا عبد احترق العلم فى المعرفة واحترقت المعرفة فى الوقفة فالعارف يشك فى الواقف والواقف لايشك فى العارف، فما بلغت معرفة من لم يقف ولانفع علم من لم يعرف.

٩٢ - يا عبد العالم يرى علمه ولا يرى المعرفة، والعارف يرى المعرفة ولا يرانى، والواقف يرانى ولا يرى سواى، العالم يخبر عن العلم والعارف يخبر عن المعرفة والواقف يخبر عنى.

٩٣ - يا عبد أنا أقرب إلى كل شئ من نفسه والواقف أقرب إلىَّ من كل شئ.

٩٤ - يا عبد إن خرج العالم من رؤية بُعدى احترق وإن خرج العارف من رؤية قُربى احترق وإن خرج الواقف من رؤيتى احترق.

٩٥ - يا عبد العلم حجابى والمعرفة خطابى والوقفة حضرتى.

٩٦ - يا عبد العارف ذو قلب، والواقف ذو رب، فإخبارى للعارفين ووجهى للواقفين.

٩٧ - يا عبد القرب الذى تعرفه فى القرب الذى أعرفه كمعرفتك فى معرفتى، فأنا القريب البعيد، قربا هو البعد وبعدا هو القرب، فأنا أقرب إلى كل شئ من معرفته بنفسه.

٩٨ - يا عبد لو نطق ناطق العز لصمتت نواطق كل وصف ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف ولتبرأ أهل المعرفة من معرفتهم.

كلمة مختصرة عن مؤلف الكتاب

بقلم المهندس خالد شحات حماد

الحمد لله الذى فرغ لعبادته وخدمته أهل محبته وتقواه، وحلى ظواهرهم بطاعته وبواطنهم بمعرفته ليسكنهم من محل مرضاته الجنة أعلاه، والصلاة والسلام على خير خلقه ومصطفاه، والذى لا يقبل ربنا تعالى إلا من اتبع سنته واهتدى بهداه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن مؤلف هذا الكتاب النفيس هو العبد الصالح الطائع لمولاه، والراقى درج المعرفة إلى أعلى علاه، الذى هدى الله الضالين بسناه وبلغ به المهتدين كلا سؤله ومناه، الشيخ المربى الحافظ لكتاب الله والمتمسك بسنة رسول الله ﷺ.

الشريف النسيب سيدى صلاح الدين التجانى بن السيد محمود بن أبى طالب.

والذى لا يصرح بنسبه إلا أنه ابن سيدى أحمد التجانى رضي الله عنه.

أتم رضي الله عنه حفظ القرآن الكريم بالقراءات العشر المتواترة بالسند المتصل من شيخه فى ذلك الفن إمام القراءات بالأزهر الشريف

والمتبحر فى العلم المنيف، الذى لم يكن فى وقته مثله، المنقطع للقرآن نهاره وليله، الشيخ محمد بن إسماعيل الهمدانى، وله من ذلك الإمام إجازة فى القراءات العشر الكبرى (وهى أعلى إجازة فى هذا الفن) وذلك بعد أن قرأ على شيخه المذكور ختمة كاملة لكل قارئ منهم بالتحرير والإتقان وأكثر من ختمه بالعشر، ثم أراد رضي الله عنه كما هى عادته تيسير ذلك العلم النفيس لطالبيه بعدما وجد من المشقة البالغة فى تعلمه فألف كتابه النجوم السائرة حيث ميز فيه كل قراءة على حدة قواعدا وفرشا وهو مالا نظير له فى علم القراءات بخلاف ما صنف قبل ذلك من الكتب فى هذا الفن ومع ذلك الكتاب فرش الأحرف العشرة على المصحف الشريف فصار تدريس هذا العلم بهذه الصورة الجديدة من أيسر الأمور بعد أن كان من أشقها وأصعبها فجزاه الله خيرا عن المسلمين وعن خدمته للكتاب الكريم.

أما الفقه فقد أتى فيه البيوت من أبوابها وتعلم من أهل كل مذهب أصولهم وفروعهم، فمذهب الإمام مالك رضي الله عنه على شيخ المذهب بالحجاز وأعلم من استجاز أو جاز، الفقيه العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك رحمه الله، ومذهب الإمام الشافعى رضي الله عنه من العالم النحرير ذى العلم الغزير شيخ المذهب بالشام الشيخ عبدالسلام النابلسى وذلك مدة إقامته بالإحساء بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه على الشيخ الشريف العالم المتبحر والفقيه المتبحّر الشيخ أبى بكر الحنبلى

شيخ المذهب بالإحساء، وأما مذهب الإمام الأكبر أبى حنيفة النعمان رضي الله عنه فعلى الشيخ العالم المهيب والفقيه النابه الأديب الحسيب النسيب مولانا أحمد بن محمد الدهلوى الصغير وذلك مدة إقامته بالمدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أما فى الحديث الشريف والسنة المطهرة فقد درسه رضي الله عنه أتم دراسة وأكملها وهو مولع به منذ الصغر وله فى هذا العلم الشريف عدد من الشيوخ الحفاظ المحدثين من أجلهم محدث مصر بل والعالم الإسلامى وحافظها وإمام أهلها فى هذا العلم سيدى الولى المحدث الفقيه محمد الحافظ التجانى رضي الله عنه، وكذلك أخذ عن إمام الحجاز الجامع لشتات الأسانيد والذى منها كل عال وفريد الشيخ الفادانى، وكذلك المحدث الكبير والعالم الجهبذ النحرير الشيخ العجيل إمام أهل اليمن فى كل علم وفن، وكذلك الشيخ المحدث الطائع لربه الشيخ محمد نجيب المطيعى المصرى رحمه الله، أما الحديث المسلسل بالأولية فقد تلقاه عن جمع من الشيوخ أجلهم سيدى أدريس العراقى بفاس المحروسة من المغرب الأقصى.

وقد جمع الشيخ رضي الله عنه كل هذا وعمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين بالإضافة إلى هذا فقد مر فى طريق القوم بالطرق الموجودة كلها ودرسها طريقة طريقة وفى آخر مطافه أقر له سيدنا رسول الله ﷺ الطريقة التجانية فانحاش إلى جناب سيدى أحمد التجانى رضي الله عنه وانتظم فى سلك طريقه وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة

من عمره المديد، وقد تلقى هذه الطريقة المباركة من عدة مشايخ أعلاهم سيدى أبى الكمال العلامة الشيخ سيدى محمد الحافظ التجانى رضي الله عنه وكذلك حفيد سيدنا سيدى الشيخ بنسالم ابن سيدى محمد الكبير وكذا أبى العلاء الحافظ المحدث العارف بالله سيدى إدريس العراقى.

وقد كان مولده الشريف صبيحة يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة الموافق الثانى عشر من يونيو (حزيران) سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف. رضي الله عنه ومد فى عمره آمين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهـداء	٥
التقديم	٧
المقدمة	١١
اليواقيت :	
ياقوتة فى الجهاد	٣٥
ياقوتة فى نفس الرحمن جل جلاله	٣٩
ياقـــوتة فـى الورع	٤٤
ياقـوتة فـى العـزلة	٤٦
ياقـــوتة فـى الخلوة	٤٩
ياقوتة فـى الخواطر	٥٢
ياقـوتة فى العـلم اللدنى	٥٦
ياقوتة فى الإشارات	٥٩
ياقـــوتة فى الـنار	٦٢
ياقـــوتة فى الـنوافل	٦٩
ياقـــوتة فى الـزهد	٧٠
ياقـــوتة فى الجـــود	٧١
ياقـــوتة فى الـكرم	٧٢
ياقـوتة فى السخـاء	٧٢
ياقـوتة فـى الإيثـار	٧٣
ياقـوتة فى الصدقـة	٧٣
ياقـوتة فـى الهـدية	٧٣
ياقـوتة فى العـوض	٧٤
ياقـــوتة فى الـعطاء	٧٤
ياقـــوتة فـى الكلام	٧٥
ياقوتة فى القيـومية	٧٦
ياقوتة فى النوم	٧٦
ياقوتـة فى الخوف	٧٧

الموضوع	الصفحة
ياقوتة في الرجاء	٧٩
ياقوتة في الصبر	٨٠
ياقوتة في المراقبة	٨٢
ياقوتة في العبودية	٨٤
ياقوتة في الولى	٨٦
ياقوتة في الملائكة	٨٩
ياقوتة في الله	٩١
ياقوتة في المعرفة بالله تعالى	١٠٣
ياقوتة في الواحد الأحد	١١٧
ياقوتة في المقدم المؤخر	١١٨
ياقوتة في الفقر	١١٩
ياقوتة في الأول والآخر والظاهر والباطن	١٢٤
ياقوتة في مقام المحبة	١٣٢
ياقوتة في مقام الخلة	١٥٦
ياقوتة في مقام الشوق والاشتياق	١٥٨
ياقوتة في العلى	١٥٨
ياقوتة في الولى	١٥٩
ياقوتة في الوهاب الرزاق	١٦٠
ياقوتة في الرحمن الرحيم	١٦٣
ياقوتة في الحس والمعنى	١٧٢
ياقوتة في مراتب العلماء	١٨٥
ياقوتة في القلب	٢٠٢
ياقوتة في السماع	٢١١
ياقوتة في الكرامة	٢١٢
ياقوتة في السلوك	٢١٤
ياقوتة في حديث عهد بربه	٢١٦
ياقوتة في المكر	٢١٨
ياقوتة في التوبة	٢٢١
ياقوتة في الذكر	٢٢٥
ياقوتة في الجميل	٢٢٦
ياقوتة في المعصية	٢٢٧
ياقوتة في عبس وتولى	٢٢٨
ياقوتة في المعلومات	٢٣٠

الموضوع	الصفحة
ياقوتة فى الجنة	٢٣٢
ياقوتة فى القضاء والقدر	٢٣٣
ياقوتة فى وهو معكم	٢٣٥
الجواهر :	
جوهرة فى التوسل	٢٥٣
جوهرة فى السبحة	٢٧٧
جوهرة فى أهل الصفة	٢٧٨
جوهرة فى والدى رسول الله ﷺ	٢٨١
جوهرة فى الذكر	٢٩١
جوهرة فى عظيم فضل الله	٢٩٧
جوهرة فى السر	٢٩٩
جوهرة فى العلم	٣٠٠
جوهرة فى أهل البيت	٣٠٢
جوهرة فى أصحابه وإخوانه ﷺ	٣٠٥
جوهرة فى السيد	٣٠٨
جوهرة فى التمثل	٣٠٩
جوهرة فى النفس	٣١٠
جوهرة فى الإقامة	٣١١
جوهرة فى المحدثين	٣١١
جوهرة فى نجد	٣١٢
جوهرة فى الحال	٣١٤
جوهرة فى رؤية رسول الله ﷺ	٣١٥
جوهرة فى النسب	٣١٨
جوهرة فى القرآن	٣١٩
جوهرة فى أصحاب المراتب	٣١٩
جوهرة فى الساعة	٣٢٠
جوهرة فى العمر	٣٢١
جوهرة فى ليلة القدر	٣٢٢
جوهرة فى الكسوة	٣٢٢
جوهرة فى الإمامة	٣٢٣
جوهرة فى التربية	٣٢٣
جوهرة فى المولد	٣٢٤

الموضوع الصفحة

اللآلئ

لؤلؤة فى لا إله إلا الله ٣٣١
لؤلؤة فى السماع ٣٣٦
لؤلؤة فى الظلم ٣٣٨
لؤلؤة فى الغيبة ٣٣٩
لؤلؤة فى الصدقة ٣٤٠
لؤلؤة فى التظر ٣٤١
لؤلؤة فى السمع والبصر واللسان ٣٤٢
لؤلؤة فى المنازل العالية ٣٤٣
لؤلؤة فى الخبز ٣٤٤
لؤلؤة فى النجاة ٣٤٤
لؤلؤة فى التواضع ٣٤٥
لؤلؤة فى التعظيم ٣٤٧
لؤلؤة فى التعوذ ٣٤٨
لؤلؤة فى المحبة ٣٤٨
لؤلؤة فى الزهد ٣٤٩
لؤلؤة فى البلاء ٣٥١
لؤلؤة فى المكر ٣٥٥
لؤلؤة فى النوم ٣٥٦
لؤلؤة فى التحمل ٣٥٧
لؤلؤة فى حسن الظن ٣٦١
لؤلؤة فى المعصية ٣٦٥
لؤلؤة فى مكة ٣٦٥
لؤلؤة فى الرحمة ٣٦٦
لؤلؤة فى المسجد ٣٦٨
لؤلؤة فى الجماع ٣٦٨
الفصوص : ٣٧٣
الفيروز ٤٠١
الزبرجد ٤٣٥

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/١٦٠٧٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6007 - 5